سِلْسِلَةُ مُؤَلَّفَاتْ السَيِّدْ الدِّيباجي المطبُوعَة

(٥١)

القصص القرآنية

الجزء الخامس

تأليفُ

السَيِّد أبو القاسم الدِّيباجي

www.aldibaji.org

سلسلة مؤلفات السيد الديباجي المطبوعة

(٥١)



السيد أبو القاسم الديباجي



الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

قال أبو عبد الله عليه السلام:

إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبّ لشيء يحوط ما أحبّ؛ وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

«الأصول الكافي، كتاب فضل العلم»

عَنْ إِمَامِ العَارِفِينَ

أَمِيرِ المُؤمِنِينَ (ع)

الْعِلْمُ نَهْرٌ

وَالْحِكْمَةُ بَحْرٌ

وَالْعُلَمَاءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

وَالْحُكَمَاءُ وَسَطَ الْبَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالْعَارِفُونَ فِي سُفُنِ النَّجَاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي لملا محمّد صالح المازندراني صفحة ٧٠ باب فضل العلم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله بما حمد به نفسه والصلاة والسلام على رسوله الأمين وخاتم المرسلين الذي بعثه رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين لا سيما ناموس الدهر وإمام العصر بقية الله في الارضين والقائم بالحق المبين صاحب الزمان وإمام الانس والجان الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

يجب على كل انسان مؤمن ومسلم الاهتمام بالقرآن والعمل به حيث وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والائمة الأطهار عليهم السلام تحثّنا على التمسك بالقرآن والاهتمام به حيث أن القرآن هو صديق الانسان وصاحبه في طول حياته وسفره الى الله فالقرآن ليس مجرد أوراق بين الدّفّتين بل حقيقة القرآن وملكوت القرآن هو القرآن الحكيم، الشافي، المربّي للأنفس، الشاعر والمدرك الذي يدرك ويشعر بالمخاطب ويخاطبه ببساطة حتى يرتبط فيه ويصبح صديقه.

فالقرآن يعلّمنا كيف نهتم بعقائدنا كالايمان بالله والايمان بالرسل والانبياء والايمان بملائكة الله وكتبه السماوية ويوم القيامة والجنة والنار والايمان بالصراط والميزان والايمان بالحشر والنشر والثواب والعقاب وأيضا يعلّمنا الشرائع والقوانين الالهية وكيف نتعامل مع الناس حولنا ومع المجتمع الذي نعيش فيه وكيف نرتبط بالله سبحانه وتعالى ونعبده ويعلّمنا الفضائل الاخلاقية والتي ترفع الانسان الى المقامات العالية للكمال.

وقد جاء في القرآن قصص ومواعظ كثيرة حتى نعتبر بها ونتعظ ونحصل على الكنوز القرآنية المخفية ومن ثم نصعد في مدارج الكمال ونصل الى المولى الحقّ عزّ وجلّ ونتصل به.

وبتوفيـق مـن الله انتهينا من الجزء الثاني من كتـاب "القصص القرآنية" والذي يحتوي على القصص التـي وردت في القرآن حتى يسـتنير بها قلـوب المؤمنين وتفتح لهم أبواب السـعادة في الدنيا والآخرة، راجيـا من الله عـزّ وجلّ ومن مولانا صاحب العـصر والزمان بقية العترة الطاهرة، الحجة بن الحسـن العسكري روحي وأرواح العالمين لمقدمه الفداء القبول لهذه الصفحات القليلة.

السيد أبو القاسم الديباجي
١٧ ربيع الاول ١٤٢٣ هـ

قصــــــة حياة يونس عليه السلام

قصة حياة يونس عليه السلام

يونس عليه السلام هو من أحد الانبياء والرسل الذي جاء ذكر اسمه المبارك في القرآن الكريم أربع مرات، وسميت إحدى السور القرآنية بإسمه (السورة العاشرة).

يونس عليه السلام هو من أحد أنبياء بني اسرائيل والذي ظهر بعد سليمان عليه السلام وقيل أنه من نسل ابراهيم عليه السلام[١]، ولقّب «بذي النون» (النون أي السمك) و «صاحب الحوت».

وكان والده «متّى» من العلماء والزاهدين والشاكرين، لذا أوحى الله عزّ وجلّ الى داود عليه السلام بأن جاره في الجنة هو «متّى» والد يونس عليه السلام، وقد زاره داود وسليمان عليهما السلام ومدحاه (كما سيأتي ذكره في قصص داود عليه السلام).

وقيل أنه من نسل هود عليه السلام ووالدته من بني إسرائيل.[٢]

قصة يونس عليه السلام قصة محزنة ومؤلمة ولكنها في النهاية سعيدة حيث وصل يونس عليه السلام إلى أهدافه وتاب قومه وآمنوا به، وبإرشاداته وفي ظلّه عاشوا حياة معنوية سعيدة.

يونس عليه السلام وقومه بنينوى

وعلى حسب قول البعض أن يونس عليه السلام ظهر قبل ٨٢٥ سنة قبل الميلاد في نينوى، وتقع نينوى بالقرب من الموصل (العراق) أو قرب الكوفة جهة كربلاء، ويوجد حاليا قبر معروف ليونس عليه السلام بالقرب من الكوفة بجانب الشطّ.

وكان يبلغ عدد سكان نينوى آنذاك أكثر من مئة ألف نسمة، كما نقرأ في الآية (١٤٧) من سورة الصّافات: ﴿وأرسلناه الى مائة ألفٍ أو يزيدون﴾.

وكانوا يعبدون الاصنام وكانوا غارقين بالفساد في جميع أبعاد حياتهم، فكانوا بحاجة إلى من يتمّ

الحجّة عليهم ويدعون إلى السعادة والنجاة، فكان يونس عليه السلام هو النبي الذي أرسله الله عزّ وجلّ إليهم.

فبدأ يونس عليه السلام بنصيحة قومه ودعاهم إلى التوحيد وقبول وحدانيّة ربّ العالمين بمناهج عديدة ومختلفة، ونهاهم عن عبادة الاصنام.

واستمر يونس عليه السلام في دعوته ومبارزة قومه كالأب الحكيم والرؤوف والرحيم على إنقاذ أبنائه من التهلكة إلا أنهم غالطوه وأهانوه ولم يسمع منهم الا الاستخفاف والاهانة وكانوا يقولون: لماذا نترك ديننا ودين أجدادنا الذي آمنا به منذ سنوات طويلة ونؤمن بدين جديد واختراع جديد.

فردّ يونس عليه السلام عليهم وقال: إن الاصنام أجسام بلا شعور وليست لها نفع أو ضرر وليست المنشأ للخير، فلماذا تعبدونها؟

ولكن مهما كان يونس عليه السلام يرشدهم ويدعوهم الى الله عزّ وجلّ كانوا لا يسمعونه ويطردونه من بينهم ولا يعتنون به.

وقد بعث الله تعالى يونس عليه السلام الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة إلا أنه لم يؤمن به ولم يتبعه من قومه إلا رجلان: اسم أحدهما روبيل واسم الآخر تنوخا، وكان روبيل من أهل بيت العلم والنبوّة والحكمة، وكان قديم الصحبة ليونس بن متّى عليه السلام من قبل أن يبعثه الله بالنبوّة، وكان تنوخا رجلاً مستضعفاً عابداً زاهداً منهمكاً في العبادة وليس له علم ولا حكم، وكان روبيل صاحب غنم يرعاها ويتقوت منها، وكان تنوخا رجلا حطابا يحتطب على رأسه ويأكل من كسبه، وكان لروبيل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا لعلم روبيل وحكمته وقديم صحبته، فلما رأى يونس عليه السلام أن قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون به ضجر وعرف من نفسه قلة الصبر فشكا ذلك إلى ربه، وكان فيما شكا أن قال: يا رب إنك بعثتني إلى قومي ولي ثلاثون سنة، فلبثت فيهم أدعوهم إلى الايمان بك، والتصديق برسالاتي، وأخوفهم عذابك ونقمتك ثلاثاً وثلاثين سنة فكذبوني ولم يؤمنوا بي، وجحدوا نبوتي واستخفوا برسالاتي، وقد تواعدوني وخفت أن يقتلوني، فأنزل عليهم عذابك فإنهم قوم لا يؤمنون.

فأوحى الله تعالى إلى يونس أن:فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ الكبير و المرأة الضعيفة والمستضعف المهين، وأنا الحكم العدل، سبقت رحمتي غضبي، لا أعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك، وهم يا يونس عبادي وخلقي وبريتي في بلادي وفي عيلتي أحب أن أتأناهم وأرفق بهم وأنتظر توبتهم، وإنما بعثتك إلى قومك لتكون حيطا عليهم، تعطف عليهم بالرحم الماسة منهم، وتأناهم برأفة النبوة، وتصبر معهم بأحلام الرسالة، وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي، العالم بمداواة الداء، فخرقت بهم، ولم تستعمل قلوبهم بالرفق، ولم تسسهم بسياسة المرسلين، ثم سألتني عن سوء نظرك العذاب

لهم عند قلّة الصبر منك، وعبدي نوح كان أصبر منك على قومه، وأحسن صحبة وأشد تأنيا في الصبر عندي، وأبلغ في العذر، فغضبت له حين غضب لي وأجبته حين دعاني.

فقال يونس: يا رب إنما غضبت عليهم فيك، وإنما دعوت عليهم حين عصوك، فوعزتك لا أتعطف عليهم برأفة أبداً، ولا أنظر إليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم إياي وجحدهم بنبوتي، فأنزل عليهم عذابك فإنهم لا يؤمنون أبداً.

فقال الله جلّ جلاله: يا يونس إنهم مائة ألف أو يزيدون من خلقي، يعمرون بلادي، ويلدون عبادي، ومحبتي أن أتأناهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري وتدبيري غير علمك وتقديرك، وأنت المرسل وأنا الربّ الحكيم، وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي لا تعلم ما منتهاه، وعلمك فيهم ظاهر لا باطن له، يا يونس قد أجبتك إلى ما سألت من إنزال العذاب عليهم وما ذلك يا يونس بأوفر لحظك عندي، ولا أجمل لشأنك، وسيأتيهم عذاب في شوال يوم الأربعاء وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فأعلمهم ذلك.

فسرّ بذلك يونس عليه السلام ولم يسؤه ولم يدر ما عاقبته، فانطلق يونس إلى تنوخا العابد فأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم، وقال له: انطلق حتّى أعلمهم بما أوحى الله إلي من نزول العذاب.

فقال تنوخا: فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتى يعذبهم الله.

فقال له يونس: بل نلقي روبيل فتشاوره فإنه رجل عالم حكيم من أهل بيت النبوة.

فانطلقا إلى روبيل فأخبره يونس عليه السلام بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في شوال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فقال له: ما ترى انطلق بنا حتّى أعلمهم ذلك.

فقال له روبيل: إرجع إلى ربك رجعة نبي حكيم ورسول كريم، وسله أن يصرف عنهم العذاب فإنه غني عن عذابهم، وهو يحب الرفق بعباده وما ذلك بأضر لك عنده، ولا أسوأ لمنزلتك لديه، ولعل قومك بعد ما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً فصابرهم وتأنهم.

فقال تنوخا: ويحك يا روبيل على ما أشرت على يونس وأمرته بعد كفرهم بالله تعالى، وجحدهم لنبيه، وتكذيبهم إياه وإخراجهم إياه من مساكنه، وما هموا به من رجمه؟

فقال روبيل لتنوخا: اسكت فإنك رجل عابد لا علم لك.

ثم أقبل على يونس فقال: أرأيت يا يونس إذا أنزل الله العذاب على قومك أينزله فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقى بعض؟

فقال يونس: بل يهلكهم جميعاً، وكذلك سألته، ما دخلتني لهم رحمة تعطف فأراجع الله فيهم

وأسأله أن يصرف عنهم.

فقال روبيل: أتدري يا يونس لعل الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسّوا به أن يتوبوا إليه ويستغفروا فيرحمهم فإنه أرحم الراحمين، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما اخبرتهم عن الله أنه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء فتكون بذلك عندهم كذابا.

فقال تنوخا: ويحك يا روبيل لقد قلت عظيماً، يخبرك النبي المرسل أن الله أوحى إليه أن العذاب ينزل عليهم فترد قول الله وتشك فيه وفي قول رسول الله اذهب فقد حبط عملك.

فقال روبيل لتنوخا: لقد فشل رأيك.

ثم أقبل على يونس فقال: إذا نزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أنزل عليك فيهم من العذاب عليهم وقوله الحق أرأيت إذا كان ذلك فهلك قومك كلهم وخربت قريتهم أليس يمحو الله اسمك من النبوة، وتبطل رسالتك، وتكون كبعض ضعفاء الناس ويهلك على يديك مائة ألف أو يزيدون من الناس؟

فأبى يونس أن يقبل وصيته فانطلق ومعه تنوخا من القرية عنهم غير بعيد، ورجع يونس إلى قومه فأخبرهم أن الله أوحى إليه أنه ينزل العذاب عليكم يوم الأربعاء في شوال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، فردوا عليه قوله فكذبوه وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً، فخرج يونس عليه السلام ومعه تنوخا من القرية وتنحيا عنهم غير بعيد، وأقاما ينتظران العذاب، وأقام روبيل مع قومه في قريتهم.

يونس عليه السلام وتركه الأولى والحوت

كان ليونس عليه السلام الحق في أن يغضب حيث أنه دعا قومه لمدة ثلاث وثلاثين سنة فلم يستجيبوا له ولم يؤمن به إلا اثنين، لذا يأس منهم فدعا عليهم بنزول العذاب وخرج من بينهم حتى ينقذ نفسه من العذاب الالهي ولكن كان من الأفضل لو بقى عندهم ودعاهم إلى الله عزّ وجلّ لأنه كان من المحتمل أنهم في تلك الايام الأخيرة يؤمنوا بالله ويصدّقونه، ولكن نفذ صبر يونس عليه السلام منهم فتركهم وخرج من بينهم، لذا كان عمله هذا ترك للأولى مما أدّى إلى أن يصيبه غضب الله عزّ وجلّ الشديد.(٣)

فخرج يونس عليه السلام ووصل الى البحر، فرأى سفينة في البحر وكانت مليئة بالركّاب، فتوسّل يونس عليه السلام ربّان السفينة حتى يسمح له بركوب السفينة، فسمح له وركب السفينة، فاضطربت السفينة فقال الملاح: يا قوم في سفينتي لمطلوب، فقال يونس: أنا هو، وقام ليلقي نفسه، فأبصر السمكة(٤) وقد فتحت فاها فهابها وتعلق به ركّاب السفينة، فساهمهم فوقعت السهام عليه وكرروا ذلك ثلاث مرات وفي كل مرة تقع السهام عليه، فألقى نفسه فالتقمه الحوت.(٥)

فدخل به البحر، وطبقاً لرواية جاءت عن الامام الصادق عليه السلام أن يونس عليه السلام غاب عن قومه أربعة أسابيع: سبعة أيام في مسيره الى البحر، وسبعة أيام في بطن ا لحوت، وسبعة أيام تحت الشجرة بالعراء، وسبعة في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه مسيرة ثمان وعشرين يوماً.(٦)

وقد اختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل تسع ساعات، وقيل ثلاثة أيام إلى أربعين يوماً، وهذا الموضوع ليس واضح.

فعاش يونس عليه السلام في ظلمات ثلاث: ظلمة في البحر، وظلمة في الحوت، وظلمة الليل، ولكنه كان دائماً في ذكر الله وقد تاب توبة حقيقية وكان يردد في تلك الظلمات وينادي: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين﴾**.

وأخيراً استجاب الله عزّ وجلّ دعاءه وقبل توبته وأمر الحوت بأن يقذفه على ساحل البحر، فعمل الحوت بذلك.

نعم، تاب يونس عليه السلام توبة حقيقية وسبّح الله وأقرّ بذنبه حتى نجّاه الله جلّ وعلا، فلولا تسبيحه لظلّ في بطن الحوت كما نقرأ في الآية (١٤٣) والآية (١٤٤) من سورة الصافات: **﴿فلولا أنه كان من المسبّحين، للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون﴾**.(٧)

دور العالم الحكيم في إنقاذ القوم من بلاء حتمي

أخبر يونس عليه السلام قومه بأن الله جلّ جلاله سينزل العذاب عليهم يوم الاربعاء في شوال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس، ولكنهم كذّبوه وأخرجوه من قريتهم، فخرج يونس عليه السلام ومعه تنوخا العابد من القرية ولكن روبيل العالم الحكيم ظلّ مع قومه في قريتهم.

ولما دخل عليهم شوال صرخ روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل، شفيق عليكم، رحيم بكم، هذا شوال قد دخل عليكم، وقد أخبركم يونس نبيكم ورسول ربكم أن الله أوحى إليه أن العذاب ينزل عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس، ولن يخلف الله وعده رسله، فانظروا ما أنتم صانعون.

فأفزعهم كلامه ووقع في قلوبهم تحقيق نزول العذاب فأجفلوا نحو روبيل وقالوا له: ماذا أنت تشير به علينا يا روبيل؟ فإنك رجل عالم حكيم لم نزل نعرفك بالرأفة علينا والرحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس فينا فمرنا بأمرك، وأشر علينا برأيك.

فقال لهم روبيل: فإني أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا إذا طلع الفجر يوم الاربعاء في وسط الشهر أن تعزلوا الاطفال عن الامهات في أسفل الجبل في طريق الأودية وتعزلوا كل المواشي

عن أطفالها، وتقفوا النساء في سفح الجبل، ويكون هذا كله قبل طلوع الشمس، فإذا رأيتم ريحاً صفراء أقبلت من المشرق فعجوا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء، والتضرع إلى الله، والتوبة إليه والاستغفار له وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ربّنا ظلمنا وكذبنا نبيك، وتبنا إليك من ذنوبنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذّبين، فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع إلى الله والتوبة إليه حتى تتوارى الشمس بالحجاب، أو يكشف الله عنكم العذاب قبل ذلك، فأجمع رأي القوم جميعاً على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبيل.

فلما كان يوم الأربعاء الذي توقعوا فيه العذاب تنحى روبيل من القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب إذا نزل، فلما طلع الفجر يوم الأربعاء فعل قوم يونس ما أمرهم روبيل به، فلما بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة، لها صرير وحفيف وهدير فلما رأوها عجوا جميعاً بالصراخ والبكاء والتضرع الى الله، وتابوا إليه واستغفروه، وصرخت الأطفال بأصواتها تطلب أمهاتها، وعجّت سخال[٨] البهائم تطلب اللبن، وعجّت الانعام تطلب الرعي، فلم يزالوا بذلك وروبيل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم، حتى أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الرب تعالى ورحمهم الرحمن فاستجاب دعاءهم وقبل توبتهم وأقالهم عثرتهم، وأوحى إلى إسرافيل أن اهبط إلى قوم يونس فإنهم قد عجوا إلي بالبكاء والتضرع، وتابوا إلي واستغفروا لي فرحمتهم وتبت عليهم، وأنا الله التواب الرحيم، أسرع إلى قبول توبة عبدي التائب من الذنوب، وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب على قومه وقد أنزلته عليهم، وأنا الله أحق من وفى بعهده، وقد أنزلته عليهم، ولم يكن اشترط يونس حين سألني أن أنزل عليهم العذاب أن أهلكهم، فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي.

فقال إسرافيل: يا رب إن عذابك قد بلغ أكتافهم وكاد أن يهلكهم وما أراه إلا وقد نزل بساحتهم، فإلى أين أصرفه.

فقال الله سبحانه: كلا إني قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتيهم أمري فيهم وعزيمتي، فاهبط يا إسرافيل عليهم واصرفه عنهم، واصرف به إلى الجبال بناحية مفاوض العيون، ومجاري السيول في الجبال العادية المستطيلة على الجبال فأذلها به ولينها حتى تصير ملينة حديدا جامدا.

فهبط إسرافيل عليهم فنشر اجنحته فاستاق[٩] بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال التي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها.

فلما رأى قوم يونس أن العذاب قد صرف عنهم هبطوا إلى منازلهم عن رؤوس الجبال وضموا

إليهـم نسـاءهم وأولادهـم وأموالهـم، وحمدوا الله عـلى ما صرف عنهـم، وأصبح يونـس وتنوخا يوم الخميـس في موضعهـما الـذي كانا فيـه لا يشـكان أن العـذاب قد نزل بهـم وأهلكهم جميعـاً لما خفيت أصواتهم عندهما، فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشـمس إلى ما صار إليه القوم، فلما دنوا من القوم واسـتقبلتهم الحطابون والحماة والرعاة بأغنامهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين قال يونس لتنوخـا: يـا تنوخـا كذّبني الوحي، وكذبت وعـدي لقومي، ولا عزة لي ولا يرون لي وجهـاً أبداً بعدما كذبني الوحي، فانطلق يونس هارباً على وجهه مغاضباً لربه ناحية البحر وركب السفينة وبلعه الحوت (كـما ذكرنا)، ورجع تنوخـا إلى القرية فلقي روبيل فقال له: يا تنوخا أي الرأيين كان أصوب وأحق أن يتبع؟ رأيي أو رأيك؟

فقال له تنوخا: بل رأيك كان أصوب، ولقد كنت أشرت برأي الحكماء العلماء.

فقال تنوخا: أما إني لم أزل أرى أني أفضل منك لزهدي وفضل عبادتي حتى استبان فضلك لفضل علمك وما أعطاك الله ربك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم، فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما.

نجاة يونس عليه السلام وعودته إلى قومه

نعم لما استقرّ يونس عليه السلام بالحوت دعا ربّه و استغفر وتاب فاستجاب له الله جلّ جلاله وأمر الحوت بأن يقذفه إلى ساحل البحر.

فأخرجه الحوت إلى السـاحل ثم قذفه فألقاه بالسـاحل، وكان يونس عليه السلام كالفرخ الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الحركة.

فأنبـت الله عليه شـجرة من يقطـين وهو القرع فكان يمصه ويسـتظل به وبورقه وكان قد تسـاقط شعره ورقّ جلده، وكان يونس عليه السلام يسبح ويذكر الله تعالى في الليل والنهار فلما أن قوي واشتد بعث الله دودة فأكلت أسـفل القرع فذبلت القرعـة ثـم يبست فشق ذلك على يونـس عليه السـلام فظل حزيناً فأوحى الله سبحانه إليه: ما لك حزيناً يا يونس؟

قال: يا رب هذه الشجرة التي كانت تنفعني سلطت عليها دودة فيبست.

قال: يا يونس أحزنت لشـجرة لم تزرعها ولم تسـقها ولم تعي بها أن يبسـت حين اسـتغنيت عنها ولم تحـزن لأهـل نينوى أكثر من مائة ألـف أردت أن ينزل عليهم العذاب، إن أهل نينـوى قد آمنوا واتقوا فارجع إليهم.

وحسـب نقـلٍ آخر: أنه لما جزع أوحى الله إليه: يا يونس لم ترحـم مائة ألف أو يزيدون وأنت تجزع

من ألم ساعة، فقال: يا رب عفوك عفوك.

فانطلق يونس إلى قومه فلما دنى من نينوى استحيى أن يدخل فقال لراع لقيه: ائت أهل نينوى فقل لهم أن هذا يونس قد جاء.

قال الراعي: أتكذب أما تستحيي ويونس قد غرق في البحر وذهب.

فقال يونس: اللهم إن هذه الشاة تشهد لك أنّي يونس، فنطقت الشاة بأنه يونس، فلما أتى الراعي قومه وأخبرهم أخذوه وهمّوا بضربه، فقال: إن لي بيته بها أقول، قالوا: من يشهد؟

قال: هذه الشاة تشهد، فشهدت أنه صادق وأن يونس قد ردّه الله إليهم فخرجوا يطلبونه فوجده فجاءوا به وآمنوا وحسن إيمانهم فمتعهم الله إلى حين وهو الموت وأجارهم من ذلك العذاب.(١٠)

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: لما حبس يونس عليه السلام في الحوت دخل في بحر القُلزُم ثم خرج إلى بحر مصر ثم دخل في بحر طبرستان ثم خرج في دجلة الغورا ثم مرت به تحت الارض حتى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيام موسى عليه السلام ووكل الله به ملكاً يدخله في الأرض كل يوم قامة رجل وكان يونس في بطن الحوت يسبّح الله ويستغفره فسمع قارون صوته فقال للملك الموكل به انظرني فإني أسمع كلام آدمي فأوحى الله إلى الملك الموكل به انظره فأنظره ثم قال قارون: من أنت؟

قال يونس عليه السلام: أنا المذنب الخاطئ يونس بن متى، قال: فما فعل الشديد الغضب لله موسى بن عمران؟

قال: هيهات هلك، قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟

قال: هلك، قال: فما فعلت كلثم بنت عمران (أخت موسى) التي كانت سميت لي؟

قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد.

فقال قارون: وآسفا على آل عمران! فشكر الله له ذلك فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا، فرفع عنه.

وجاء في حديث الامام الباقر عليه السلام أنه قال: لما صارت السمكة في البحر المسجور الذي به يعذب قارون سمع قارون دوياً، فقال للملك الموكل به: ما هذا الصوت؟ قال: هو يونس النبي عليه السلام في بطن الحوت.

قال: فتأذن لي أن أكلمه؟ قال: نعم.

قال: يا يونس ما فعل هارون؟ قال: مات، فبكى قارون.

قال: ما فعل موسى؟ قال: مات، فبكى قارون وجزع جزعاً شديداً، فأوحى الله تعالى جلّت عظمته إلى الملك الموكل به: «ارفع عنه العذاب بقية أيام الدنيا لرقته على قرابته».(١١)

عبر مفيدة وعظيمة في قصة يونس عليه السلام

نستفيد من حياة يونس عليه السلام وقصته القصيرة التي ذكرت في القرآن عبر ودروس عظيمة حيث نشير هنا إلى بعضها:

١- يجب أن لا نستعجل في بعض الأمور كالدعاء على الناس ولعنهم للقضاء عليهم، وإذا كان هناك احتمال في هدايتهم يجب أن نسعى في إرشادهم بكل صبر ومقاومة وتحمل ووقار، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل بهذا، وفي إحدى الموارد لما عاند المشركون الرسول صلى الله عليه وآله بشدة كاد أن يلعنهم لولا أن الله جلّ جلاله خاطبه وقال له: ﴿فاصبر لحكم ربّك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظومٌ﴾.[١٢]

٢- من بين القرى التي كانت أهاليها مذنبين وكان الله قد كتب عليهم العذاب، كان يونس عليه السلام الوحيد الذي آمن قومه قبل نزول العذاب عليهم ثم نجوا، وهذا التوفيق كان بسبب إرشادات عالم فقيه ورؤوف، حيث يقول الله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿فلولا كانت قريةٌ آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حينٍ﴾[١٣]، فلو كانت القرى الأخرى كذلك لرأت نتائج طيبة ومبهرة.

٣- يقول الله جلّ وعلا في نجاة يونس عليه السلام في القرآن: ﴿فنادى في الظّلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾[١٤]، حيث نفهم من جملة ﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾ أن هذا القانون يختص بجميع المؤمنين وليس يونس عليه السلام فقط، لذا يجب أن يكون للمؤمن هذه المزايا والخصائص:

أ- أن يتوجّه إلى حقيقة التوحيد والمعبود الوحيد.

ب- أن ينزّه الله عن كل عيب ونقص.

ت- أن يعترف بذنوبه ويقرّ بها.

حيث العقاب الالهي نوعان:

- عقاب استئصالي،
- عقاب تنبيهي،

ففي العقاب التنبيهي يصل أثر العقاب الى العبد قبل نزوله، وإذا طهّر العبد نفسه من الذنوب والخطايا نجى.

٤- الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لما يدعون ربهم يقولون في دعائهم ومناجاتهم: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ أبدا».

ذات ليلة سـمعت أم سـلمة ذلك الدعاء من الرسول ﷺ فسألته في ذلك، فقال ﷺ: يا أم سلمة وما يؤمنني، وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين فكان منه ما كان.[١٥]

عـن ابـن أبي يعفور قال: سـمعت أبا عبدالله الصـادق عليه السلام يقول وهو رافع يده إلى السـماء: «ربّ لا تكلنـي إلى نفسي طرفة عينٍ أبداً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر».

قـال فـما كان بأسرع من أن تحدر الدموع من جوانب لحيته، ثـم أقبل علي فقال: يا ابن أبي يعفور إن يونس بن متى وكله الله عزّ وجلّ إلى نفسه أقل من طرفة عين فأحدث ذلك الذنب، قلت: فبلغ به كفراً أصلحك الله؟

قال: لا ولكن الموت على تلك الحال هلاك.[١٦]

نعـم فالطرق ضيقة للغاية، ويجب دوماً أن نسـتمد العون من الله جـلّ وعلا وإلا من الممكن لحظة واحدة من الهوى يلحقنا الندم لآخر يومٍ في حياتنا.

٥- يقـول العرفـاء: عـلى الرغـم من أن بلـع الحوت يونـس عليه السلام كان نوع مـن العقـاب إلا أنه كان معراجه حيث رأى عجائب البحر، فتربّى وبنى نفسه وعاد طاهراً نقياً، فإذا كان معراج الرسول ﷺ في السماوات، كان معراج يونس عليه السلام في البحار فلا يوجد فرق بين الصعود والنزول عند الله جلّ جلاله.

لذا يجب أن نقول مثل يونس عليه السلام في الصعاب والشدّة «لا إله إلا الله سبحانك إنّي كنت من الظالمين» ونعرج بأنفسنا ونسير إلى الملكوت الأعلى حتى ننجى.

وكما يقول أحد العرفاء أن يونس عليه السلام امتحن في أربع ظلمات:

- ظلمة الذلّة،
- ظلمة العقوبة،
- ظلمة البحر وتلاطمه،
- ظلمة بطن الحوت.

حديث قصير: أن معراج النفس هو إنكار الذات أمام عظمة الله عزّ وجلّ، والشخص الذي عرف الله جلّ وعلا وبكل وجوده أقرّ واعترف بتقصيره وأنه لا شيء أمام الله عزّ وجلّ، فإنه قد سار في مسير المعراج، وقد عمل يونس عليه السلام بذلك فوصل إلى المعراج وأخيراً صعد إلى قمّة المعراج.

(نهاية قصص يونس عليه السلام)

قصة حياة إلياس عليه السلام

قصة حياة إلياس عليه السلام

إليـاس عليه السلام هو من أحد الأنبياء المرسـلين الذي جاء اسـمه المبارك في القـرآن مرتان، في الأولى ذكر مـع زكريّـا وعيسـى ويحيى عليه السلام وأنهـم من الصالحـين (الانعـام - ٨٥) وفي الثانية ذكر بأنه نبي مرسـل (الصافات - ١٢٣).

وبالرغـم مـن أن البعض يقول أن إلياس عليه السلام هو إدريس أو خضر أو إيليا إلا أنه يسـتفاد من ظاهر الآيات القرآنية أنه من أحد الأنبياء بصورة مستقلة.

ونقرأ في الآية (١٣٠) من سـورة الصافات: ﴿سـلامٌ على إل ياسين﴾، ثم نقرأ في الآية (١٣٢) من نفس السورة: ﴿إنّه من عبادنا المؤمنين﴾.[١٧]

كلمـة الياسـين هي إلياس حيث أضيفـت إليها الياء والنون ومن المحتمل أنّه سـمي باسـم والده حيث كان إسم والده ياسين فسمّي الياسين.

كان إليـاس مـن أنبيـاء بني إسرائيل وهو من نسـل هارون عليه السلام[١٨] أخو موسـى عليه السلام، وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أن إلياس كان من عباد أنبياء بني إسرائيل.[١٩]

كيفية دعوة إلياس عليه السلام

أمـر الله تبـارك وتعـالى إليـاس عليه السلام أن يهدي عبّـاد الاصنـام والأوثـان الـذيـن كانوا يسـكنون بـعـلـبـك على حسـب قول البعـض (وتقع في لبنان)، فدعاهـم إلياس عليه السلام إلى التقـوى والـطـهـارة، وحـذّرهـم مـن عـبـادة الأصنـام وبـالذات صـنـم «بَعْـل» (أكبر الاصنام عندهم) ووبّخهم بشـدة لعبادتهـم الاصنام وقال لهـم: الله ربكم ورب آبائكم الأولين، فهو الـعالـم ومعلمكم، وهو رازقكم وهـو الـذي يكفيكم مشـاكلكم، لماذا تعبدون غـيره؟ كفّوا عن هـذا التقليد الاعمى ولا تتبعوا سـبل

أجدادكم واعبدوا ربّكم الحقيقي.

ولكنهم لم يسمعوا إلى نصائحه وإرشاداته المنطقية والرؤوفة ولم يعتنوا به، بل كذّبوه، فحذّرهم الله عزّ وجلّ من يوم يقفون فيه أمام محكمة العدل الالهي ويدخلون عذاب النار، حيث قال الله جلّ وعلا في القرآن: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين، إذ قال لقومه ألا تتقون، أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين، الله ربّكم وربّ آبائكم الاولين، فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إل ياسين، إنا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين﴾.[٢٠]

إيمان قلّة من الناس بدعوة إلياس عليه السلام

بفضل إرشادات إلياس عليه السلام آمن بعض قومه والذين هم من عباد الله المخلصين، وخلافا لمسلك المجتمع حطّموا سننهم وتقاليدهم وأبطلوها، وانضموا إلى الحق، وبالرغم من أن مثل ذلك العمل كان صعباً للغاية في شروط ذلك العصر الصعبة، إلا أنهم تحرّروا من قيود تلك السنن الباطلة والتقليد الاعمى وآمنوا وصدّقوا بدعوة إلياس عليه السلام الحقّة وأصبحوا من أصحابه.[٢١]

مناجاة إلياس عليه السلام في السجدة

عن مفضل بن عمر قال: أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية فتوهمنا أنه بالسريانية ثم بكيت فبكينا لبكائك.

فقال: نعم ذكرت إلياس النبي عليه السلام وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية فلا والله ما رأينا قساً ولا جاثليقاً[٢٢] أفصح لهجة منه به، ثم فسره لنا بالعربية فقال: كان يقول في سجوده: «أتراك معذبي وقد أظمأت لك هواجري؟ أتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي؟ أتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي؟ أتراك معذبي وقد أسهرت لك ليلي؟»

قال: فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإني غير معذبك.

قال: فقال: إن قلت: لا أعذبك ثم عذبتني ماذا؟ ألست عبدك وأنت ربي؟

فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإني غير معذبك، فإني إذا وعدت وعداً وفيت به.[٢٣]

حديث إلياس عليه السلام مع الامام الباقر عليه السلام

إليـاس عليه السلام هـو من أحد الأنبيـاء الأحياء إلى يومنا هذا كـما جاء في بعض الروايـات[٢٤]، وقد قابله الامام الباقر عليه السلام وتحدّث معه وهنا ننقل ما دار بينهما من حديث:

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: بينا أبي يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر[٢٥] قد قيض له[٢٦] فقطع عليه أسـبوعه حتى أدخله إلى دار جنب الصفا، فأرسـل إلي فكنا ثلاثة، فقال: مرحبا يا ابن رسـول الله، ثم وضع يده على رأسي وقال: بارك الله فيك يا أمين الله بعد آبائه يا أبا جعفر، إن شئت فأخبرني وإن شئت فأخبرتك، وإن شئت سلني وإن شئت سألتك، وإن شئت فاصدقني وإن شئت صدقتك.

قال: كل ذلك أشاء.

قال: فإياك أن ينطق لسانك عند مسألتي بأمر تضمر لي غيره.

قـال: إنـما يفعل ذلك مـن في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه، وإن الله عـزّ وجلّ أبى أن يكون له علـم فيه اختلاف (يعني منشـأ علمنـا هو ذات الله عزّ وجـلّ المنزه والطاهر، لذا ليـس في علمنا تضاد وتخالف).

قـال: هذه مسـألتي وقـد فسرت طرفـاً منها، أخبرني عـن هذا العلـم الذي ليس فيـه اختلاف من يعلمه؟

قال: أما جملة العلم فعند الله جلّ ذكره، وأما ما لابد للعباد منه فعند الأوصياء.

قال: ففتح الرجل عجرته[٢٧] واسـتوى جالساً وتهلل وجهه، وقال: هذه أردت ولها أتيت، زعمت أن علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء، فكيف يعلمونه؟

قال: كما كان رسـول الله صلى الله عليه وآله يعلمه (عن طريق الوحي والالهام) إلا أنهم لا يرون ما كان رسـول الله يرى، لأنه كان نبيّاً وهم محدثون (المتلقون للأخبار عن طريق الملائكة)، وإنه كان يفد إلى الله جلّ جلاله (في المعراج) فيسمع الوحي وهم لا يسمعون.

فقال: صدقت يا ابن رسول الله سآتيك بمسألة صعبة، أخبرني عن هذا العلم ماله لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قـال: فضحـك[٢٨] أبي عليه السلام وقال: أبى الله أن يطلع على علمه ممتحناً للإيمان به، كما قضى على رسـول الله صلى الله عليه وآله أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدهم إلا بأمره، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له: «اصدع بـما تؤمـر وأعرض عن المشركـين» وأيم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمنـا، ولكنه إنما نظر في الطاعة وخـاف الخلاف، فلذلك كـف[٢٩]، فوددت أن عينيك تكون مع مهدي هذه الامة (الحجّة بن الحسـن عجّـل الله فرجه الشريف) والملائكة بسـيوف آل داود بين السـماء والارض يعـذب أرواح الكفرة من

الأموات، ويلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء، ثم أخرج سيفاً ثم قال: ها إن هذا منها؟

قال: فقال أبي: إي والذي اصطفى محمداً على البشر.

قال: فرد الرجل اعتجاره وقال: أنا إلياس ما سألتك عن أمرك ولي منه جهالة، غير أني أحببت أن يكون هذا الحديث قوة لأصحابك... ثم قام الرجل وذهب فلم أره.[٣٠]

مبارزة إلياس عليه السلام طاغوت عصره

روي عن ابن عباس أنه قال: إن يوشع بن نون بوأ بني إسرائيل الشام بعد موسى عليه السلام وقسمها بينهم فسار منهم سبط ببعلبك (وهي الآن من مدن لبنان) بأرضها، وهو السبط الذي منه إلياس النبي، فبعثه الله إليهم وعليهم يومئذ ملك اسمه لاجب فتنهم بعبادة صنم يقال له بعل، وذلك قوله: ﴿وإنّ إلياس لمن المرسلين، إذ قال لقومه ألا تتقون، أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين، فكذّبوه﴾.[٣١]

وكان للملك زوجة فاجرة يستخلفها إذا غاب فتقضي بين الناس، وكان لها كاتب حكيم قد خلص من يدها ثلاث مائة مؤمن كانت تريد قتلهم، ولم يعلم على وجه الأرض أنثى أزنى منها، وقد تزوجت سبعت ملوك من بني إسرائيل حتى ولدت تسعين ولداً سوى ولد ولدها، وكان لزوجها جار صالح من بني إسرائيل، وكان له بستان يعيش به إلى جانب قصر الملك، وكان الملك يكرمه، فسافر مرة اغتنمت امرأته وقتلت العبد الصالح وأخذت بستانه غصباً من أهله وولده، وكان ذلك سبب سخط الله عليهم، فلما قدم زوجها أخبرته الخبر فقال لها: ما أصبت (ولم يوبخها)، فبعث الله إلياس النبي يدعوهم إلى عبادة الله فكذبوه وطردوه وأهانوه وأخافوه، وصبر عليهم واحتمل أذاهم و دعاهم إلى الله تعالى فلم يزدهم إلا طغياناً،فآلى الله[٣٢]على نفسه أن يهلك الملك والزانية إن لم يتوبوا إليه، وأخبرهما بذلك، فاشتد غضبهم عليه وهمّوا بتعذيبه وقتله، فهرب منهم فلحق بأصعب جبل فبقي فيه وحده سبعين، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر والله يخفي مكانه، فأمرض الله إبناً للملك مرضاً شديداً حتى يئس منه، وكان أعز ولده إليه، فاستشفعوا إلى عبدة الصنم ليستشفعوا له فلم ينفع.

فلما طال عليه المرض قالوا: إن في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث إليها ولعلها أن تشفع لك إلى بعل فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفي مرض ابنك.

فقال لاجب: لأي شيء غضب علي؟

قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس حتى نجا سالماً وهو كافر بإلهك.

فبعثوا عبدة الأصنام الناس إلى حدّ الجبل الذي فيه إلياس عليه السلام فكانوا يقولون: اهبط إلينا واشفع

لنا، فنزل إلياس من الجبل و قال: إن الله أرسلني إليكم وإلى من ورائكم، فاسمعوا رسالة ربكم، يقول الله: ارجعوا إلى الملك فقولوا له: إنّي أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم، وأنا الذي أرزقهم وأحييهم وأميتهم وأضربهم وأنفعهم، وتطلب الشفاء لابنك من غيري؟

فلما صاروا إلى الملك وقصوا عليه القصة امتلأ غيظاً فقال: ما الذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتوني به فإنه عدوي.

قالوا: لما صار معنا قذف في قلوبنا الرعب عنه، فندب خمسين من قومه من ذوي البطش وأوصاهم بالاحتيال له وإطماعه في أنهم آمنوا به ليغتر بهم فيمكنهم من نفسه، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس عليه السلام ثم تفرقوا فيه وهم ينادونه بأعلى صوتهم ويقولون: يا نبي الله ابرز لنا فإنا آمنا بك.

فلما سمع إلياس مقالتهم طمع في إيمانهم فكان في مغارة فقال: اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في النزول إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم.

فلما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا، فبلغ الملك خبرهم فاشتد غيظه فانتدب كاتب امرأته المؤمن الحكيم وبعث معه جماعة إلى الجبل وقال له: قد آن أن أتوب، فانطلق لنا إليه حتى يرجع إلينا يأمرنا وينهانا بما يرضى ربنا، وأمر قومه فاعتزلوا الاصنام(٣٣)، فانطلق كاتبها والفئة الذين أنفذهم معه حتى علا الجبل الذي فيه إلياس، ثم ناداه فعرف إلياس صوته فأوحى الله تعالى إليه: أن ابرز إلى أخيك الصالح وصافحه وحيه.

فقال المؤمن: بعثني إليك هذا الطاغي وقومه، وقص عليه ما قالوا، ثم قال: وإني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني.

فأوحى الله تعالى عزّ وجلّ إلى إلياس: إن كل شيء جاءك منهم خداع ليظفروا بك، وإني أشغله عن هذا المؤمن بأن أميت ابنه، فلما قدموا عليه شدّ الله الوجع على ابنه وأخذ الموت بكظمه ورجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلما ذهب الجزع عن الملك بعد مدة سأل الكاتب على الذي جاء به، فقال: ليس لي به علم.

ثم إن إلياس عليه السلام نزل واستخفى عند أم يونس بن متّى ستة أشهر ويونس مولود، ثم عاد إلى مكانه.

ثم أوحى الله تعالى جلّ وعلا إلى إلياس بعد سبع سنين: سلني أعطك.

فقال: تميتني فتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل وملّوني وأبغضتهم فيك وأبغضوني فيك.

فقال تعالى جلّت قدرته: ما هذا باليوم الذي أعري منك الأرض وأهلها، وإنما قوامها بك، ولكن سلني أعطك.

فقال إلياس: فأعطني ثاري من الذين أبغضوني فيك، فلا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي.

فاشتدّ على بني إسرائيل الجوع وألح عليهم البلاء، وأسرع الموت فيهم، وعلموا أن ذلك من دعوة إلياس، ففزعوا إليه وقالوا: نحن طوع يدك.

فهبط إلياس معهم ومعه تلميذ له اليسع وجاء إلى الملك فقال: أفنيت بني إسرائيل بالقحط، فقال: قتلهم الذي أغواهم.

فقال: ادع ربك يسقيهم، فلما جنّ الليل قام إلياس عليه السلام ودعا الله، ثم قال لليسع: انظر في أكناف السماء ماذا ترى؟

فنظر فقال: أرى سحابة، فقال: ابشروا بالسقاء، فليحرزوا أنفسهم[٣٤] وأمنعهم من الغرق، فأمطر الله عليهم السماء وأنبتت لهم الأرض، فقام إلياس بين أطهرهم وهم صالحون، ثم أدركهم الطغيان والبطر فجهلوا حقه وتمردوا، فسلط الله عليهم عدوا قصدهم ولم يشعروا به حتى رهقهم[٣٥]، فقتل الملك وزوجته وألقاهما في بستان الذي قتلته زوجة الملك.

ثم وصّى إلياس إلى اليسع وأنبت الله لإلياس الريش وألبسه النور ورفعه إلى السماء، وقذف بكسائه من الجو على اليسع، فنبأه الله على بني إسرائيل وأوحى إليه وأيّده، فكان بنو إسرائيل يعظمونه ويهتدون بهداه.[٣٦]

نصيحة إلياس عليه السلام العميقة

ذات يوم التقى إلياس عليه السلام في سيره وسفره بأحد السّواح الذي تآلف معه ثم تحدّثا بهذا الحديث:

إلياس: هل تزوجت؟

السائح: لا.

إلياس: تزوج واخرج من الوحدة.

السائح: نعم، ولكن من هي التي أتزوجها، ما هي صفاتها؟

إلياس: أنصحك بأن لا تتزوج من الامرأة التي تتصف بإحدى هذه الصفات الاربعة حتى تنال حياة سعيدة وهادئة وهي:

١- لا تتزوج المختلعة (أي التي تطلب الطلاق بدون سبب وجيه).

٢- لا تتزوج المُبارية (أي التي تفتخر بالامور واهية).
٣- لا تتزوج العاهرة (أي التي لا تستحي ولا تراعي حدود العفّة والحياء).
٤- لا تتزوج الناشزة (التي لا تطيع زوجها).[٣٧]

سرّ بكاء إلياس عليه السلام

طبقاً لبعض الراويات أن إلياس عليه السلام من الأنبياء الأحياء إلى يومنا هذا كالخضر عليه السلام، وقد وهب الله هذه الحياة الأبدية لعشقه وعلاقته الشديدة بمناجاة الله عزّ وجلّ، وفي هذا المجال نلفت نظركم إلى الرواية الآتية:

ذات يوم جاء ملك الموت عزرائيل إلى إلياس عليه السلام ليقبض روحه، فبكى إلياس عليه السلام فقال له ملك الموت: هل تبكي وأنت راجع إلى ربك؟

قال إلياس عليه السلام: بكائي ليس للموت، بل لفراقي عن ليالي الشتاء الطويلة وأيام الصيف الحارّة والطويلة التي يحيي المحبونّ تلك الليالي الطويلة بالعبادة ويصومون تلك الأيام الحارة ويستلذون من مناجاتهم المحبوب، فافترق عن صفوفهم وأواري بالتراب.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إلياس عليه السلام: لحبك مناجاتي وخدمة الناس سوف أمهلك الى يوم القيامة حتى تعيش ولا تفترق عن صفوف أولياء الله وتأنس معهم بالمناجاة.[٣٨]

(نهاية قصص حياة إلياس عليه السلام)

قصة حياة اليسع عليه السلام

قصة حياة اليسع عليه السلام

اليسع عليه السلام هو نبي آخر من الأنبياء والمرسلين الذي جاء اسمه مرتان في القرآن بجانب الأنبياء الصالحين[٣٩]، ويبين القرآن أنه نبي عظيم من أنبياء الله.

وطبقاً للروايات السابقة أنه تلميذ ووصيّ إلياس عليه السلام، وبعد نبوّته بعث إلى قوم إلياس (أهالي بعلبك) ودعاهم إلى التوحيد، فأطاعوه واحترموه وجلّلوه وأكرموه.

كان اليسع من أنبياء بني إسرائيل ويسمى بالعبرية «اليشع بن شافات»، حيث تعني كلمة «اليشع» الناجي وكلمة «الشافات» تعني القاضي.[٤٠]

دعا الناس إلى شريعة موسى عليه السلام، وكانت من معجزاته شفاء المرضى وإحياء الموتى.[٤١]

جاء في كتاب حبيب السّير أن سلسلة نسب اليسع تصل إلى «افرائيم بن يوسف» وقد وصل إلى مقام النبوة بعد غيبة إلياس عليه السلام، وبدأ بهداية قوم بني إسرائيل وكان ظهراً محكماً لحفظ بني إسرائيل من الأعداء والطواغيت، فكان كلما ينوي الأعداء الهجوم على بني إسرائيل كان اليسع يخبرهم (لعلمه بالجنايا)، فيستعدون للدفاع والحماية.

فعلم أحد الملوك الجبابرة الذي كان يعادي بني إسرائيل ودائماً يحاربهم بأن أخبار الحرب تصل إلى بني إسرائيل قبل الهجوم عليهم، فقال لمن حوله: من الذي يخبر بني إسرائيل بأسرارنا؟

قالوا: اليسع هو الذي يخبر بني إسرائيل بأخبارنا، فغضب الملك وأمر بأن يقبض عليه، فذهب جنوده إليه وقبضوا عليه ولكنه دعا عليهم فنجى وفلت منهم بإعجاز، حتى أنه بعض الجنود فقدوا أبصارهم.

فابتعد اليسع عن مجموعة من اليهود (لأذيّتهم)، واستمر بوظائف النبوة حتى ارتحل عن هذه الدنيا، وقيل أنه استخلف «ذو الكفل» وجعله وصيّاً من بعده.(٤٢)

(نهاية قصة اليسع عليه السلام)

قصـــة حياة عُزَير عليه السلام

قصة حياة عُزَير﴿ع﴾

عُزَيـر﴿ع﴾ هـو مـن أحد الأنبياء الذي جاء اسـمه المبارك مـرة واحدة في القرآن حيـث نقرأ في الآية (٣٠) من سورة التوبة:

﴿وقالت اليهودُ عُزيرٌ ابنُ الله﴾.

وأيضاً جاءت قصته في القرآن باختصار (في الآية (٢٩٥) من سورة البقرة) عن موت شخص لمئة سنة، وإحياءه بعد مئة سنة وطبقاً لروايات متعددة هذا الشخص هو عُزير النبي.

ولعُزيـر أو «عـزراء» (اسـمه في لغة اليهود) مكانة خاصـة في تاريخ اليهود، وتعتقـد اليهود أنه لما أصبـح بخت نـصر ملك بابل، وبعـد قتله للنـاس تفرقت اليهـود في البلدان، حيث خـرّب معابدهم وأحرق التوراة وقتل رجالهم ونسائهم وأسر أطفالهم، ثم فتح ملك إيران «كوروش» بابل، فأتاه عُزير وتشـفّع عنده لليهود، فوافق كوروش وعادت اليهود إلى بلادها، وهنا أعاد عُزير كتابة التوراة بما كان يتذكره، وخدم خدمةً جليلةً لليهود، لذا تحترمه اليهود لنجاتهم وإحيائه لدينهم.

ولهذا السبب سمّي من قبل بعض اليهود بـ«ابنُ الله».

وفي العـصر الحـالي، لا يوجد هذا الاعتقاد لدى اليهود، ولكن هذا المطلب (الذي جاء في القرآن) يحكي أنه كان يوجد مجموعة من اليهود في عصر الرسول﴿ص﴾ يعتقدون بهذا الاعتقاد.

إماتة عُزير وإحياءه بعد مئة سنة

جاءت قصة إماتة عُزير وإحياءه بعد مئة سنة في القرآن بإختصار في آية واحدة (البقرة: ٢٩٥)[٤٣]، وهنا نلفت نظركم إلى شرح لقصته كما جاء في الروايات:

كان يعيش والد ووالدة عُزير في بيت المقدس، فرزقهما الله عزّ وجلّ توأمان، أحدهما يسمى «عُزير»

والآخر «عزره»، فكبرا حتى وصلا إلى سن الثلاثين، وتزوج عُزير وحبلت امرأته ورزق فيما بعد بإبن.[٤٤]

وفي هذه الأيام (لما كان عمره ثلاثين سنة) عزم عزير على السفر، فخرج من بيته وودّع أهله وأقاربه وركب الحمار ومعه تين وقد تزود بشيء من العصير.

كان عزيرﷺ من أنبياء بني إسرائيل واستمر في سفره حتى وصل إلى صحراء، فرأى قرية خربة وأجسامٍ وعظامٍ بالية، فلما رأى هذا المنظر الموحش فكّر بالمعاد وإحياء الموتى فقال: ﴿أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها﴾.

وكان حديثه هذا ليس إنكاراً بل تعجباً منه ما أصاب هذه القرية، فأماته الله عند ذلك مائة عام ثم أحياه، فأتاه ملاك من عند الله عزّ وجلّ وقال له: كم لبثت؟

ففكّر أنه لم ينم إلا قليلاً قال: ﴿لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ فقال له: ﴿بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آيةً للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً﴾.

فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللحم يتألف إلى العظام من ههنا وههنا ويلتزق بها حتى قام وقام حماره فقال: ﴿أعلم أن الله على كلّ شيءٍ قدير﴾.[٤٥]

ويعني بذلك أنه اطمأن الآن من مسألة المعاد وغمر قلبه باليقين.[٤٦]

عودة عزيرﷺ الى بيته

فركب عزير حماره وعاد إلى بيته، وفي طريقه رأى كل شيء قد تغيّر، ولما وصل إلى بلده رأى المنازل والناس قد تغيّروا، وسار حتّى وصل إلى منزله فرأى عجوزاً قد انحنى ظهرها وذهب بصرها فسألها: هل هذا بيت عُزير؟

قالت العجوز: نعم هذا بيته، ولكنها بكت وقالت: لقد فقد عزير لعشرات السنين ونسيه الناس، فكيف تذكر اسمه على لسانك؟

قال عزير: أنا عزير، لقد أماتني الله لمئة سنة وأصبحت من الأموات ثم أحياني مرة أخرى.

فأنكرته العجوز والتي كانت والدته وقالت: لقد فقد ابني عزير منذ مائة سنة فإن كنت عزير (الرجل الصالح ومستجاب الدعوة) فادع لي يعيد الله لي بصري ويرفع عني ضعف الشيخوخة.

فدعا عزير ربه، فاستردّت العجوز بصرها وسلامتها فأبصرت ولدها وعرفته، وقبّلت رجليه، ثم أخذته إلى بني اسرائيل، وأخبرت أولادها وأحفادها عن عزير.

وعـاد بنفـس الملامـح التي كان عليها قبـل رحيله عنهم (رجـل عمره ثلاثين سـنة) وجاء الجميع لملاقاتـه بالرغـم مـن أنهم قد كبروا وعجـزوا، قال أحـد أولاد عزير: كان لأبي علامة عـلى كتفه، وبها يُعرف.

فرفـع بنـي إسرائيل قميصـه ورأوا تلك العلامة، وحتى يطمئنوا أكثر قـال أحد كبار بني إسرائيل لعزيـر: لقد سـمعنا أنه لما خرّب بخت نـصر بيت المقدس وأحرق التوراة، كان عـدد قليل من الناس، يُعدون على الأصابع، الذين قد حفظوا التوراة، وكان أحدهم عزير، فإن كنت هو فاقرأ لنا التوراة.

فقـرأ لهم عزير شـيئاً من التوراة فصدّقوه وباركوه وتعاهدوا معه عـلى دين الله عزّ وجلّ، ولكنهم أغووا إلى الكفر وقالوا: ﴿عزير ابن الله﴾.[٤٧]

سئل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: هل سمعت برجل أكبر سنّاً من أبيه؟

قال: نعم هو ابن عزير الذي كان أكبر من والده وعاش أكثر منه.[٤٨]

سأل عالم النصارى الامام الباقر عليه السلام: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت بابنين جميعاً حملتهما في سـاعة واحدة، وولدتهما في سـاعة واحدة، وماتا في سـاعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة في قبر واحد، فعاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة، من هما؟

فقـال أبـو جعفر عليه السلام: هما عزير و عزرة، كان حمل أمهما على ما وصفت، ووضعتهما على ما وصفت، وعاش عزرة مع عزير ثلاثـين سنـة، ثم أمات الله عزيرا مائة سنة وبقي عزرة يحيى، ثم بعث الله عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة.[٤٩]

(نهاية قصص حياة عزير عليه السلام)

قصة حياة لقمان عليه السلام

قصة حياة لقمان‌عليه السلام

مـن أحـد الحكماء الصالحـين في التاريـخ والذي جاء اسـمه المبـارك في القرآن مرتان[٥٠] وسـميت إحدى السور باسمه (سورة ٣١) هو لقمان‌عليه السلام، وقد ذكره الله عزّ وجلّ في هذه السورة وهو ينصح ابنه بنصائح عشرة حكيمة ومهمة للغاية وبيّنها القرآن في خمس آيات.[٥١]

ونفهم من القرآن أنه لم يكن نبيّاً وقد جاء في حديث رسـول الله‌صلى الله عليه وآله أنه قال: حقّاً أقول لم يكن لقمان نبيّاً ولكن كان عبداً كثير التّفكّر، حسن اليقين، أحبّ الله فأحبّه، ومنّ عليه بالحكمة.[٥٢]

خصائص لقمان‌عليه السلام

١- هـو «لقـمان بن عنقي بن مزيد بن صارون» ولقبه أبو الاسـود، وقيل أنه ابن خالة أو ابن أخت أيوب‌عليه السلام والذي يتصل نسبه إلى ناحور بن تارخ (أخو ابراهيم الخليل).

٢- كان لقمان‌عليه السلام من المعمّرين، حيث جاء في الروايات أنه عاش من مئتين سنة إلى ٥٦٠ سنة وقيل أنه عاش من ألف إلى ٣٥٠٠ سنة.

٣- كان نوبيّاً[٥٣] وكان عبداً أسوداً حبشيّاً، غليظ المشافر[٥٤]، مشقوق الرجلين.

٤- كان راعيـاً للأغنـام ومـولى للقين بـن حسر (أحد أثرياء بنـي إسرائيل) ثم أعتقـه لحكمته التي اشتهر بها.[٥٥]

يقـول المحدّث والمؤرخ المعروف المسـعودي: كان لقـمان نوبياً (الواقعة في أفريقيـا) مولى للقين بن حـسر، ولد على عشر سـنين من ملك داود‌عليه السلام، وكان عبداً صالحاً، ومـنّ الله عليه بالحكمة، ولم يزل في فيـافي الأرض مظهـراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بـن متى، حتى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل.[٥٦]

٥- جاء في الحديث أن لقمان قال لابنه: يا بني إنّي خدّمتُ أربعمائة نبيٍّ، وأخذتُ من كلامهم أربع كلماتٍ، وهي: إذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإذا كنت على المائدة فاحفظ حلقك، وإذا كنت في بيت الغير فاحفظ عينك، وإذا كنت بين الخلق فاحفظ لسانك.[٥٧]

ويظهر أنه عاش لفترة طويلة في أواخر عمره في فلسطين وبيت المقدس حيث روي أن قبره يوجد في «إيله» إحدى موانئ فلسطين، وقد قضى عمره في حكمة نظرية وعملية ومعرفة عالية، ويضيء اسمه النوراني في جبهة تاريخ الحكماء الزهّاد في العالم.

وكان له أولاد كثيرة فكان يجمعهم وينصحهم وكما يقول البعض أنه بالرغم من بدأه خطابه بكلمة «يا بني» إلا أنه كان يخاطب أبنائه جميعاً وبهذا الخطاب (الذي كان يخاطب به ابنه الكبير)[٥٨] وكالخطباء المهرة كان يجذب انتباه جميع أبنائه وينصحهم.

وقد جاء في القرآن جزء قليل من نصائح لقمان عليه السلام، وفي الواقع له نصائح كثيرة لا يمكن إيتائها جميعها هنا.[٥٩]

لماذا أوتي لقمان عليه السلام الحكمة

نقرأ في الآية (١٢) من سورة لقمان: «ولقد آتينا لقمان الحكمة»، وفي قمة حكم لقمان يكفي أن الله تعالى نصح في القرآن خلال ذكر نصائح لقمان (الآية ١٤ و ١٥ من سورة لقمان) وكأنه يقول أن نصائح لقمان هي نصائح إلهية، وطبقاً لتلك الآية أكّد الله جلّ وعلا حكمة لقمان عليه السلام، وهنا نتساءل كيف حصل لقمان عليه السلام على كل هذه الحكمة والعلم الغزير؟!.

الجواب: كان لقمان عليه السلام رجلاً طاهراً ومخلصاً وقد بذل جهده في صراط سيره في السلوك والعرفان، ونتيجة لمخالفته أهوائه النفسية وتحمّله الصعاب والرياضة وقتل النفس، أصبح لديه اللياقة حتى يشمله الله عزّ وجلّ بالالطاف الالهية الخاصة فينبع في ينابيع الحكمة، ومن خصائصه أنه كان يقضي أغلب أوقاته بالتفكر ويربّي روحه بأخذ العبر من الحوادث.[٦٠]

ومثلاً سلمان عليه السلام كان رجلاً قد بنى نفسه بنفسه، وعلى أثر مخالفته لأهواءه وطهارة نفسه وكسب الفيوضات المعنوية وصل مقامه إلى درجة أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام شبّهه بلقمان عليه السلام وقال: بخٍّ بخٍّ سلمان منّا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم؟ علم علم الأوّل وعلم الآخر.[٦١]

وعلى هذا الاساس كان سبب وصول لقمان عليه السلام، والذي كان أفريقياً وعبداً أسوداً وغير جميل، إلى المقام الجليل الحكمة هو إكتسابه روحاً طيّباً وقلباً صافياً وطاهراً، ولهذا جاء في الرواية، أنه سئل: ألست كنت ترعى الغنم معنا؟ فقال: نعم.

فقال: من أين أوتيت ما أرى؟

قال: قدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، والصمت عمّا لا يعنيني.[٦٢]

ونختم هذا المطلب بالحديث الذي نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله والامام الصادق‌عليه السلام حيث قالا: ما أخلص عبدٌ لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.[٦٣]

وقد سأل أحدهم الامام الصادق‌عليه السلام بماذا أوتي لقمان الحكمة قال الامام‌عليه السلام: أما والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله، متورعاً في الله، ساكتاً، سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهارا قط (بداية النهار)، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره وعموق نظره وتحفظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط مخافة الإثم، ولم يغضب قط، ولم يمازح إنسانا قط، ولم يفرح لشيء إن أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النساء وولد له الاولاد الكثيرة وقدم أكثرهم إفراطاً فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمر برجلين يختصمان أو يقتتلان إلا أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتى تحاجزا، ولم يسمع قولا قط من أحد استحسنه إلا سأل عن تفسيره وعمن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة مما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكر، ويداري نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلا فيما يعنيه، فبذلك أوتي الحكمة، ومنح العصمة.[٦٤]

وهنا نلفت نظركم إلى بعض قصص لقمان‌عليه السلام:

عشر نصائح كبيرة لابنه

جاء قسم من نصائح لقمان لابنه في القرآن في خمس آيات وهي مجموعة من العقائد والأخلاق وآداب المعاشرة وهي بهذا الترتيب:

١- ﴿يا بنيّ لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلمٌ عظيمٌ﴾.(إشارة إلى التوحيد)

٢- ﴿يا بنيّ إن تكُ مثقال حبّةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ﴾.(إشارة إلى المعاد)

٣ و٤ و٥ و٦- ﴿يا بنيّ أقم الصّلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾.

٧- ﴿ولا تُصَعِّر خدّك للنّاس﴾.

٨- ﴿ولا تمشِ في الأرضِ مرحاً إنّ اللهَ لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ﴾.
٩و١٠- ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوتُ الحمير﴾.(٦٥)
أشار لقمان عليه السلام في هذه النصائح العشرة إلى التوحيد والمعاد والصلاة، ثم تطرّق إلى أمرين اجتماعين وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم تحدّث عن الصبر والمقاومة والتحمل أمام المصاعب والحوادث الصعبة، ثم ذكر ثلاث نقاط مهمة في آداب المعاشرة، وحقّاً لو تمّت مراعاة هذه الأوامر العشرة فستظهر مدينة فضائل أخلاقية وإنسانية.

ظهور الحكمة على لسان لقمان عليه السلام

نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: أن الله تبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض، تحكم بين الناس؟

فقال لقمان: إن أمرني ربي بذلك فالسمع والطاعة، لأنه إن فعل بي ذلك أعانني عليه وعلمني وعصمني، وإن هو خيرني قبلت العافية.

فقالت الملائكة: يا لقمان لم؟

قال: لأن الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدين، وأكثر فتنا وبلاء ما يخذل ولا يعان، ويغشاه الظلم من كل مكان، وصاحبه منه بين أمرين: إن أصاب فيه الحق فبالحري أن يسلم، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سرياً شريفاً، ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كلتيهما، تزول هذه ولا تدرك تلك.

قال: فتعجبت الملائكة من حكمته، واستحسن الرحمن منطقه، فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم، وغطاه بالحكمة غطاء، فاستيقظ وهو أحكم الناس في زمانه، وخرج على الناس ينطق بالحكمة ويبينها فيها.

وكان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه وكان يقول داود له: طوبى لك يا لقمان! أعطيت الحكمة.(٦٦)

أول ما ظهر من حكم لقمان عليه السلام

أول ما ظهر من حكم لقمان عليه السلام أن تاجراً سكر وراهن نديمه أن يشرب ماء البحر كله وإلا سلّم إليه ماله وأهله، فلما أصبح وصحا وذهب سكره ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك، فأتى لقمان وطلب

منـه الخـروج من هذه المشـكلة (مع التوجه إلى أنـه كان مولاه)، فقال له لقمان: أنـا أخلصك بشرط أن لا تعود إلى مثله.

فقبـل التاجـر وقال له لقمان: لما يأتيك صاحبك ويطالبـك قل له: ءأشرب الماء الذي كان فيه وقتئذ (لمـا راهـن) فأتني به، أو أشرب ماءه الآن فسـدّ أفواهه لأشربـه، أو أشرب الماء الذي يأتي فاصبر حتى يأتي.

فأمسك صاحبه عنه، ومنذ تلك الحادثة عرفه الناس بالحكمة.[٦٧]

طبقاً لنقل تاريخ الأنبياء أن هذا التاجر كان مولاه «قين» الذي اشترى لقمان عليه السلام بثلاثين مكيال من الذهب، وبعد هذه الحادثة أعتق لقمان.[٦٨]

بعض قصص لقمان ومولاه

كما قلنا، كان لقمان عليه السلام عبداً أسوداً حبشياً يباع ويشترى وأخيراً أعتق، وهنا نلفت نظركم إلى بعض قصصه مع مولاه (أو مواليه):

١- التفكّر الطويل

وكان لقمان عليه السلام يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة.[٦٩]

٢- أطيب وأسوأ طعام

ذات يـوم دعـا مـولى لقمان لقمان عليه السلام فقـال: اذبح شـاة فأتني بأطيـب مضغتين منها، فأتـاه بالقلب واللسـان، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرط منها أخبث مضغتين، فأخرج القلب واللسـان فسأله عن ذلك فقال: إنهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيءٍ إذا خبثا.[٧٠]

٣- طول الجلوس على الحاجة

قيـل أن مـولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقـمان: إن طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد، ويورث الباسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هوناً، وقم هوناً، فكتب حكمته على باب الحش.[٧١]

٤- كشف سرّ ابيضاض لقمان وسواد الغلمان

كان لمولى لقمان غلمان ومزارع كثيرة، وكان مولى لقمان يرجّح سائر الغلمان على لقمان لأنهم كانوا بيض وكان لقمان أسود الوجه، فكان يوكلّ الأعمال الصعبة على لقمان والأعمال السهلة على باقي الغلمان مثلاً يأمر الغلمان بقطف الثمار ويأمر لقمان بالكنس، وكان يحقّر لقمان بالرغم من أنه كان أفضلهم لمعرفته وفكره وسيرته.

وهذا التعامل أدّى إلى أن يعامل الغلمان لقمان بنفس معاملة مولاهم، ولا يحسبون له حساب ويحقّرونه وأحياناً يؤذونه.

وفي إحدى الموارد أمر مولى لقمان الغلمان بقطف الثمار، فذهبوا إلى المزرعة وقطفوا الثمار وفي غياب مولاهم أكلوا الثمار، فلما طلبهم مولاهم وطلب الثمار كذبوا وقالوا: لقمان أكل الثمار.

فأصبح مولى لقمان يسيء إلى لقمان وينظر إليه بنظرة غضب.

فأدرك لقمان بذكائه حيلة الغلمان، فأتى مولاه وقال له: يا سيدي! اختبرنا حتى يظهر لك المسيء.

مولاه: كيف أختبركم؟

لقمان: اسقنا ماءاً حاراً ثم اركب خيلك واجعلنا نركض وراءك، وهكذا سيكشف لك سرّ آكل الفواكه!.

فعمل مولاه بذلك وأجبر الغلمان ولقمان بشرب الماء الحار، ثم ركب خيله وأمرهم بان يركضوا وراءه، فركضوا وراء مولاهم حتى أصابهم القيء وألقوا ما في بطونهم للخارج، فإذا هم يخرجون الفواكه، ويخرج لقمان ماءاً صافياً.

وبهذا الترتيب عرف مولى لقمان أن الغلمان هم الذين أكلوا الفواكه ولقمان بريء من التهمة المذكورة فابيضّ وجه لقمان، واسودّت وجوه الغلمان أمام مولاهم.[٧٢]

لذا لا تغفل عن يوم القيامة فمثل تلك الأسرار ستكشف وسيتميز المجرم عن المخلص.

٥- شكر لقمان ومعرفة الحق

كان لقمان الحكيم، ذلك الشيخ الجليل وصاحب الضمير الحي والتجارب، لمدة عبداً لمولى آخر، وكان لديه غلمان غيره، ولكنه كان يحب لقمان أكثر من سائر غلمانه، حتّى أنه كان يتبرك به فيجعله يجلس معه ويتناول معه الطعام ويجعل لقمان يبدأ أولا في تناول الطعام.

ذات يوم أهدي إلى مولى لقمان بطيخاً فجلس أمام لقمان وقطعها إلى قطع صغيرة، فكان يأخذ لقمان كل قطعة ويأكلها ويُظهر أنها لذيذة جداً.

فلما رأى المولى أن لقمان استلذ بالبطيخ أعطاه جميع القطع والتي كانت ثماني عشرة قطعة واحتفظ لنفسه قطعة واحدة.

لما أكل المولى القطعة الأخيرة وجدها مرّة فسأله: كيف أكلت كل هذه القطع المرّة؟ لماذا لم تكف عن الأكل ولم تخبرني بذلك ولم تبدِ أي اعتراض؟

فقال لقمان: لسنوات طويلة أعطيتني الطعام اللذيذ والآن أعطيتني طعاما مرّا فهل اعترض وأظهر لك ما لا يحق لي، بل معرفة حقك وشكرك اقتضا أن أشرب وآكل منها ولا أظهر أي شيء على وجهي.[٧٣]

إذن يا عبد الله أنت غارق في نعم الله فلو رأيت المرّ في حياتك للحظات قليلة فلا تعترض واشكر ربّك.

٦- فراق الأخ

سافر لقمان عليه السلام لسنوات طويلة ولما قدم عن سفره لقي غلامه في الطريق فقال له: ما فعل أبي؟

قال: مات، قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت امرأتي؟

قال: ماتت، قال: جدد فراشي، قال: ما فعلت أختي؟

قال: ماتت، قال: سترت عورتي، قال: ما فعل أخي؟

قال: مات، قال: انقطع ظهري.[٧٤]

٧- رضا الله وليس رضا الخلق

قال لقمان الحكيم لولده في وصيته: لا تعلق قلبك برضى الناس ومدحهم وذمهم فإن ذلك لا يحصل ولو بالغ الانسان في تحصيله بغاية قدرته.

فقال ولده: ما معناه؟ أحب أن أرى لذلك مثالاً أو فعالاً أو مقالاً.

فقال له: اخرج أنا وأنت، فخرجا ومعهما بهيمة فركبه لقمان وترك ولده يمشي وراءه، فاجتازوا على قوم فقالوا: هذا شيخ قاسي القلب، قليل الرحمة، يركب هو الدابة وهو أقوى من هذا الصبي، ويترك هذا الصبي يمشي وراءه، وإن هذا بئس التدبير!

فقال لولده: سمعت قولهم وإنكارهم لركوبي ومشيك؟ فقال: نعم، فقال: اركب أنت يا ولدي حتى أمشي أنا، فركب ولده ومشى لقمان، فاجتازوا على جماعة أخرى فقالوا: هذا بئس الوالد وهذا بئس الولد، أما أبوه فإنه ما أدب هذا الصبي حتى يركب الدابة ويترك والده يمشي وراءه، والوالد أحق

بالاحترام والركوب، وأما الولد فإنه عقّ والده بهذه الحال، فكلاهما أساءا في الفعال!

فقال لقمان لولده: سمعت؟

فقال: نعم، فقال: نركب معاً الدابة، فركبا معاً فاجتازا على جماعة فقالوا: ما في قلب هذين الراكبين رحمة، ولا عندهم من الله خير، يركبان معاً الدابة يقطعان ظهرها ويحملانها ما لا تطيق، لو كان قد ركب واحد ومشى واحد كان أصلح وأجود، فقال: سمعت؟

فقال: نعم، فقال: هات حتى نترك الدابة تمشي خالية من ركوبنا، فساقا الدابة بين أيديهما وهما يمشيان فاجتازا على جماعة فقالوا: هذا عجيب من هذين الشخصين، يتركان دابة فارغة تمشي بغير راكب ويمشيان!

وذموهما على ذلك كما ذموهما على كل ما كان، فقال لولده: ترى في تحصيل رضاهم حيلة لمحتال؟ فلا تلتفت إليهم، واشتغل برضى الله جلّ جلاله، ففيه شغل شاغل، وسعادة وإقبال في الدنيا ويوم الحساب والسؤال.(٧٥)

بعض حكم لقمان(عليه السلام)

حكم لقمان(عليه السلام) كثيرة والتي جاءت في أحاديث المعصومين الاربعة عشر(عليهم السلام)، وهنا نلفت نظركم إلى بعض منها مع رجاء التمعن فيها حتى ننال الفائدة منها: «يا بنيّ إنّ الدّنيا بحرٌ عميقٌ، وقد هلك فيها عالمٌ كثيرٌ، فاجعل سفينتك فيها الايمانُ بالله واجعل شراعها التوكّل على الله، واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك».(٧٦)

«يا بني من ذا الذي ابتغى الله فلم يجده؟ من ذا الذي لجأ إلى الله فلم يدافع عنه؟ أم من ذا الذي توكّل على الله فلم يكفه؟».(٧٧)

«يا بني اتّعظ بالنّاس قبل أن يتّعظ الناس بك، يا بني اتّعظ بالصغير(٧٨) قبل أن ينزل بك الكبير، يا بنيّ أملك نفسك عند الغضب، حتى لا تكون لجهنّم حطباً، يا بنيّ الفقر خيرٌ من أن تظلم وتطغى، يا بنيّ إيّاك أن تستدين فتخون في الدّيْن».(٧٩)

«يا بني اتّخذ ألف صديق وألف قليل، ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير».(٨٠)

«يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا».(٨١)

آداب السفر في حكم لقمان(عليه السلام)

عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: قال لقمان لابنه: إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتك إياهم

في أمـرك وأمورهـم، وأكثـر التبسـم في وجوههم، وكـن كريما عـلى زادك، وإذا دعـوك فأجبهم، وإذا اسـتعانوا بك فأعنهم، وأغلبهم بثلاث: بطول الصمت، وكثرة الصلاة، وسـخاء النفس بما معك من دابة أو مال أو زاد، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، وأجهد[٨٢] رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتى تقوم وتقعد وتنام وتصلي[٨٣] وأنت مستعمل فكرك وحكمتك في مشـورته، فإن من لـم يـمـحـض الـنـصـيـحـة لـمن استشـاره سـلبه الله تبارك وتعالى رأيه ونزع عنه الأمانة، وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدقوا وأعطوا قرضا فأعط معهم، واسـمع لمن هو أكبر منك سـنّا، وإذا أمروك بأمر وسـألوك فقـل: نعم، ولا تقـل: لا، فإن لا عي[٨٤] ولـوم، وإذا تـحـيـرتـم فـي طريقكم فانزلوا، وإذا شـككتم في القصـد وتؤامـروا[٨٥]، وإذا رأيتـم شـخصا واحدا فلا تسـألوه عـن طـريـقـكـم ولا تسترشـدوه، فـإن الشـخص الواحد في الفلات مريـب، لعله أن يكون عيناً للصوص، أو يكون هو الشـيطان الذي يـحـيـركـم، واحذروا الشـخصين أيضاً إلا أن تروا ما لا أرى، فإن العاقل إذا أبصر بعينه شـيئاً عرف الحـقّ منـه، والـشـــاهـد يرى ما لا يـرى الغائب، يـا بني فإذا جاء وقـت الصلاة فـلا تؤخرها لشيء، وصلها واسترح منها، فـإنـهـا ديـن، وصل في جماعة ولو على رأس زج[٨٦]، ولا تنامن على دابتك فإن ذلـك سريـع في دبرها، وليس ذلـك من فعل الـحـكـمـاء إلا أن تكون فـي مـحـمـل يمكنك التمدد لاسـترخاء المفاصل، وإذا قربت من الـمـنـزل فـانـزل عن دابتك، وابدء بعلفها قبل نـفسـك، وإذا أردت النـزول فعليك من بقاع الأرض بأحسـنها لونا، وألينها تربة، وأكثرها عشـبا، وإذا نزلت فصل ركـعـتـيـن قـبـل أن تجلـس، وإذا أردت قضاء حاجة فابعد المذهـب في الأرض، فإذا ارتحلت فصل ركعتـين، وودع الأرض التـي حللت بها، وسـلم عليها وعلى أهلها، فإن لـكل بقعة أهلا من الملائكة، وإن اسـتطعت أن لا تـأكـل طعاما حتى تبدء فتتصـدق منه فافعل، وعليك بقراءة كتاب الله عزّ وجلّ مـا دمت راكبا، وعليك بالتسـبيح ما دمـت عاملاً، وعليك بالدعاء ما دمت خاليا، وإياك والسـير من أول الليـل، وعليـك بالتعريـس والدلجة[٨٧] من لدن نصـف الليل إلى آخره، وإيـاك ورفع الصوت في مسيرك.[٨٨]

مقاطع أخرى من حكم لقمان عليه السلام

«يـا بنـي إن تخرج من الدنيا فقـيراً خير من أن تدع أمـرك وأموالك عند غيرك قيـماً فتصيره أميراً، يـا بنـي إن الله رهن النـاس بأعمالهم فويل لهم مما كسـبت أيديهم وأفئدتهم، يا بنـي لا تأمن من الدنيا والذنوب والشيطان فيها، يا بنـي إنه قد افتتن الصالحون من الأولين فكيف تنجو منه الآخرون؟

يـا بنـــي اجعل الدنيا سـجنك فتكون الآخـرة جنتك، يا بنـــي إنك لم تكلف أن تشـيل الجبال، ولم تكلف ما لا تطيقه، فلا تحمل البلاء على كتفك، ولا تذبح نفسك بيدك.

يـا بنـــي لا تجاورن الملوك فيقتلوك، ولا تطعهم فتكفر، يا بنـي جاور المسـاكين، واخصص الفقراء والمساكين من المسلمين.

يا بنـي كن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج العطوف، يا بنـي إنه ليس كل من قال: اغفر لي غفر له، إنه لا يغفر إلا لمن عمل بطاعة ربه.

يا بنـي الجار ثم الدار، يا بنـي الرفيق ثم الطريق، يا بنـي لو كانت البيوت على العمد ما جاور رجل جار سـوء أبدا، يا بنـي الوحدة خير من صاحب السـوء، يا بنـي الصاحب الصالح خير من الوحدة، يا بنـي نقل الحجارة والحديد خير من قرين السوء، يا بنـي إنـي نقلت الحجارة والحديد فلم أجد شيئا أثقل من قرين السوء، يا بنـي إنه من يصحب قرين السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم.

يـا بنـــي من لا يكف لسـانه يندم، يـا بنـي المحسـن تكافأ بإحسـانه، والمسيء يكفيك مسـاويه، لو جهدت أن تفعل به أكثر مما يفعله بنفسه ما قدرت عليه.

يا بنـي من ذا الذي عبد الله فخذله؟ ومن ذا الذي ابتغاه فلم يجده؟ يا بنـي ومن ذا الذي ذكره فلم يذكره؟ ومن ذا الذي توكّل على الله فوكله إلى غيره؟ ومن ذا الذي تضرع إليه جلّ ذكره فلم يرحمه؟

يـــا بـنـــي شـاور الـكـبـيـــر ولا تسـتحي من مشـاورة الصغير، يا بنـــي إياك ومصاحبة الفسـاق فإنـما هـم كالكلاب، إن وجدوا عـنـدك شـــيـئـا أكـلـوه، وإلا ذموك وفـضحـوك، وإنما حبهم بينهم ساعة». [٨٩]

إجابة لقمان على عدة أسئلة

قيل للقمان: أي الناس أشر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا.

وقيل له: ما أقبح وجهك!

قال: تعيب على النقش أو على فاعل النقش؟[٩٠]

وقيل للقمان: ما يجمع من حكمتك؟

قال: لا أسأل عما كفيته، ولا أتكلف ما لا يعنينـي.[٩١]

بعض مواعظ لقمان عليه السلام

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال: «يا بنـي إن تك في شك من الموت فارفع

عـن نفسـك النوم ولن تسـتطيع ذلـك، وإن كنت في شـك من البعـث فادفع عن نفسـك الانتباه ولن تسـتطيع ذلـك، فإنـك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسـك بيد غيرك، وإنما النـوم بمنزلة الموت، وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت».[٩٢]

ومن مواعظه أيضا:

«يا بنـيّ تعلّمتُ سـبعة آلاف من الحكمة، فاحفظ منها أربعا ومر معي إلى الجنة، احكم سـفينتك، فإنّ بحرك عميقٌ، وخفّف حملك فإنّ العقبة كؤودٌ[٩٣]، واكثر الزّاد، فإنّ السّـفر بعيدٌ، وأخلص العمل فإنّ الناقد بصيرٌ».[٩٤]

السؤال عن أربعة أشياء

عـن أبي عبـد الله الصـادق عليه السلام قـال: كان فيما وعظ به لقمان ابنـه: يا بنـي إن الناس قـد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له، وإنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل ووعدت عليه أجرا، فأوف عملك واستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمنت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجـع إليها آخر الدهر، أخربها[٩٥] ولا تعمرها فإنك لم تؤمر بعمارتها، واعلم أنك ستسـأل غدا إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، وما لك مما اكتسبته وفيما أنفقته فتأهب لذلك، وأعد له جوابا، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا، فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرهـا لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرك، وجد في أمرك، واكشـف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك، وجدد التوبة في قلبك، وأكمش في فراقك[٩٦] قبل أن يقصد قصدك ويقضي قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد.[٩٧]

لقمان عليه السلام وثلاثة نصائح لابنه

روي أن لقـمان الحكيـم وعـظ ابنه ونصحه بهـذه النصائـح الثلاثة:يا بني! أوصيك بهـذه النصائح الثلاثة واعمل بها ولا تنساها:

١- لا تفشين سرك إلى امرأتك.

٢- لا تصاحب عوان (رئيس الحرّاس آنذاك).

٣- لا تقترض من حديث العهد بالغنى.

ولما تـوفى لقـمان أراد ابنـه أن يختـبر نصائح أبيـه، ويرى مـدى ضرر عـدم الالتزام بها، فذبح شـاةً

ووضعهـا في كيـس وأتى بها إلى منزله ودفنها تحـت سريره وقال لزوجته: كان لي عـدو فذبحته ودفنته هنا، فاحرصي لا تخبري أحداً بهذا السر.

وكان عـوان جاره، فصاحبه ونشـأت علاقة صداقة بينهما، ثم ذهب إلى ثـري جمع ثروته حديثاً ولم يكن أصيلاً وكان يفتخر بثروته واقترض منه شيئاً من المال ووضعه في بيته.

وذات يوم حصل نزاع بينه وبين زوجته فصاحت زوجته وقالت: أيها القاتل، قتلت نفساً بغير حق ودفنته في بيتك! والآن تريد أن تقتلني...

فسـمع عـوان مـا قالت زوجتـه، وبالرغم مـن صداقتهـما إلا أنه ذهب فـوراً الى الملـك وأخبره بما جرى.

فأمر الملك بإحضار القاتل، فتطوّع عوان وقال أنه سيأتي به، فجاء عوان إلى دار ابن لقمان وأخرجه من بيته بكل مذلة وإهانة وتحقير ونسـى أنه كان صاحبه، وبدأ يجرّه الى قصر الملك، وفي مسـيره التقى بالثري، فلما رأى ابن لقمان بهذه الحالة أتاه أمام الناس وقال له بكل شدّة: لو أقاموا الحدّ عليك فسوف يضيع مالي، فاعطني ما أقرضتك، وفضحه أمام الناس بتصرفه الغير اللائق.

وبهـذا الترتيـب اجتمعت الناس حوله وجـرّوه بكل احتقار وإهانة إلى قـصر الملك، ولما وقف ابن لقمان أمام الملك قال له الملك: إنك ابن لقمان فكيف تقتل وتحدث الفتنة؟

ابن لقمان: لم أقتل أي رجل قط.

عوان: إنه كاذب، بل قتل رجلاً ودفنه في بيته.

ابـن لقـمان: اطلب من الملـك أن يصدر أمراً لإحضـار المقتول، وهو في الكيـس ومدفون في المكان الفلاني.

فأمر الملك بإحضار الجثة، فأوتي بيت لقمان ودلّت الزوجة على مكان الجثة، وأخرج الكيس وأخذ الى الملك، ففتح الملك الكيس فرأى شاة مذبوحة، فتعجّب الحاضرون.

فقال الملك: يا ابن لقمان! لماذا ذبحت الشاة ودفنتها في بيتك؟

قـال ابن لقـمان: لقد أوصاني أبي أن لا أفشي سري إلى امـرأتي، ولا أصاحب عوان ولا أقترض من الثري حديث الثروة.

فأردت أن أختبر نصائح أبي، ولما اختبرتها تأكدت من صدق حديثه وحكمه، واتضّح لي أن حديثه هـو الحقيقـة، ويجب على كل من يسـمح هذه النصائح أن يعمل بها وهـي أن لا يفشي سره إلى زوجته، ولا يقـترض مـن ثري حديث العهـد بالغنى، ولا يصاحب عوان، ويخـلي دار قلبه من صداقة الوضيع والحقير، حتى ينال السعادة في الدنيا والآخرة.[٩٨]

من حكم لقمان عليه السلام

مـن حكـم لقمان في طلـب العلم والعلـماء والادب: قال لابنه: يـا بني إنك منذ سـقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد، يا بني جالس العلماء وازحمهم بركبتيك، ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدنيا بلاغا، ولا ترفضها فتكون عيالا على النـاس، ولا تدخـل فيها دخولا يضر بآخرتك، وصم صوما يقطع شـهوتك، ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة، فإن الصلاة أحب إلى الله من الصيام.

يا بني إن الدنيا بحر عميق، قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سـفينتك فيها الايمان، واجعل شراعها التوكل، واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك.

يـا بنـي إن تأدبت صغـيرا انتفعت به كبيراً، ومن عنى بالادب اهتم به، ومـن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد له طلبه، ومن اشتد له طلبه أدرك منفعته فاتخذه عادة، فإنك تخلف في سلفك، وتنفع به من خلفك، ويرتجيك فيه راغب، ويخشى صولتك راهب، وإياك والكسل عنه بالطلب لغيره، فـإن غلبت على الدنيا فلا تغلبـن على الآخرة، فإذا فاتك طلب العلم في مظانه فقد غلبت على الآخرة، واجعل في أيامك ولياليك وسـاعاتك لنفسـك نصيباً في طلب العلم، فإن فاتك لم تجد له تضييعا أشـد مـن تركـه، ولا تمارين فيـه لجوجـا، ولا تجادلن فقيهـا، ولا تعادين سـلطانا، ولا تماشـين ظلوما، ولا تصادقنه، ولا تؤاخين فاسقا، ولا تصاحبن متهما، واخزن علمك كما تخزن ورقك.

من حكمه في الرجاء والخوف:

يـا بني خف الله خوفا لو أتيت يـوم القيامة ببر الثقلين خفت أن يعذبك، وارج الله رجاء لو وافيت القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر الله لك.

فقال له ابنه: يا أبه وكيف أطيق هذا وإنما لي قلب واحد؟

فقـال لقمان: يا بني لو اسـتخرج قلب المؤمن فشـق لوجد فيه نوران: نور للخـوف، ونور للرجاء، لـو وزنـا لما رجـح أحدهما على الآخر بمثقـال ذرة، فمن يؤمن بالله يصدق ما قـال الله، ومن يصدق ما قال الله يفعل ما أمر الله، ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدق ما قال الله، فإن هذه الأخلاق يشـهد بعضها لبعـض، فمـن يؤمن بالله إيمانا صادقا يعمل لله خالصـا ناصحا، ومن يعمل لله خالصا ناصحا فقد آمن بالله صادقاً، ومن أطاع الله خافه، ومن خافه فقد أحبه، ومن أحبه اتبع أمره، ومن اتبع أمره استوجب جنته ومرضاته، ومن لم يتبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه، نعوذ بالله من سخط الله.

يا بني لا تركن إلى الدنيا، ولا تشغل قلبك بها، فما خلق الله خلقا هو أهون عليه منها، ألا ترى أنه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين.[٩٩]

من حكمه في الرزق:

يا بنـي ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق أن الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسـب ولا حيلة، إن الله تبارك وتعالى سـيرزقه في الحال الرابعـة، أمـا أول ذلك فإنه كان في رحم أمه يرزقه هناك في قـرار مكين حيث لا يؤذيه حر ولا برد، ثم أخرجـه مـن ذلك وأجريله رزقا من لبن أمه يكفيه به ويربيه وينعشـه[١٠٠] من غير حول به ولا قوة، ثم فطم من ذلك فأجرى له رزقا من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتى أنهما يؤثرانه على أنفسـهما في أحوال كثيرة، حتى إذا كبر وعقل واكتسـب لنفسـه ضاق به أمره وظن الظنون بربه وجحد الحقوق في ماله، وقتر على نفسـه وعياله مخافة إقتار رزق، وسـوء يقين بالخلف[١٠١] من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بنـي.[١٠٢]

من حكمه في الدنيا والآخرة واختيار المجالس:

يـا بنـــي إن الدنيا بحـر وقد غرق فيهـا جيل كثير، فلتكن سـفينتك فيهـا تقوى الله تعـالى، وليكن جســرك إيمانـا، وليكـن شراعهـا التوكـل، لعـلك يا بنـــي تنجـو ومـا أظنك ناجيـا! يا بنـي كيف لا يخـاف الناس ما يوعدون[١٠٣] ينتقصـون في كل يوم، وكيف لا يعد[١٠٤] لما يوعد من كان له أجل ينفذ، يـا بنـي خذ من الدنيا بلغة، ولا تدخل فيهـا دخولا تضر فيها بآخرتك، ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس، وصم صياماً يقطع شـهوتك، ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة، فإن الصلاة أعظم عند الله من الصوم، يا بنـي لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء، أو تماري به السفهاء، أو ترائي به في المجالس، ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة، يا بني اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوما يذكرون الله فاجلس إليهم، فإنك إن تكن عالما ينفعك علمك ويزيدوك علماً، وإن تكن جاهلا يعلموك، ولعل الله تعالى أن يظلهم برحمة فيعمك معهم.[١٠٥]

من حكمه في التكبر:

يـا بنـــي إنك منذ يـوم هبطت من بطن أمك اسـتقبلت الآخرة واسـتدبرت الدنيـا، فإنك إن نلت مسـتقبلها أولى بك من مسـتدبرها، يـا بنـي إياك والتجـبر والتكبر والفخر فتجاوز إبليـس في داره، يا بنـي دع عنك التجبر والكبر، ودع عنك الفخر، واعلم أنك سـاكن القبور، يا بنـي اعلم أنه من جاور إبليـس وقـع في دار الهوان، لا يموت فيها ولا يحيى، يا بنـي ويل لمن تجبر وتكبر، كيف يتعظم من خلق من طين، وإلى طين يعود ثم لا يدري إلى ما يصير إلى الجنة فقد فاز، أو إلى النار فقد خسر خسراناً مبيناً وخـاب؟ يـا بنـــي كيف ينام ابن آدم والموت يطلبـه؟ وكيف يغفل ولا يغفل عنه؟ يـا بنـي إنه قد مات أصفياء الله عزّ وجلّ وأحباؤه وأنبياؤه صلوات الله عليهم، فمن ذا بعدهم يخلد فيترك؟[١٠٦]

ومن حكمه أيضاً:

يا بني أحسن إلى من أساء إليك، ولا تكثر من الدنيا فإنك على رحلة منها، وانظر إلى ما تصير منها، يا بني لا تأكل مال اليتيم فتفتضح يوم القيامة، وتكلف أن ترده إليه، يا بني لو أنه أغنى أحد عن أحد لا غنى الولد عن والده، يا بني إن النار يحيط بالعالمين كلهم فلا ينجو منها أحد إلا من رحمه الله وقربه منه، يا بني لا يغرنك خبيث اللسان فإنه يختم على لسانه، وتتكلم جوارحه وتشهد عليه، يا بني لا تشتم الناس فتكون أنت الذي شتمت أبويك(١٠٧).

يا بني لا يعجبك إحسانك، ولا تتعظمن بعملك الصالح فتهلك، يا بني أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، يا بني ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا.

يا بني إن كل يوم يأتيك يوم جديد يشهد عليك عند رب كريم، يا بني إنك مدرج في أكفانك ومحل قبرك، ومعاين عملك كله، يا بني كيف تسكن دار من أسخطته؟

يا بني عليك بما يعنيك، ودع عنك ما لا يعنيك، يا بني لا تؤثرن على نفسك سواها(١٠٨)، ولا تورث مالك أعداءك، يا بني إنه قد أحصي الحلال الصغير فكيف بالحرام الكثير؟ يا بني اتق النظر إلى ما لا تملكه، وأطل التفكر في ملكوت السماوات والارض والجبال وما خلق الله، فكفى بهذا واعظاً لقلبك.

يا بني اقبل وصية الوالد الشفيق، يا بني بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك وقبل أن تسير الجبال سيراً، وتجمع الشمس والقمر، وتغير السماء وتطوى، وتنزل الملائكة صفوفاً خائفين حافين مشفقين، وتكلف أن تجاوز الصراط، وتعاين حينئذ عملك وتوضع الموازين وتنشر الدواوين.(١٠٩)

وأيضا قال:

يا بني ادع الله ثم سل في الناس هل من أحد دعا الله فلم يجبه؟ أو سأله فلم يعطه؟ يا بني ثق بالله العظيم عزّ وجلّ، ثم سل في الناس هل من أحد وثق بالله فلم ينجه؟ يا بني توكل على الله، ثم سل في الناس من ذا الذي توكل على الله فلم يكف؟ يا بني أحسن الظن بالله ثم سل في الناس، من ذا الذي أحسن الظن بالله فلم يكن عند حسن ظنه به؟

يا بني من يرد رضوان الله يسخط نفسه كثيراً، ومن لا يسخط نفسه لا يرضى ربه، ومن لا يكظم غيظه يشمت عدوه، يا بني تعلم الحكمة تشرف، فإن الحكمة تدل على الدين، وتشرف العبد على الحر، وترفع المسكين على الغني، وتقدم على الغني، وتقدم الصغير على الكبير، وتجلس المسكين مجالس الملوك وتزيد الشريف شرفا، والسيد سؤددا، والغني مجدا، وكيف يظن ابن آدم أن يتهيأ له أمر

دينه ومعيشته بغير حكمة؟ ولن يهيئ الله عزّ وجلّ أمر الدنيا والآخرة إلا بالحكمة ومثل الحكمة بغير طاعة مثل الجسد بلا نفس، أو مثل الصعيد بلا ماء، ولا صلاح للجسد بلا نفس، ولا للصعيد بغير ماء، ولا للحكمة بغير طاعة.[١١٠]

(نهاية قصص لقمان عليه السلام)

قصة أصحاب الجنة و توبتهم

قصة أصحاب الجنة وتوبتهم

جاء في القرآن في سورة القلم من الآية ١٦ وحتى الآية ٣٣ الحديث عن قصة حرق بستان بصاعقة نزلت من السماء، وكان ذلك عقاباً لأصحاب البستان، لعدم إعطائهم حقوق الفقراء والمساكين وهنا نلفت نظركم إلى هذه القصة التي جاءت في روايات وأحاديث المفسّرين:

في العصور الماضية، قبل الاسلام، كانت تقع قرية «صروان» في اليمن وتبعد عن مدينة صنعاء في حدود أربعة أميال، وكان يعيش فيها شيخ كانت له جنة خضراء ومثمرة وكان لا يدخل بيته ثمرة منها حتى يعطي كل ذي حق حقه، وكان يوصي أبناءه بأن لا يحرموا الفقراء والضعفاء والمساكين عن حقوقهم، فلما توفى الشيخ وورثه بنوه وكان له خمسة من البنين فحملت جنتهم في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملاً لم يكن حملته قبل ذلك، فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر فأشرفوا على ثمرة ورزق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا وقال بعضهم لبعض أن أبانا كان شيخاً كبيراً قد ذهب عقله وخرف فهلموا نتعاهد ونتعاقد فيما بيننا أن لا نعطي أحداً من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئاً حتى نستغني وتكثر أموالنا ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة، فرضي بذلك منهم أربعة وسخط الخامس وهو الذي قال الله تعالى: ﴿**قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون**﴾.

وكان أصغر القوم سنّاً وكان أكبرهم عقلاً فقال لهم أوسطهم: اتقوا الله وكونوا على منهاج أبيكم تسلموا وتغنموا، فبطشوا به فضربوه ضرباً مبرحاً فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارهاً لأمرهم غير طائع فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يصرموه إذا أصبحوا ولو يقولوا إن شاء الله، فابتلاهم الله بذلك الذنب وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه، فأنزل الله عليها صاعقة فاحترقت وأصبحت كالصريم، فلما أصبح القوم تنادوا مصبحين ان اغدو على

حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهو يتخافتون (أي يتسارون بعضهم بعضاً لكي لا يسمع أحد غيرهم) فقالوا: لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حَرْدٍ قادرين، وفي أنفسهم أن يصرموها ولا يعلمون ما قد حل بهم من سطوات الله ونقمته، فلما رأوها وعاينوا ما قد حلّ بهم قالوا: ءإنا لضالون بل نحن محرومون، فحرمهم الله ذلك الرزق بذنب كان منهم ولم يظلمهم شيئاً فقال أوسطهم: ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، ويلومون أنفسهم فيما عزموا عليه وقالوا: يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون، فقال الله عزّ وجلّ: كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.[١١١]

عن عبد الله بن مسعود قال: لما تابوا توبة حقيقية، وهبهم الله بستان وجنة أخرى تسمى «حَيَوان» والتي كانت بها أشجار كثيرة ومثمرة وكانت حبات عنبها كبيرة جداً.[١١٢]

(نهاية قصة أصحاب الجنة)

قصـــــة قوم سبأ

قصة قوم سبأ وعاقبة كفرانهم للنعم

جاء ذكر قوم سبأ في القرآن حيث كانوا يسكنون اليمن وكانت قراهم ذات بساتين خصبة مشتبكة بعضها ببعض وكانت كثيرة الفواكه ولما طغوا وعملوا بالمعاصي وبغوا وتمردوا على الله تعالى ونهاهم الصالحون فلم ينتهوا ودعاهم الأنبياء فلم يقبلوا دعائهم، عاقبهم الله عقاباً شديداً فأبدل جنتهم على صحراء قاحلة، وقد جاء ذكر هذه القصة في القرآن في سورة سبأ من الآية (١٥) إلى الآية (١٩)، وهنا نلفت نظركم إلى القصة:

قال سدير: سأل رجل أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فقالوا ربّنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل ممزّقٍ**﴾.

فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا بأنعم الله وغيّروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم[١١٣] فغرق قراهم، وأخرب ديارهم، وذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل[١١٤] وشيء من سدر قليل، ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور**﴾.[١١٥]

هدم الجرذ سدّ مأرب العظيم

كانت بلاد سبأ تتميز بتمدنها العظيم والتي ظهرت عظمتها بعد حكومة داود وسليمان عليهما السلام العظيمة وملكهم العظيم.

وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما، فقام قوم سبأ ببناء سدّ «مأرب»[١١٦] العظيم وسدّوا بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى المياه فتحوا من السدّ قدر حاجتهم لزرعهم وبساتينهم، وكانت الجنان في بلاد سبأ عظيمة وكثيرة الأثمار وكانت خصبة وكان من كثرة النعم أن المرأة تمشي والمكتل

(السلة) على رأسها فتمتلىء بالفواكه من غير أن تمسّ بيدها شيئاً.

وكانت قراهم كثيرة ذات بساتين خصبة مشتبكة بعضها ببعض[١١٧]، ولكنهم بدلاً من أن يشكروا الله جلّ جلاله، عملوا بالمعاصي وطغوا وتمردوا على الله تعالى، فتكونت الطبقات في مجتمعهم وقامت الأقوياء باستضعاف واستثمار الآخرين الضعفاء، حتى أنهم كانوا يقولون كما قال الله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿ربّنا باعد بين أسفارنا﴾[١١٨]، حيث سألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد.

فغضب الله عليهم وبعث على سدّهم الجرذ ونقّبت السدّ[١١٩] فخربت مياههم وقنواتهم، ومن جهة أخرى جاءهم سيل عظيم فحطّم السدّ، وغرق قراهم وخرّب ديارهم وذهب أموالهم وبدّل جناتهم إلى جنات من أكل خمط وأثل وسدر[١٢٠]، فهاجرت الطيور وظلّت البوم والغربان في ديارهم الخربة.

ويقول القرآن: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾.[١٢١]

عدم الاهتمام بدعوة ثلاثة عشر نبيّاً

وقيل إنها كانت ثلاث عشرة قرية في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾، كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم فهذه بلدة طيبة مخصبة نزهة أرضها عذبة، تخرج النبات وليست بسبخة، وليس فيها شيء من الهوام الموذية.

ولكنهم لم يعتنوا بنصائح أنبيائهم وزادوا على طغيانهم، نتيجةً لذلك أرسل الله تبارك وتعالى عليهم الجرذ وسيل العرم فبدّل جنتيهما على جنتين ذواتا أكل خمط وأثل وشيء من السدر.[١٢٢]

أوضاع قوم سبأ

نقل عن الامام الصادقعليه السلام أنه قال: إنّي لألعق أصابعي من المأدم حتى أخاف أن يرى خادمي أن ذلك من جشع، وليس ذلك كذلك (لترك الاسراف)، إن قوماً أفرغت عليهم النعمة وهم أهل الثرثار(هم قوم سبأ) فعمدوا إلى مخ الحنطة فجعلوه خبزاً هجاء فجعلوا ينجون به صبيانهم حتى اجتمع من ذلك جبل، قال: فمرّ رجل صالح على امرأة وهي تفعل ذلك بصبي لها، فقال: ويحكم اتقوا الله لا تغيروا ما بكم من نعمة.

فقالت: كأنك تخوفنا بالجوع؟ أما مادام ثرثارنا (الماء المبارك) يجري فإنا لا نخاف الجوع.

قـال: فأسـف الله عـزّ وجلّ وضعـف لهم الثرثـار وحبس عنهم قطر السـماء ونبـت الارض، قال: فاحتاجوا إلى ما في أيديهم فأكلوه، ثم احتاجوا إلى ذلك الجبل، فإن كان ليقسم بينهم بالميزان.[١٢٣]

وقد جاءت روايات كثيرة ومتعددة عن كفر قوم سبأ بالنعم ونزول الهلاك والقحط عليهم.[١٢٤]

ونقرأ في الآية ١١٢ و ١١٣ من سورة النحل:

﴿وضرب اللهُ مثـلاً قريـةً كانـت آمنةً مطمئنـةً يأتيها رزقها رغـداً من كلّ مكانٍ فكفـرت بأنعم الله فأذاقهـا الله لبـاس الجـوع والخوف بما كانـوا يصنعـون، ولقد جاءهم رسـولٌ منهم فكذّبـوه فأخذهم العذابُ وهم ظالمون﴾.

وعلى حسـب قول بعض المفسـرين أن الآية السـابقـة نزلت في قـوم سـبأ، ولإكمال قصة قوم سبأ نلفت نظركم إلى القصة الآتية:

قـال الامام الصـادقعليه السلام: كان أبي (الامام الباقرعليه السلام) يكره أن يمسـح يـده في المنديل وفيه شيء من الطعـام تعظيـماً لـه إلا أن يمصهـا، أو يكـون إلى جانبه صبي فيمصهـا، قال: فإني أجد اليسـير يقع من الخـوان فأتفقـده فيضحك الخـادم، ثم قال: إن أهل قرية ممن كان قبلكم كان الله قد وسـع عليهم حتى طغوا، فقال بعضهم لبعض: لو عمدنا إلى شيء من هذا النقي فجعلناه نسـتنجي به كان ألين علينا من الحجارة.

قالعليه السلام: فلما فعلوا ذلك بعث الله على أرضهم دواباً أصغر من الجراد فلم تدع لهم شيئاً خلقه الله إلا أكلته من شجر أو غيره، فبلغ بهم الجهد إلى أن أقبلوا على الذي كانوا يستنجون به، فأكلوه وهي القرية التي قال الله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة﴾ إلى قوله: ﴿بما كانوا يصنعون﴾.[١٢٥]

(نهاية قصة قوم سبأ)

قصة الأخوين المؤمن والمغرور

قصة الاخوين المؤمن والمغرور

في العصـور القديمـة كان يعيش ملـك في بني إسرائيل له ولدان، أحدهما يسـمى «تمليخا» والآخر «فُطرُس»(١٢٦)، وتوفى الملك وترك لهم ثروة طائلة.

وكان تمليخا رجلاً مؤمناً ودائماً يفكر بيوم القيامة والحساب، وبالاعمال الصالحة ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ولكـن فُطـرُس كان رجلاً يهوي الدنيا وشـهواته، ولا يعتني بالله جـلّ جلاله ولا بأمور الدين والمعاد، وكان يفكّر فقط في زينة الدنيا.(١٢٧)

وجـاء ذكـر هذيـن الأخويـن في القـرآن في سـورة الكهـف مـن الآيـة (٣٢) وحتى الآيـة (٤٤)، كنموذجين من الانسان الطيب والانسان السيئ.

فأخـذ كلاهمـا نصيبهـا مـن الإرث، واتّخذ تمليخا ثـروة أبيه سـلماً للصعود إلى الآخرة، واسـتغلّها أحسـن اسـتغلال في تأمين حوائج المحتاجين، ولكن كان فُطرس يسـتغل ثروة أبيه في إرضاء شـهواته وزيادة أمواله ولا يعطي شيئاً للمحتاجين والفقراء.(١٢٨)

واشـترى بأمواله بسـتانان كبيران عظيمان، كثيرتا الثمار، وفيهما نخل وزروع وماء، وكما قال الله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً﴾.(١٢٩)

وبدلاً من أن يشـكر فطرس ربه أعتقد أنه أفضل من أخيه وأحسـن لأنه سـيكون غارقاً بالنعم إلى الأبد، ولكن تمليخا اكتفى بالقليل لنفسه وصرف الباقي في الأعمال الصالحة.

فكان فطرس يحتقر أخاه ولكن تمليخا كان ينصحه ويرحمه ويسـعى لإخراجه من أعماله الباطلة إلى الله جلّ جلاله.

فافتخر فطرس على أخيـه، وقال له: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً﴾، ثم دخل بسـتانه وقال: ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبداً، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾.(١٣٠)

فكان مغروراً بنفسه وتصـوّر أنه سيكون له في الآخـرة ما عنده في الدنيا، وكان يهين تمليخا بالزينة الدنيوية الظاهرية.

نصائح الأخ المؤمن الحكيمة والرؤوفة

وكان تمليخـا يتـألم لرؤية أخيه بهذه الحالة لذا كان يحـاول أن يخرجه مما هو فيه ويقول له: ﴿أكفرت بالـذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سـواك رجلاً، لكنا هـو الله ربّي ولا أشرك بربي أحداً، ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً﴾.[١٣١]

احتراق البستان وتبديله إلى صحراء قاحلة

فلم يهتم فطرس بنصائح تمليخا، واستمر على ما كان عليه من غفلة، وعدم إعطاء الفقراء حقوقهم وداوم على إرضاء شهواته.

فغضب الله عليه وفي ليلة ظلماء أرسل صاعقة على البساتين وأحرقهما، وجفّت المياه وخرّبت المباني التي كانت بجانب البساتين.[١٣٢]

فلـما أصبح فطرس ذهب إلى بسـتانه كعادته، وحينما وصل الى بسـاتينه وجدها محترقة وتحولت إلى صحراء قاحلة والمباني قد خربت، وقد طارت الطيور وجاءت البوم والغراب مكانها.

حينـذاك انتبـه إلى صحة حديث أخاه، وندم لعدم سـماعه لنصائح أخيه، فأخـذ يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها وقال: ﴿يا ليتني لم أشرك بربّي أحداً﴾.

﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً، هنالك الولايةُ لله الحقّ هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً﴾.[١٣٣]

نعم، لا يفيد الندم بعدما ضيّع فرصته للصعود إلى الآخرة فليس لديه أموال ولا ثروة حتّى يستغلّها في منفعة حاجات المجتمع والفقراء.

نعـم هـذه هي عاقبة من اشـترى زينة الحياة الدنيا وبـاع آخرته وعاقبة المغرور الـذي ابتعد عن الله عزّ وجلّ والقيامة والحساب والذي لم يكن يهتم إلا بشهواته النفسية، ولكن المؤمن حفظ ماء وجهه في الدنيا والآخرة لانتباهه وتوجّهه إلى الله ويوم القيامة.

(نهاية قصة الأخوين المؤمن والمغرور)

قصــة هاروت وماروت

قصة هاروت وماروت

في العصور القديمة وخاصة بعد عصر سليمانعليه السلام راج السحر بين أهل بابل بصورة عجيبة.

ومدينة بابل هي من المدن التاريخية القديمة التي بنيت منذ خمسة آلاف سنين، وتشمل المنطقة الواسعة بين نهر الفرات ونهر الدجلة، وكانت ذات حضارة عظيمة وعريقة وكانت كبيرة جداً حتى سمّيت ببلاد بابل.

وكان فيها مدن كبيرة وقلاع عالية، وقصور ومعابد عظيمة وهناك آثار باقية لتلك المدن والمباني حتى الوقت الحاضر.

وكان السحر رائج كثيراً بين أهل بابل، وكانوا يستخدمون الطلاسم وينثرون الماء لأعمالهم العجيبة...[١٣٤]

ويستفاد من التاريخ أن سليمانعليه السلام قد جمع جميع الكتب وأوراق السحرة من أهل بابل وأمر بأن يحفظ في مكان خاص (وكان ذلك حتى يحفظ المطالب المفيدة والمهمة لإبطال السحر).

وفعل سليمانعليه السلام ذلك حتى يقضي على السحر.

ولكن بعد وفاة سليمانعليه السلام توصل قوم من المنافقين إلى تلك الكتب والأوراق وبدأوا بنشر وتعليم السحر.

وللقضاء على السحر وأضراره كان لا بد من أن يتعلم الناس السحر نفسه حتى يبطلوا به أضراره.[١٣٥]

فبعث الله عزّ وجلّ «هاروت وماروت» ملكين على هيئة الانسان حتى يعلما الناس السحر ويتحرزوا به من سحر السحرة، ويبطلوا به كيدهم، ولأنهما بعثا لإبطال السحر فقط فكانا يقولان للناس: «إنّما نحن فتنةٌ فلا تكفر» (ويعنيان أن لا تسيئوا الاستفادة من هذا العلم).

ولكنهم كانوا يسيئون استخدام السحر فكانوا يفرقون بين المرء وزوجه، وقد حذّرهم الله جلّ جلاله بشدة من عاقبة أعمالهم.[١٣٦]

وكانت هذه هي فلسفة وجود هاروت وماروت كما قال الامام الرضا عليه السلام: وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليتحرزوا به من سحر السحرة، ويبطلوا به كيدهم، وما علما أحداً من ذلك إلا قالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه، وجعلوا يفرقون بما يعرفونه بين المرء وزوجه، قال الله عزّ وجلّ: «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله» يعني بعلمه.[١٣٧]

(نهاية قصة هاروت وماروت)

قصة قوم تبّع

قصة قوم تبّع

كان ملك اليمن يسمى بـ«تُبّع» وجمعها «تبايعة»، والتبايعة اسم ملوك اليمن وتُبّع لقب للملك، كما يقال خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم، وفرعون لملك مصر وكسرى لملك إيران.

التبايعة كانت سلسلة من الملوك التي كانت في اليمن ذات حضارة عظيمة وجيوش عظيمة، وذات قدرة عظيمة، وكان بعضهم من الصالحين وبعض الآخر طواغيت.

وكان يسمى أحدهم «أسعد أبو كرب» والذي كان صالحاً طبقاً لما جاء في الروايات، ولكن قومه كان من الضّالين وقد هلكوا.

وكان أسعد ملك قوي وقد فتح بجيشه بلدان كثيرة وجعلها تحت رايته.

وهنا نلفت نظركم إلى قصة فتحه المدينة ومكة:

جاء تُبّع (أسعد أبو كرب) في إحدى فتوحاته إلى المدينة لفتحها، وحاصرها وبعث إلى علماء اليهود أنه سيهلك المدينة وأهلها، حتى لا يبقى فيها أي يهودي ويبقى دين العرب.

قال أعلم علماء اليهود ويسمى «شامول»: أيها الملك! هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره.

ثم ذكر بعض أوصاف النبيﷺ، فتناهى تُبّع عن ذلك وانصرف عن المدينة، ثم أمر أسعد بعض قبيلة الأوس والخزرج الذين كانوا معه بأن يبقوا في المدينة حتى يظهر النبي الموعود، وينصرونه ويوصون أبنائهم بذلك.

قال الامام الصادقعليه السلام: إن تبعاً قال للأوس والخزرج: كونوا ها هنا حتى يخرج هذا النبي، أما أنا لو أدركته لخدمته ولخرجت معه.[١٣٨]

وكتب كتاب إلى النبيﷺ يذكر فيه إيمانه وإسلامه، وأنه من أمته فليجعله تحت شفاعته.[١٣٩]

وروي عن النبيﷺ أنه قال: لا تسبّوا تُبّعاً فإنه كان قد أسلم.(١٤٠)

ثم أراد أن يفتح مكة فلما وصل إلى مكة كان معه أربعة آلاف رجل من العلماء، وأراد أن يخرّب مكّة ويقتـل أهلها، فأخـذه الله بالصدام، وفتح عن عينيه وأذنيه وأنفه وفمه مـاء منتناً عجزت الأطباء عنه، وقالوا: هذا أمر سماوي،وتفرقوا.

فلما أمسـى جاء عالم إلى وزيره وأسر إليه إن صدق الأمير بنيته عالجته، فاسـتأذن الوزير له فلما خلا به قال له: هل أنت نويت في هذا البيت أمراً؟

قال: كذا وكذا، فقال العالم: تب من ذلك ولك خير الدنيا والآخرة.

فقـال: قـد تبت مما كنت نويت فعوفي في الحال، فآمن بالله، وبإبراهيم الخليلعليه السلام، وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أول من كسا الكعبة.(١٤١)

وحصل هذا الفتح وكساء الكعبة في السنة الخامسة للميلاد قبل ولادة الرسولﷺ.(١٤٢)

وعلى كل حال كان تُبّع (أسـعد) رجـلاً يحترم المقدّسـات الدينية، ولكن قومه كانـوا من الضالين وأصابهم الغرور لكثرة فتوحاتهم وكسـبهم القوة والقدرة، لذا أهلكهم الله عزّ وجلّ كما يقول في الآية (٣٧) من سورة الدخان:

﴿أهم خيرٌ أم قوم تُبّعٍ والذين من قبلهم أهلكناهم إنّهم كانوا مجرمين﴾.

وفي الآية (١٤) من سـورة «ق» أيضا ذكر الله تبارك وتعالى قوم تُبّع من ضمن المكذّبين بالرسـل مع أصحاب الأيكة (قسم من قوم شعيب) والذين أهلكوا بعذاب شديد.

وكانـت هـذه قصة قوم تُبّـع الذين كانوا أقوياء وأشـداء وأصحـاب قدرة ولكن نتيجـةً لغرورهم وذنوبهم شـملهم الله بغضبـه، وحطّم قوتهم وقدرتهم وأهلكهم، لـذا لا يتصور مشركي قريش الذين هم أضعف من قوم تُبّع، أنهم يستطيعون مخالفة الإسلام وإظهار قوتهم وإلا سيصيبهم ما أصاب قوم تُبّع.

وبالرغـم مـن قصة قوم تّبـع إلا أنه من النادر وجود قوم فاسـدين وضالين ويكـون قائدهم رجلاً صالحاً، ثم يهلكوا ويعاقبوا على أفعالهم.

(نهاية قصة قوم تبع)

قصة أصحاب الأخدود

قصة أصحاب الأخدود

جـاء في القرآن في سـورة الـبروج خمس آيات (من الآيـة ٤ الى الآية ٨) بخصوص حادثة الشـهادة المؤلـة للمسـيحيين المؤمنـين، والتـي حصلت قبل ظهور رسـول الله ﷺ وهـي القصـة المعروفة بقصة أصحـاب الأخـدود، وهنـا نلفت نظركـم إلى قصتهم والتي تعلمنـا الإيثار والفداء ومـن جهة أخرى تعلمنا عاقبة الظالمين:

قلنـا مـن قبل أن تاريخ اليهود مليء بالجنايات الوحشـية، وإحدى هـذه الجنايات المرعبة هي حرق عشرون ألفاً من المسيحيين المؤمنين بنجران في الأخاديد.

توضيح

ذو نواس كان آخر من ملك من حمير وكان ملكاً على اليمن، وسمي نفسه يوسف وقد تهوّد، ودعا قبيلة حمير وسـائر الناس إلى دين اليهودية فاجتمعت معه حمير وسـائر قبائل اليمن على اليهودية وأقام في ملكه زماناً.

ولـكـن كـان بـنـجـران، والـتـي فيهـا سـبعون قريـة وهـي مـن اليمـن، بقايـا قوم عـلى دين النصرانيّة.

ذو نواس كان طاغوت وظالم وكان يريد أن يجعل الدنيا تحت إمرته وأراد أن يجعل جميع أهل اليمن يدينون باليهودية.

وفي هذه الأجواء، جاء رجل من نجران إلى صنعاء وذهب إلى قصر ذي نواس، لما وصل إلى القصر قال للحارس: لقد أتيت من نجران وأحمل رسالة للملك.

فقال الحارس: لا يمكنك اللقاء بالملك، ولكن إن كنت تصر على ذلك فاصبر حتى يخرج الملك من

القصر وستلتقي به.

وأخبر الوزير الملك بخبر القادم من نجران فسمح له بالدخول ثم قال له ذو نواس: ما الأمر؟

النجراني: أنا من نجران، وقد حدث ما لا يحمد عقباه في نجران، ومن الممكن أن يسري إلى بقية مدن اليمن بل إلى العالم كله.

ذو نواس: ماذا حدث؟

النجراني: دخل نجران دين جديد يسمى بالنصرانية، وقد آمن به عبّاد الأوثان، وحتى بعض اليهود آمنوا بهذا الدين، وقاموا بتعذيب اليهود الذين لم يؤمنوا بالنصرانية، فإن لم تنصرنا هلكت نجران.

فقرر ذو نواس، بعدما تحقق في علل نفوذ المسيحية إلى نجران، أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية، فجهّز جيشه وسار به إلى نجران وحاصروها.

فجمع من كان بها على دين النصرانية ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها، ولكنهم أبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها فغضب ذو نواس فخدّ لهم خدوداً وجمع فيها الحطب وأشعل فيه النار.

أخاديد طاغوت اليمن

فأمر ذو نواس جنوده بأن يحرق المسيحيين، فأحرقهم بالنار وخلت نجران من النصرانيّة، ولم يبق فيها إلا اليهود.[١٤٣]

جاء في تفسير علي بن إبراهيم: أن ذا نواس وجنوده جمعوا المسيحيين وخيّروهم بين اليهودية والنار، ولكنهم قاوموا ولم يتركوا دينهم واختاروا القتل، فمنهم من أحرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف ومُثّل بهم كل مثلة، فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألفاً.[١٤٤]

ويشير الله عزّ وجلّ إلى قصة قساوة اليهود ومقاومة المسيحيين المؤمنين في القرآن ويقول: ﴿قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعودٌ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهودٌ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾.[١٤٥]

وبهذا الترتيب مدح الله تعالى المسيحيين المؤمنين الذين استقاموا في دينهم (قبل ظهور الإسلام) وقاوموا وقتلوا وفضلوا سبيل الله على الاستسلام لطاغوت اليهود، وحذّر أعدائهم من عذاب شديد في الدنيا والآخرة، وعلّم المسلمين هذا الدرس التاريخي حتى يقاوموا الظالمين ولا يهابوا من الأعداء ولا يستسلموا لهم.

والـشيء الذي يجب أن نتوجه إليه هـو أن البعض كتب: أن أول من ابتدع أخاديد النار هم اليهود، وهـم أنفسـهم الذين ابتلوا بهذا البلاء وأحرقوا في القرن الحاضر على يـد هتلر والألمانيين الذين أعدّوا لهم أخاديد من نار وأحرقوا وعوقبوا دنيوياً.

شهادة قائد المسيحيين المؤمن النجراني

كـان عبـد الله بن ثامر من أهل نجران، وهو الذي دعاهم إلى النصرانية، وبعد أن سـيطر ذو نواس عـلى نجـران، أمر بإحضـار عبـد الله، وبعد جدال شـديد ضربه بعصا في يده فشـجّه شـجّة غير كبيرة فقتله.

ومن العجائب أنه كان في زمان عمر بن الخطاب، جاء رجل من أهل نجران وحفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحته دفن منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، ممسـكاً عليها بيده، فإذا أخرت يده عنها تثعبت دماً، وإذا أرسـلت يدها ردها عليها، فأمسـكت دمها، وفي يـده خاتـم مكتوب فيـه: «ربي الله» فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمـره، فكتب إليهـم عمر عنه: أن أقروه على حاله، وردوا عليه الدفن الذي كان عليه، ففعلوا.(١٤٦)

هذه الحادثة تبين مقام الشهيد الجليل الذي بقى جسمه لمئات السنين ولم يتحلل.

القضاء على ملك ذي نواس

وهنا نرى كيف قضى الله عزّ وجلّ على ذي نواس الظالم الذي أحرق المسيحيين في أخاديد من نار، وكيف قضي على تاجه وعرشه وملكه وجنوده.

لمـا أحـرق ذو نواس جميع النصرانيين أفلت مـنـهـم رجـل من سبأ، يقال لـه: دوس ذو ثـعـلبان، عـلى فـرس له، فـسـلك الرمل فأعـجـزهــم، فمضى على وجهـه ذلك، حتى أتى قيـصر ملك الروم، فاسـتنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدت بلادك منّا، ولكنّي سـأكتب لـك إلى ملك الحبشـة فإنـه على هذا الديـن، وهو أقرب إلى بـلادك، وكتب إليه يأمـره بنصره والطلب بثأره.

فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة، وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط، ومعه في جنده أبرهة الأشرم، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دوس – ذو ثعلبـان – وسـار إليـه ذو نواس في حمير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلـما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابـه، فلـما رأى ذو نـواس ما نزل به وبقومه وجه فرسـه في البحر، ثم ضربـه فدخل به، فخاض

بـه ضحضـاح البحر، حتى أفضى به إلى غمـره، فأدخله فيه، وكان آخر العهد بـه، ودخل أرياط اليمن فملكها.[١٤٧]

وبهذا الترتيب قضي على ذي نواس وجنوده.

(نهاية قصة أصحاب الأخدود)

قصة حياة داود عليه السلام

قصة حياة داود عليه السلام

داود عليه السلام هو من أحد كبار الأنبياء والمرسلين والذي كان يملك حكومة واسعة وملك عظيم، وقد جاء اسمه المبارك ستة عشر مرة في القرآن.

ولد داود عليه السلام في أرض واقعة بين مصر والشام، وهو من نسل يعقوب عليه السلام وبينه وبين يعقوب تسعة أجداد ووالده هو «إيشا».

عمّر مائة سنة، وكانت مدة ملكه أربعين سنة.(١٤٨)

وقد اشتهر بين بني إسرائيل وذلك لقتله جالوت الجبّار والتي ستأتي قصته لاحقاً.

كان لإيشا عشر أبناء، وكان داود عليه السلام أصغرهم، ولم يعط الله أحداً مثل صوته كان إذا ناجى ربه تقع الطيور عليه وهو في محرابه، والوحش تسمعه وتدنو حتى يؤخذ بأعناقها، وكان قصيراً أزرق قليل الشعر، وكان قائداً شجاعاً ومؤمناً في جيش طالوت، ولما قُتِل طالوت أتى بنو إسرائيل داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم، فلما ملك جعله الله نبيّاً ملكاً.(١٤٩)

عشرة خصال عظيمة لداود عليه السلام

مدح الله عزّ وجلّ داود عليه السلام في القرآن في الآية ١٧ إلى الآية ٢٠ من سورة ص بذكره لخصاله، وأوصى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يصبر ويقاوم ويتحمل كداود عليه السلام أمام مخالفيه، وهذه الخصال هي:

١- ﴿اصبر على ما يقولون﴾ (الصبر)

٢- ﴿واذكر عبدنا داود﴾ (العبودية)

٣- ﴿ذا الأيد﴾ (القدرة المعنوية والجسمية)

٤- ﴿إنّه أوّاب﴾ (الرجوع الدائم إلى الله عزّ وجلّ)

٥- ﴿إنّا سخّرنا الجبال معه يُسبّحن بالعشيّ والإشراق﴾ (تسخير الجبال معه)
٦- ﴿والطّير محشورةً﴾ (وتسبيح الطّير)
٧- ﴿كلّ له أوّابٌ﴾
٨- ﴿وشددنا ملكه﴾ (مقام الملك)
٩- ﴿وآتيناه الحكمة﴾ (مقام الحكمة)
١٠- ﴿وفصل الخطاب﴾.[١٥٠] (مقام المخاطبة)

ووصفه الله بـ﴿نعم العبد﴾ كما قال في القرآن: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّابٌ﴾.[١٥١]
وأيضا وصفه بأن جعله خليفته حيث قال: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض﴾.[١٥٢]
وأيضا آتاه فضيلة العلم والحكمة كما نقرأ في القرآن: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾.[١٥٣]
وأيضاً مدحه الله في القرآن بأن آتاه الزبور حيث قال: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾.[١٥٤]
ويحتوى الزبور على نصائح ومناجاة وأمور أخلاقية، ويوجد مزامير الزبور في كتاب العهدين، ويحتوي على ١٥٠ فصل، ويسمى كل فصل بـ «مزمور»، ويشمل نصائح وأدعية ومناجاة.

دخول خصمان على داودعليه السلام وقضاؤه بينهما

ذات يوم كان داودعليه السلام في محرابه وكان يتعبد الله عزّ وجلّ، فدخل عليه ملكان وقعدا بين يديه، ففزع داود منهما لأن دخولهما لم يكن عادياً، فقالا فوراً ولم يعطيانه مجالا حتى يسأل كيف دخلتما: لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب (أي ظلمني وقهرني).
واستعجل داودعليه السلام وقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ولم يسأل المدّعي عليه، فيقول له: ما تقول؟

وبالرغم من أنه حكمه كان صحيحاً إلا أنه كان خطيئة في كيفية الحكم.
فانتبه أنه استعجل في الحكم وترك الأولى فتاب واستغفر ربه وبقى أربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره.
فغفر الله له[١٥٥] وبهذا الدرس علّم القضاة أن لا يستعجلوا في الحكم حتى لا يضيع حق أي فرد من أفراد المجتمع.
وطبقاً للرواية التي نقلت عن الامام الرضاعليه السلام أنه قال: أن الخصمان كانا ملكان دخلا على داودعليه السلام على هيئة الانسان، وقد ظن داودعليه السلام أنه ما خلق الله خلقاً هو أعلم منه (هذه الحالة هي نوع من الغرور

وترك للأولى) فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكان يختصمان وعجل داودعليه السلام في الحكم ولم يسأل المدعي البيّنة (شاهدين عادلين) على ذلك ولم يقبل على المدعي عليه ويسأله ما يقول فانتبه لخطئه وتاب وقام بإصلاح نفسه وأدرك أنه هناك من هو أعلم منه.[١٥٦]

نسخ السنن وزواج داودعليه السلام بأرملة

منذ آدمعليه السلام وحتى أيام داودعليه السلام كانت المرأة إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داودعليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها فشقّ[١٥٧] ذلك على الناس من قبل أوريا، فبدأوا بنشر الإشاعات ونسبوا ما لا يجوز على داودعليه السلام والتي جاءت في التوراة ويستحي المرء من ذكرها.

عطايا الله عزّ وجلّ لداودعليه السلام

ذكر الله عزّ وجلّ في الآيتان (١٠ و ١١) من سورة سبأ ثلاثة عطايا إلهية كبيرة منحها لداودعليه السلام حيث قال: ﴿ولقد آتينا داود منّا فضلاً (دلالة على مواهب داودعليه السلام المعنوية والمادية الكثيرة) يا جبال أوّبي معه والطّير وألنّا له الحديد، أن اعمل سابغاتٍ وقدّر في السّرد﴾.

وهذه العطايا الثلاثة هي:

١- أمر الله الجبال أن يسبّح مع داودعليه السلام عند تسبيحه لله عزّ وجل.

٢- أمر الطّير يسبّح مع داودعليه السلام عند تسبيحه لله جلّ جلاله.

٣- وألان له الحديد ليصنع دروعاً مناسباً.

فكان لما يسبّح داودعليه السلام كانت الجبال والطيور يسبحن معه.

قال الامام الصادقعليه السلام: أنه إذا خرج داودعليه السلام إلى الصحراء كان يقرأ الزبور (والذي هو أغلبه مناجاة) وكان إذا قرأ الزبور لا يبق جبل ولا حجر ولا طائر إلا أجابه.[١٥٨]

فكانوا يتأثرون من مناجاة داودعليه السلام مع ما كان يحتويهم من مشاعر تجاه الله عزّ وجلّ، وقد أعطي داودعليه السلام من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه، والوحش تسمعه، فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته.[١٥٩]

زهد داودعليه السلام

بالرغم من أنه كان لداودعليه السلام حكومة وملك واسع إلا أنه كان يعيش ببساطة وزاهد في حياته،

ويأكل من كسب يده وقد ذكره أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في إحدى خطبه وقال: إن شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها.(١٦٠)

صنع داود عليه السلام الدروع

قال الامام الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، فبكى داود عليه السلام أربعين يوماً فأوحى الله تعالى إلى الحديد: أن لن لعبدي داود، فألان الله تعالى له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل عليه السلام بيده ثلاث مائة وستين درعاً فباعها بثلاث مائة وستين ألفاً، واستغنى عن بيت المال.(١٦١)

نعم قبل هذا العصر كان المقاتلون حينما يدخلون القتال يلبسون اللباس الحديدي وكان ثقيلاً جداً ومتعباً، ولأهمية مسألة الجهاد والدفاع عند داود عليه السلام، بدأ يفكر بوسيلة دفاعية يحفظ بها المقاتلين، وفي نفس الوقت تكون سهلة ولينة الاستعمال، لذا طلب من الله عزّ وجلّ هذا الطلب، فألان الله له الحديد كالطين واستفاد من هذه الموهبة الالهية في صنع الدروع.

جاء في الرواية أن: لقمان عليه السلام دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها، وقال: نعم لبوس الحرب أنت.

فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله.

فقال له داود عليه السلام: بحق ما سميت حكيماً.(١٦٢)

قال جلال الدين مولانا في كتاب المثنوي: لما رأى لقمان عليه السلام داود عليه السلام يصنع الدرع من حلقات حديدية تعجّب وأراد أن يسأله فقال في نفسه: السكوت والصبر أفضل للإنسان، وفي ضوءه يصل الانسان أسرع إلى مقصده.

ولما أنهى داود عليه السلام عمله ولبس الدرع قال داود للقمان: نعم لبوس الحرب أنت، قال لقمان عليه السلام: فالصبر صاحب صالح وملجأ جيد، ومزيل للهموم.(١٦٣)

اختبار أفضل قاضي

كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر بالليل وقضمته وأفسدته، فجاء صاحب الكرم إلى داود عليه السلام فاستعدى على صاحب الغنم.

وبعدما تحقق داود عليه السلام في المسألة وعلم أن قيمة الزرع الذي أكله الغنم هي نفس قيمة الغنم حكم

وقال: يدفع الغنم على صاحب الكرم.

وكان سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام حاضراً وكان صغيراً فقال لأبيه: غيّر هذا يا نبي الله.

قال وما ذاك؟

قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان، ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله.

كان حكم كلاهما صحيحاً وعادلاً ولم يختلفا في الحكم ولكن في مسألة الإجراء كان حكم سليمان عليه السلام أدق وتدريجي، وبعد مدة رجعت حياة صاحب الكرم وصاحب الغنم كما كانت، وكان حكم سليمان عليه السلام من الله جلّ جلاله، وكان الله تعالى قد فهّم سليمان حكمه في هذه المسألة.[١٦٤]

وأيضا كانت هذه الحادثة وهذا الحكم لأن داود عليه السلام أراد أن يعرف بني إسرائيل أن سليمان عليه السلام هو وصيه بعده، ولم يختلفا في الحكم، ولإيضاح المطلب نلفت نظركم إلى القصة التالية والتي هي مكمّلة لتلك القصة وقد نقلت عن الامام الصادق عليه السلام:

خلافة وحكومة داود عليه السلام في الأرض

من خصوصيّات داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام أن الله عزّ وجلّ وهبهما الملك والحكومة، وهذا الموضوع يبين أن الدين لا ينفصل عن السياسة، والسياسة هي ساعد الدين، والسياسة أيضا بدون الدين تصبح عاملاً مخرّباً.

والأنبياء كانوا يقدمون على تشكيل الحكومة حينما يجدوا الفرصة المناسبة لذلك، وقد رأى داود وسليمان عليهما السلام أن الفرصة والظروف مناسبة لتشكيل الحكومة فوهبهما الله تعالى الملك والحكومة.

لذا قال الله سبحانه في القرآن: ﴿يا داود إنّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ﴾.[١٦٥]

وأيضاً قال: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾.[١٦٦]

وورث سليمان عليه السلام[١٦٧] الحكم بعد داود عليه السلام بصورة أوسع (وقد ذكرنا قصصه من قبل).

عمرٌ طويل لشاب بسبب داود عليه السلام

ذات يوم كان داود عليه السلام جالساً عند باب بيته، جاءه شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت فجلس عنده، إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحدّ ملك الموت النظر[١٦٨] إلى الشاب، فقال

داودعليه السلام: نظرت إلى هذا.

فقال: نعم، إني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع، فرحمه داود فقال: يا شاب هل لك امرأة؟

قال: لا وما تزوجت قط.

قال داودعليه السلام: فأت فلاناً رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل فقل له:

إن داود يأمرك أن تزوجني ابنتك، وتدخلها الليلة، وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها، فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضع.

فمضى الشاب برسالة داودعليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه، وأقام عندها سبعة أيام، ثم وافى داود يوم الثامن، فقال له داودعليه السلام: يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه؟

قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قط أعظم مما كنت فيه.

قال داودعليه السلام: اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه، فلما طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشاب ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثم انصرف أسبوعاً آخر ثم أتاه وجلس، فجاء ملك الموت إلى داودعليه السلام فقال داود: ألست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيام؟

قال: بلى، فقال: فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية.

قال: يا داود إن الله تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة.[١٦٩]

قرينة داودعليه السلام في الجنة

أوحى الله تعالى إلى داودعليه السلام: إن خلادة بنت أوس بشّرها بالجنة، وأعلمها أنها قرينتك في الجنة، فانطلق إليها فقرع الباب عليها، فخرجت وقالت: هل نزل في شيء؟

قال: نعم، قالت: وما هو؟

قال: إن الله أوحى إلي وأخبرني أنك قرينتي في الجنة وأن أبشرك بالجنة، قالت: أو يكون اسم وافق اسمي؟

قال: إنك لأنت هي، قالت: يا نبي الله ما أكذبك، ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به، قال داودعليه السلام: أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو؟

قالت: أما هذا فسأخبرك به، أخبرك أنه لم يصبني وجع قط نزل بي كائناً ما كان، وما نزل ضر بي وحاجة وجوع كائناً ما كان إلا صبرت عليه ولم أسأل الله كشفه عني حتى يحوله الله عني إلى العافية

والسعة، ولم أطلب بها بدلاً، وشكرت الله عليها وحمدته.

فقال داود عليه السلام: فبهذا بلغت ما بلغت، ثم قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام بعد نقله لهذه القصة: وهذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين.(١٧٠)

نموذج لعدالة الله تعالى وإحسانه

جاء في الروايات: أن سيدة فقيرة وأعمى كانت تعيش في عهد داود عليه السلام، وكانت تشتري كل يوم بمالها القليل كمية من الصوف والقطن وتعمل بهما لفافات خيوط ثم تبيعها وبهذا المكسب تعيش حياة بسيطة وتوفّر معاش أطفالها، ذات يوم وبعد أن أتمّت لفافة بتعب وجهد، جاء الغراب وسرق منها اللفافة، فاغتمت المرأة وذهبت إلى داود عليه السلام وقالت له: أين عدالة الله؟ فقال لها داود عليه السلام: اجلسي حتى أحكم فيك.

ومن جهة أخرى كانت سفينة تبحر في البحر فكادت أن تغرق لوجود ثقب فيها، فنذر الرّكاب إن نجّاهم الله جلّ جلاله يدفعون ألف دينار للفقير، فأمر الله سبحانه الغراب أن يأخذ اللفافة من تلك المرأة ويأتي بها إلى السفينة ويرميها لهم، فأخذ الرّكاب اللفافة وسدّوا بها الثقب، فاستفادوا من اللفافة ونجوا.

وحينما وصلوا إلى الساحل أتوا داود عليه السلام لأداء نذرهم، وأعطوه الف دينار وقصّوا عليه ما جرى لهم، فبيّن داود عليه السلام لتلك المرأة حكمة وعدالة وإحسان الله عزّ وجلّ، وأعطاها الألف دينار، ففرحت جداً وسرّت وأدركت أنه ليس هناك من هو أعدل وأحسن من الله تبارك وتعالى.(١٧١)

عقوبة عمل الحرام

كانت امرأة على عهد داود عليه السلام يأتيها رجل يستكرهها على نفسها، فألقى الله عزّ وجلّ في نفسها فقالت له: إنك لا تأتيني مرة إلا وعند أهلك من يأتيهم.

فذهب إلى أهله فوجد عند أهله رجلاً، فأتى به داود عليه السلام فقال: يا نبي الله أتى إلي ما لم يؤت إلى أحد.

قال: وما ذاك؟

قال: وجدت هذا الرجل عند أهلي.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: قل له: كما تدين تدان.(١٧٢)

شهادة مئة عالم من علماء بني إسرائيل

في عهـد داودعليه السلام، كان في بنـي إسرائيل عابد فأعجب به داودعليه السلام فأوحـى الله تبارك وتعالى إليه: لا يعجبك شيء من أمره فإنه مراء.

فمات الرجل فأتى داود فقيل له: مات الرجل، فقال: ادفنوا صاحبكم.

فأنكرت ذلك بنو إسرائيل، وقالوا: كيف لم يحضره؟

فلما غُسـل قام خمسـون رجلاً فشـهدوا بالله مـا يعلمون منه إلا خـيراً، فلما صلوا عليه قام خمسـون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون إلا خيراً، فلما دفنوه أوحى الله عزّ وجلّ إلى داودعليه السلام: ما منعك أن تشهد فلاناً؟

قال: الذي أطلعتني عليه من أمره.

قـال: إنـه كان لكذلك ولكن شـهده قوم من الأحبار والرهبان، فشـهدوا لي مـا يعلمون إلا خيراً، فأجزت شهادتهم عليه، وغفرت له علمي فيه.(١٧٣)

(مـن المحتمل أن مغفرة الله عزّ وجـلّ كانت لأن العابد لم يظهر ذنوبه، وكان يراعي ويعامل الناس والعلماء والأحبار بطريقة جعل الله رضاهم سبباً للعفو عنه، وكان بعبادته أمامهم يبين للناس أنه يجب عبادة الله وإطاعته وعدم عصيانه وارتكاب الذنوب).

عذاب أصحاب السبت

مـن إحـدى القصـص الجميلـة في القرآن هـي قصـة أصحـاب السـبت، والتي جـاءت بإختصار في سـورة الأعـراف من الآيـة (١٦٣) إلى الآية (١٦٥)، وتحكـي عن الذين لم يراعـوا القانون الالهي وعصوا الله عزّ وجلّ وكيف حوّلهم الله تعالى مع الذين سـكتوا ولم ينهوهم إلى قردة خاسـئين، والقصة هي: كان في عهد داودعليه السلام قوماً يسـكنون مدينة «إيله» والتي تقع على سـاحل البحر الأحمر، وقد نهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السـمك في يوم السـبت، فكانت الحيتان تحس بالأمان يوم السبت وتأتي بيضاً سماناً حتى لا يرى الماء من كثرتها، وفي الأيام الأخرى لا تأتي.

فتوسلوا إلى حيلة ليحلّوا بها لأنفسهم ما حرّم الله، فخدوا أخاديد وعملوا طرقاً تؤدي إلى حياض، يتهيـأ للحيتـان الدخول فيها من تلك الطرق ولا يتهيأ لها الخـروج إذا همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يـوم السـبت جارية على أمان الله لها فدخلت في الأخاديد وحصلـت في الحياض والغدران، فلما كانت عشية اليوم همّت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن من صائدها فرامت الرجوع فلم تقدر، فبقيت ليلتها في مكان يتهيأ أخذها يوم الأحد بلا اصطياد لاسترسـالها فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، فكانوا

يأخذونها يوم الأحد، ويقولون: ما اصطدنا في السبت، وإنما اصطدنا في الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت حتى كثر[١٧٤] من ذلك مالهم وثراؤهم وتنعموا بالنساء وغيرهن لاتساع أيديهم به، وكانوا في المدينة نيفاً وثمانين ألفاً.

فصار الناس ثلاث فرق: فرقة عملوا بهذا (وكانوا سبعين ألفاً)، وفرقة أنكروا عليهم فعلهم ووعظوهم وزجروهم من عذاب الله وخوّفوهم من انتقامه وشديد بأسه وحذّروهم، والفرقة الثالثة سكتوا وكانوا يقولون للناهين:

﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذّبهم عذاباً شديداً﴾.[١٧٥]

فأجابوا: هذا القول منّا لهم معذرة إلى ربكم إذ كلفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهي عن المنكر ليعلم ربّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم، ونعظهم لعلهم يتّقون ويحذروا عقوبتها.

مختصر الحديث: أن حديث الناهين عن المنكر لم يفد بشيء واستمروا على عصيانهم، فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم وخرجوا إلى قرية أخرى قريبة من قريتهم وقالوا: إنّا نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلهم قردة وبقي باب المدينة مغلقاً لا يخرج منهم أحد، ولا يدخل عليهم أحد، وتسامع بذلك القرى فقصدوهم وركبوا حيطان البلد فأطلعوا عليهم فإذا كلهم قردة، وبعد ثلاثة أيام هلكوا جميعاً.

قال الامام الصادق عليه السلام: هلكت الفرقة العاصية وأيضا الفرقة الساكتة، ولكن نجت الفرقة الناهية.

نعم هذا جزاء من لا يهتم ويسكت على العصيان والمفاسد.

والنقطة التي يجب التوجه إليها هي أن القردة من جميع الحيوانات معروفة بالتقليد الأعمى والحيلة وليس لها إرادة، وكل أمّة ذلّت للاستعمار وتلطّخت بالذنوب كان بسبب تقليدها الأعمى ومحو إرادتها، وفي الحقيقة السبب الذي جرّ أصحاب السبت والساكتين إلى هذا اليوم الأسود هو وجود صفات القردة فيهم ألا وهي ضعف إرادتهم وحيلتهم.

فدخلت مجموعة في العصيان عن طريق الحيلة كالقردة بالرغم من أنها كانت تعلم أنها تعصي الله، ومجموعة أخرى سكتت كالقردة لضعف إرادتها، وهكذا برز الله عزّ وجلّ ما في باطنهم وقال لهم: ﴿كونوا قردةً خاسئين﴾.[١٧٦]

قال الامام السجاد عليه السلام: تسنم وعلا أهل القرى حيطان بلدة «إيلة» فأطلعوا عليهم فإذا كلهم رجالهم ونسائهم قردة يموج بعضهم في بعض يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطلع لبعضهم: أنت فلان؟ أنت فلان؟ فتدمع عينه ويؤمي برأسه أن نعم، فما زالوا كذلك ثلاثة أيام،

ثم بعث الله عليهم مطراً وريحاً فجرفتهم إلى البحر، وما بقي مسخ بعد ثلاثة أيام، وأما الذين ترون من هذه المصورات بصورها فإنما هي أشباهها، لا هي بأعيانها ولا من نسلها.[١٧٧]

خصوصيّات قرين داودعليه السلام في الجنة

ذات يوم قال داود النبيعليه السلام: يا رب أخبرني بقريني في الجنة ونظيري في منازلي، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: إن ذلك متى أبا يونس.

فاستأذن الله في زيارته فأذن له، فخرج هو وسليمان ابنه عليهما السلام حتى أتيا موضعه، فإذا هما ببيت من سعف، فقيل لهما: هو في السوق، فسألا عنه فقيل لهما: اطلباه في الحطابين، فسألا عنه فقال لهما جماعة من الناس: نحن ننتظره، الآن يجئ.

فجلسا ينتظرانه إذا أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام إليه الناس فألقى عنه الحطب وحمد الله وقال: من يشتري طيباً بطيب؟ فساومه واحد وزاده آخر حتى باعه من بعضهم، فسلما عليه، فقال: انطلقا بنا إلى المنزل، واشترى طعاماً بما كان معه ثم طحنه وعجنه في نقير له، ثم أجج ناراً وأوقدها، ثم جعل العجين في تلك النار وجلس معهما يتحدث، ثم قام وقد نضجت خبيزته، فوضعها في النقير وفلقها وذر عليها ملحاً، ووضع إلى جنبه مطهرة ملا ماء.

وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله، فلما ازدردها[١٧٨] قال: الحمد الله، ثم فعل ذلك بأخرى وأخرى، ثم أخذ الماء فشرب منه فذكر اسم الله، فلما وضعه قال:

الحمد لله، يا رب من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني؟ قد صححت بصري وسمعي وبدني وقويتني حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه ولم أهتم لحفظه جعلته لي رزقاً، وسقت إلي من اشتراه مني فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخرت لي النار فأنضجته، وجعلتني آكله بشهوة أقوى به على طاعتك فلك الحمد.

ثم بكى، قال داودعليه السلام: يا بني قم فانصرف بنا فإني لم أر عبداً قط أشكر لله من هذا.[١٧٩]

حديث داودعليه السلام مع الله جلّ وعلا

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داودعليه السلام: مالي أراك وحداناً؟

قال: هجرت الناس وهجروني فيك.

قال: فمالي أراك ساكتاً؟

قال: خشيتك أسكتتني.

قال: فمالي أراك نصباً[١٨٠]؟

قال: حبك أنصبني.

قال: فمالي أراك فقيراً وقد أفدتك؟[١٨١]

قال: القيام بحقك أفقرني.

قال: فمالي أراك متذللاً؟

قال: عظيم جلالك الذي لا يوصف ذللني، وحق ذلك لك يا سيدي.

قال الله جلّ جلاله: فابشر بالفضل مني، فلك ما تحب يوم تلقاني، خالط الناس وخالقهم بأخلاقهم، وزايلهم[١٨٢] في أعمالهم تنل ما تريد مني يوم القيامة.[١٨٣]

هداية الناس أعلى مقاماً من العبادة في الخلوة

ذات يوم خرج داودعليه السلام مصحراً منفرداً، فأوحى الله إليه: يا داود مالي أراك وحدانياً؟

فقال: إلهي اشتد الشوق مني إلى لقائك، وحال بيني وبينك خلقك.

فأوحى الله إليه: ارجع إليهم فإنك إن تأتني بعبد آبق أثبتك في اللوح حميداً.

فأطاع داودعليه السلام تبارك وتعالى وعاد إلى قومه يدعوهم ويهديهم إلى الله جلّ جلاله.[١٨٤]

داودعليه السلام وقضية من قضايا الآخرة

قال الامام الباقرعليه السلام: إن داودعليه السلام سأل ربه أن يريه قضية من قضايا الآخرة، فأوحى الله إليه: يا داود إن الذي سألتني لم أطلع عليه أحداً من خلقي ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيري.

قال: فلم يمنعه ذلك أن عاد فسأل الله أن يريه قضية من قضايا الآخرة، فأتاه جبرائيل فقال: لقد سألت ربك شيئاً ما سأله قبلك نبي من أنبيائه صلوات الله عليهم، يا داود إن الذي سألت لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيره، فقد أجاب الله تعالى دعوتك وأعطاك ما سألت، إن أول خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة.

فلما أصبح داود وجلس في مجلس القضاء أتاه شيخ متعلق بشاب ومع الشاب عنقود من عنب، فقال الشيخ: يا نبي الله إن هذا الشاب دخل بستاني، وخرب كرمي، وأكل منه بغير إذني.

فقال داود للشاب: ما تقول؟

فأقرّ الشاب بأنه قد فعل ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إن كشفت لك من قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قلبك، ولم يرض بها قومك، يا داود إن هذا الشيخ اقتحم

على والد هذا الشاب في بستانه فقتله، وغصبه بستانه، وأخذ منه أربعين ألف درهم، فدفنها في جانب بستانه فادفع إلى الشاب سيفاً ومره أن يضرب عنق الشيخ، وادفع إليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا من البستان ويأخذ ماله.

ففزع داودﷺ من ذلك، وجمع علماء أصحابه وأخبرهم الخبر، وأمضى القضية على ما أوحى الله إليه.[١٨٥]

إضافة الحلف بالله للبيّنات

قال الامام الصادقﷺ: في كتاب عليﷺ: إن نبيّاً من الأنبياء شكا إلى ربه القضاء، فقال: كيف أقضي بما لم تر عيني ولم تسمع أذني؟ فقال: اقض بينهم بالبينات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به.

وقال: إن داودﷺ قال: يا رب أرني الحق كما هو عندك حتى أقضي به.

فقال: إنك لا تطيق ذلك، فألح على ربه حتى فعل، فجاءه رجل يستعدي على رجل، فقال: إن هذا أخذ مالي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: إن هذا المستعدي قتل أبا هذا وأخذ ماله، فأمر داود بالمستعدي فقتل فأخذ ماله فدفعه إلى المستعدي عليه، فتعجب الناس وتحدثوا حتى بلغ داودﷺ ودخل عليه من ذلك ما كره، فدعا ربه أن يرفع ذلك ففعل، ثم أوحى الله عزّ وجلّ إليه أنت احكم بينهم بالبينات، وأضفهم إلى اسمي يحلفون به.[١٨٦]

أمير المؤمنينﷺ وحكم داودﷺ

قال الامام الباقرﷺ: دخل عليﷺ المسجد فاستقبله شاب وهو يبكي وحوله قوم يسكتونه، فقال عليﷺ: ما أبكاك؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن شريحاً قضى علي بقضية ما أدري ما هي، إن هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في سفرهم فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك مالاً، فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن أبي خرج ومعه مال كثير.

فقال لهم أمير المؤمنينﷺ: ارجعوا، فردهم جميعاً والفتى معهم إلى شريح.

فقال له: يا شريح كيف قضيت بين هؤلاء؟

قال: يا أمير المؤمنين ادّعى هذا الفتى على هؤلاء النفر أنهم خرجوا في سفر وأبوه معهم فرجعوا ولم يرجع أبوه، فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله فقالوا: ما خلف شيئاً، فقلت للفتى: هل لك بينة على ما تدعي؟ قال: لا، فاستحلفتهم.

فقال(عليه السلام) لشريح: يا شريح هيهات! هكذا تحكم في مثل هذا؟

فقال: كيف كان هذا يا أمير المؤمنين؟

فقال علي(عليه السلام): يا شريح والله لأحكمن فيه بحكم ما حكم به خلق قبلي إلا داود النبي(عليه السلام)، يا قنبر ادع لي شرطة الخميس[١٨٧].

فدعاهم، فوكل بهم بكل واحد منهم رجلاً من الشرطة، ثم نظر أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى وجوههم فقال: ماذا تقولون؟ أتقولون إني لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى؟ إني إذاً لجاهل.

ثم قال: فرّقوهم وغطّوا رؤوسهم، ففرّق بينهم وأقيم كل واحد منهم على أسطوانة من أساطين المسجد ورؤوسهم مغطاة بثيابهم، ثم دعا بعبيد الله بن أبي رافع كاتبه، فقال: هات صحيفة ودواتاً.

وجلس علي(عليه السلام) في مجلس القضاء واجتمع الناس إليه، فقال: إذا أنا كبّرت فكبّروا، ثم قال للناس: افرجوا، ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه فكشف عن وجهه، ثم قال لعبيد الله: اكتب إقراره وما يقول، ثم أقبل عليه بالسؤال، ثم قال له: في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الفتى معكم؟

فقال الرجل: في يوم كذا وكذا، فقال: وفي أي شهر؟

قال: في شهر كذا وكذا، قال: وإلى أين بلغتم من سفركم حين مات أبو هذا الفتى؟

قال: في موضع كذا وكذا، قال: وفي أي منزل مات؟

قال: في منزل فلان ابن فلان، قال: وما كان مرضه؟

قال: كذا وكذا، قال: كم يوماً مرض؟

قال: كذا وكذا يوماً، قال: فمن كان يمرضه؟ وفي أي يوم مات؟ ومن غسله؟ وأين غسله؟ ومن كفنه؟ وبما كفنتموه؟ ومن صلى عليه؟ ومن نزل قبره؟

فلما سأله عن جميع ما يريد كبّر عليّ(عليه السلام) وكبّر الناس معه، فارتاب أولئك الباقون ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه، فأمر أن يغطى رأسه وأن ينطلقوا به إلى الحبس، ثم دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه، ثم قال: كلا، زعمت أني لا أعلم ما صنعتم؟

فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا إلا واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله، فأقرّ، ثم دعا بواحد بعد واحد وكلهم يقرّ بالقتل وأخذ المال، ثم ردّ الذي كان أمر به إلى السجن فأقرّ أيضاً فألزمهم المال والدم.

وقال شريح: يا أمير المؤمنين وكيف كان حكم داود(عليه السلام)؟

فقال: إن داود النبي(عليه السلام) مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم: مات الدين، فدعا منهم غلاماً فقال له: يا غلام ما اسمك؟

فقال: اسمي مات الدين.

فقال له داود: من سماك بهذا الاسم؟

قال: أمي، فانطلق إلى أمه، فقال: يا امرأة ما اسم ابنك هذا؟

قالت: مات الدين، فقال لها: ومن سماه بهذا الاسم؟

قالت: أبوه، قال: وكيف كان ذلك؟

قالت: إن أباه خرج في سفر له ومعه قوم وهذا الصبي حمل في بطني، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي فسألتهم عنه، فقالوا: مات، قلت: أين ماله؟

قالوا: لم يخلف مالاً، فقلت: أوصاكم بوصية؟

فقالوا: نعم، زعم أنك حبلى، فما ولدت من ولد ذكر أو أنثى فسميه مات الدين، فسميته، فقال: أتعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك؟

قالت: نعم، قال: فأحياء هم أم أموات؟

قالت: بل أحياء، قال: فانطلقي بنا إليهم، ثم مضى معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم فثبت عليهم المال والدم، ثم قال للمرأة: سمي ابنك عاش الدين.[١٨٨]

داود عليه السلام على جبل عرفة

كان يوم الوقوف على عرفة والناس وقفوا الموقف بعرفة واشتغلوا بالعبادة والمناجاة على أطراف جبل عرفة.

نقل عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: إن داود عليه السلام لما وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم، فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلما قضى نسكه أتاه جبرئيل فقال له: يا داود يقول لك ربك: لم صعدت الجبل؟ ظننت أنه يخفى علي صوت من صوت؟!

ثم مضى به إلى البحر إلى جدة فرسب[١٨٩] به في الماء مسيرة أربعين صباحاً في البر، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة، فقال: يا داود يقول لك ربك: أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر، فظننت أنه يخفى علي صوت من صوت؟![١٩٠]

فيما أوحى الله لداود عليه السلام

وكان فيما أوحى الله لداود عليه السلام أثناء مناجاته:

«يا داود بي فافرح، وبذكري فتلذذ، وبمناجاتي فتنعم، فعن قليل أخلي الدار من الفاسقين، وأجعل

لعنتي على الظالمين». [١٩١]

«يا داود كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها، وكما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون، وكما أن أقرب الناس مني يوم القيامة المتواضعون كذلك أبعد الناس مني يوم القيامة المتكبرون». [١٩٢]

«بلغ قومك أنه ليس من عبد منهم آمره بطاعتي فيطيعني إلا كان حقاً علي أن أعينه على طاعتي، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته وإن اعتصم بي عصمته، وإن استكفاني كفيته، وإن توكل علي حفظته، وإن كاده جميع خلقي كدت دونه». [١٩٣]

«إن العباد تحابوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وأظهروا العمل للدنيا، وأبطنوا الغش والدغل». [١٩٤]

«من أحب حبيباً صدق قوله، ومن آنس بحبيب قبل قوله ورضي فعله، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه، يا داود ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصة للمحبين». [١٩٥]

قال الامام الصادق عليه السلام: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: إن العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأدخله الجنة، قال: يا رب وما تلك الحسنة؟

قال: يفرج عن المؤمن كربته ولو بتمرة، قال: فقال داود عليه السلام: حقٌّ لمن عرفك أن لا ينقطع رجاؤه منك. [١٩٦]

وأوحى الله جلّ ذكره إلى داود عليه السلام:

«يا داود اسمع مني ما أقول والحق أقول، من أتاني وهو يحبني أدخلته الجنة، يا داود اسمع مني ما أقول والحق أقول، من أتاني وهو مستحي من المعاصي التي عصاني بها غفرتها له، وأنسيتها حافظيه، يا داود اسمع مني ما أقول والحق أقول، من أتاني بحسنة واحدة أدخلته الجنة».

قال داود: يا رب وما هذه الحسنة؟

قال: من فرج عن عبد مسلم، فقال داود: إلهي لذلك لا ينبغي لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك. [١٩٧]

وقال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام: أحبني وحببني إلى خلقي، قال: يا رب نعم أنا أحبك فكيف أحببك إلى خلقك؟

قال: اذكر أيادي عندهم فإنك إذا ذكرت ذلك لهم أحبوني. [١٩٨]

وأوحى الله إليه: اشكرني حقّ شكري، قال: إلهي أشكرك حقّ شكرك وشكري إياك نعمة منك.

فقال: الآن شكرتني.

وقال داودعليه السلام: يا رب وكيف كان آدم يشكرك حقّ شكرك وقد جعلته أب أنبيائك وصفوتك، وأسجدت له ملائكتك؟

فقال: إنه عرف أن ذلك من عندي فكان اعترافه بذلك حقّ شكري.[١٩٩]

داودعليه السلام وفيما وعظ سليمانعليه السلام

قال الامام الصادقعليه السلام: إن داودعليه السلام قال لسليمان: يا بني إياك وكثرة الضحك، فإن كثرة الضحك تترك العبد حقيراً يوم القيامة، يا بني عليك بطول الصمت إلا من خير، فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات، يا بني لو أن الكلام كان من فضة كان ينبغي للصمت أن يكون من ذهب.[٢٠٠]

وأيضا جاء في مواعظه لابنه سليمان: يا بني إياك والهزل فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الأخوان وإياك والغضب فإن الغضب يستخف صاحبه، وعليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء، وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء، واقطع طمعك عن الناس فإنه هو الغني، وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر، وإياك وما يعتذر منه من القول، وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان، وإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل، وصلّ صلاة مودعٍ، ولا تجالس السفهاء، ولا ترد على عالم، ولا تماره في الدين، وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك، وارج رحمة الله فإنها واسعة وسعت كل شيء.[٢٠١]

حكمة آل داودعليه السلام

قال الامام الصادقعليه السلام: في حكمة آل داود: يا ابن آدم كيف تتكلم بالهدى وأنت لا تفيق عن الردى؟! يا ابن آدم أصبح قلبك قاسياً، ولعظمة الله ناسياً، فلو كنت بالله عالماً وبعظمته عارفاً لم تزل منه خائفاً ولموعده راجياً، ويحك كيف لا تذكر لحدك وانفرادك فيه وحدك؟![٢٠٢]

وقال أيضا: في حكمة آل داودعليه السلام: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه.[٢٠٣]

بشارة للمذنبين وإنذار للصديقين

قال أبا عبد الله الصادقعليه السلام: قال الله عزّ وجلّ لداودعليه السلام:

يا داود بشّر المذنبين، وأنذر الصديقين، قال: كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟

قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك.[٢٠٤]

قائم آل محمد (عج) وحكم داودعليه السلام

قال الامام أبا عبد الله الصادقعليه السلام: إذا قام قائم آل محمد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داودعليه السلام، لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه.[٢٠٥]

انتهاء عمر داودعليه السلام

كان عمر داودعليه السلام لما توفى مائة سنة، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وكانت له جارية تغلق الأبواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلاً، فقالت: من أدخلك الدار؟

قال: أنا الذي أدخل على الملوك بغير إذن، فسمع داودعليه السلام قوله فقال: أنت ملك الموت؟ فهلا أرسلت إلي فأستعد للموت؟

قال: قد أرسلنا إليك كثيراً.

قال: من كان رسولك؟

قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟

قال: ماتوا.

قال: فهم كانوا رسلي إليك بأنك تموت كما ماتوا، ثم قبضه، فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته، وكان له تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان دونهم.[٢٠٦]

(نهاية قصص حياة داودعليه السلام)

قصة حياة صالح عليه السلام

قصة حياة صالح عليه السلام

مـن أحد الأنبياء الذي جاء اسـمه في القرآن هو صالح عليه السلام والذي جاء اسـمه المبارك إحدى عشرة مرة في القرآن، وهو من نسـل سـام بن نوح من قبيلة ثمود، وذكر البعض أن نسـبه هو «صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود» والبعض الآخر ذكره باسم «صالح بن جابر بن ارم بن سام بن نوح».

وكان صالـح عليه السلام يتكلم باللغة العربية وعاش مئتان وثمانين سـنة، ويوجد قبره في النجف الأشرف أو بجانب الكعبة بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام.(٢٠٧)

وقـد بعثـه الله عـزّ وجلّ لهدايـة قوم ثمود، ودعـا قومه ليلاً ونهـاراً إلى الله جلّ وعـلا وإلى الأعمال الصالحة، ولكنهم لم يطيعوه حتى أنزل الله عليهم عذاباً شديداً.(٢٠٨)

صالـح عليه السلام هو النبـي الثالث التي بعثه الله بعد نوح وهود عليهما السـلام والـذي قام ضد الأصنام وضد عبّاد الاصنام، وقاومهم لسنوات طويلة.(٢٠٩)

وطبقاً لبعض الروايات أن صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ست عشرة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين ومئة سنة لا يجيبونه إلى خير.(٢١٠)

نظرة إلى حياة قوم ثمود

كان قوم ثمود أمة من العرب، وقد ظهروا بعد قوم عاد وسكنوا وادي القرى (بين مكة والشام) في مدينة حِجر (والتي لا زالت بعض آثارها موجودة إلى الوقت الحالي)، وكانت تتكون من قبائل مختلفة، وكانوا غارقين في الفساد والظلم والطغيان، ولا يشاهد في حياتهم إلا الانحراف والضلال.

وكانـت لديهم حضـارة متقدمة ومدن وديار قويـة، وكانوا يبنون مبانيهم مـن قطع صخرية جبلية عظيمة، وبنوا ملاجئ قوية لحفظهم من الأخطار، وكان في مدينة حِجر وسائل مادية واسعة لذا سمّوا

«بأصحاب الحِجر»، وكانوا يهتمون كثيراً في بناء بيوتهم، وكما يقول القرآن: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾.[٢١١]

ويبين هذا المطلب أنهم كانوا يعيشون في الجبال، وكان لديهم حضارة متقدمة حتى أنهم كانوا ينحتون الجبال ويحفرونها لبناء بيوتهم وليكونوا آمنين من الريح والسيل والزلازل، ولكن بالمقدار الذي كانوا يهتمون بأمور دنياهم لم يكونوا يهتمون بالأمور المعنوية، وكانت الحكومة الطائفية والقبلية والتعصب العنصري هي التي تحكمهم، وعلى هذا الأساس كانوا يفسدون في الأرض ويتباهون به كما وصفهم القرآن وقال: ﴿وكان في المدينة تسعةُ رهطٍ يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون﴾.[٢١٢]

وكان لقوم ثمود سبعين صنم وعدة معابد للأصنام، وكانت أصنامهم الكبيرة هي «لات، عُزّى، منوت (منات)، هُبَل وقيس».

وكان قوم ثمود يحترمون هذه الاصنام بالذات بشدة، ويعبدونها ليلاً ونهاراً، وقد سمّوا المعابد باسمها، ولم يكن يحق لأي شخص أن يمتلك تلك المعابد أو يدفن فيها موتاه، وإذا تم مخالفة هذا الأمر كانوا يقولون له: إن هُبَل ومنوت يلعنان المخالفين لهذا الامر.[٢١٣]

فبعث الله جلّ ذكره عبده المخلص صالحعليه السلام والذي كان من نفس القبيلة، وكان صاحب عقل كامل وتام وحلم واسع وأخلاق حسنة، وجعله نبيّاً حتى يبين لهم الطريق ويخرجهم من الذلّة والضياع وعبادة الأوثان والتعصب العنصري والقبلي وأنواع الفساد.

مقاطع من دعوات صالحعليه السلام المنطقية والرؤوفة الرحيمة

وقد اتّخذ صالحعليه السلام عدّة طرق في هداية قومه ونصيحتهم، وهنا نلفت نظركم إلى نماذج عن برامجه التبليغية كما جاء في القرآن حيث قال لقومه:

﴿إنّي لكم رسولٌ أمينٌ، فاتّقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على ربّ العالمين، أتتركون في ما هاهنا آمنين، في جناتٍ وعيونٍ، وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيمٌ، وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين، فاتّقوا الله وأطيعون، ولا تطيعوا أمر المسرفين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾.[٢١٤]

وقال أيضاً:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه، ثم توبوا إليه إنّ ربّي قريبٌ مجيبٌ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوّاً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبُدُ آباؤنا وإنّنا لفي شكٍّ مما تدعونا إليه مُريبٍ، قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينةٍ من ربّي وآتاني منه رحمةً فمن

ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسيرٍ﴾.[٢١٥]

﴿يا قوم لِمَ تستعجلون بالسّيّئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾.[٢١٦]

مختصر الحديث أنه من الممكن تلخيص رسالة ودعوة هذا النبي العظيم في هذه الجملة ﴿أن اعبدوا الله﴾.[٣١٧]

نعم عبادة الله عزّ وجلّ هي عصارة ولب كل تعليمات رسل الله، وقد دعا صالحعليه السلام قومه بكل محبّة ورأفة ورحمة وبتعبير «يا قوم» أراد أن يشعرهم بالقرابة وأن يجذبهم نحوه، ولكنهم ردّوا بكل طغيان وعناد دعوة صالح الرؤوفة والمنطقية وإرشاداته الرحيمة، وخالفوه بشدة وبكل وقاحة وبلا حياء وصدّوا عن دعوته الرؤوفة.

وقد خالفه أغلبية قومه وآمن منهم قلّة، وطبقاً لبعض الروايات أن قلّة منهم آمنوا بعد رؤيتهم لمعجزة ناقة صالح، فكانوا في البداية سبعين رجلاً ثم ارتدّ منهم أربعة وستون رجلاً وقالوا: سحر وثبت الستة وقالوا: الحق ما رأينا، فكثر كلام القوم ورجعوا مكذّبين إلا الستة ثم ارتاب من الستة واحد فكان مع الذين عقروا الناقة.[٢١٨]

وكتب البعض أن الذين آمنوا بصالحعليه السلام ونجوا من العذاب هم أربعة آلاف شخص.[٢١٩]

ردّة فعل قوم ثمود الشديدة أمام دعوة صالحعليه السلام

دعا صالحعليه السلام قوم ثمود إلى الله عزّ وجلّ والتوحيد لعشرات السنين ولكن قوم ثمود امتنعوا عن صالحعليه السلام وعاندوه بشدة واتهموه وخالفوه.

وقالوا: ﴿أبشراً منّا واحداً نتّبعه إنّا إذاً لفي ضلالٍ وسُعُرٍ، أءُلقي الذّكر عليه من بيننا بل هو كذّابٌ أشرٌ﴾.[٢٢٠]

ونصح صالحعليه السلام قومه بنصائح رؤوفة ورحيمة وحذّرهم من العذاب الالهي الشديد، وأخبرهم بأن يؤمنوا قبل أن ينزل العذاب عليهم وينجون وأن يقوموا من غفلتهم ويكفوا عن طغيانهم، لأن الغرور هو أساس الضلالة ولكنهم اعتبروه فتنة مع أصحابه وكذّبوهم وجعلوهم سبباً لتعاستهم بالرغم من أنهم هم البركة والسعادة الأبدية.

قال لهم صالحعليه السلام: ﴿طائركم عند الله بل أنتم قومٌ تفتنون﴾.[٢٢١]

وفي الحقيقة هذا امتحان إلهي كبير بعث إليهم، وبهذا الإنذار يقوم اللائقين والمستحقين من غفلتهم وبإصلاح مسيرهم يتجهون إلى التكامل وإلى الله جّل وعلا.

ووصل ردّة فعل قوم ثمود الشديدة إلى حدّ أنهم انقسموا إلى تسعة مجموعات، وكانوا يفسدون في

الأرض ولا يصلحون وقالوا بعضهم لبعض: ﴿تقاسموا بالله لنُبيّتنّه وأهله ثم لنقولنّ لوليّه ما شهدنا مهلك أهله وإنّا لصادقون﴾.[٢٢٢]

ودبّروا خّطة لقتله وقتل أهله.

إبطال خطّة الأعداء

جاء في التاريخ: أنه كان بجانب مدينة حِجر جبلاً فيه غار، وكان صالح عليه السلام يتردد عليه للعبادة، وأحياناً يذهب إليه ليلاً ويشتغل فيه بالمناجاة.

فقرر الأعداء الذين هدّدوه بالقتل أن يذهبوا سرّاً إلى الجبل ويختبئون وراء صخرة حتى إذا جاء صالح عليه السلام قتلوه ثم يذهبون إلى منزله ويقتلون أهله ثم ينصرفوا إلى بيوتهم، وإن سألوهم عن مقتله شهدوا بأنه لا علم لهم بذلك.

ولكن الله جلّ جلاله أبطل خطتهم بصورة عجيبة، حيث لما اختبئوا في الجبل واتّخذوا كميناً لصالح عليه السلام، سقطت عليهم صخرة كبيرة فقتلتهم.

ويشير الله عزّ وجلّ إلى هذا المطلب في القرآن ويقول: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾.[٢٢٣]

آخر حديث لصالح عليه السلام مع قومه وقصة الناقة

واستمر صالح عليه السلام في دعوته، ولكن كان قومه يزيدون في مخالفته يوماً عن يوم، وبقى لمدة مائة سنة يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ويرشدهم ويهديهم والذي بعث وهو في سن الست عشر سنة وبدأ في دعوته، ولكنهم لم يؤمنوا فقط (إلا القليل) بل قاموا بأذيّته.

حتى قال لهم صالح عليه السلام كآخر خطوة منه لنجاتهم: يا قوم إني قد بعثت إليكم وأنا ابن ست عشر سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أمرين (لإتمام الحجّة): إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألوني، وإن شئتم سألت آلهتكم (أصنامكم) فإن أجابتني بالذي أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتموني.

فقالوا: قد أنصفت يا صالح فتواعدوا على اليوم الذي يخرجون فيه، فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم ثم قربوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا، فلما أن فرغوا دعوه فقالوا: يا صالح سل.

فدعا صالح كبير أصنامهم فقال: ما اسم هذا؟ فأخبروه باسمه، فناداه باسمه فلم يجب، فقال صالح: ما له لا يجيب؟

فقالوا له: ادع غيره، فدعاها كلها بأسمائها فلم يجبه واحد منهم!

فقال: يا قوم قد ترون قد دعوت أصنامكم فلم يجبني واحد منهم فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: ما بالكن لا تجبن صالحاً؟ فلم تجب، فقالوا: يا صالح تنح عنا ودعنا وأصنامنا قليلاً، فرموا بتلك البسط التي بسطوها، وبتلك الآنية وتمرغوا في التراب وقالوا لها: لئن لم تجبن صالحاً اليوم لنفضحن، ثم دعوه فقالوا: يا صالح تعال فسلها، فعاد فسألها فلم تجبه.

فقالوا: إنما أراد صالح أن تجيبه وتكلمه بالجواب.

فقال: يا قوم هوذا ترون قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني، فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فانتدب له سبعون رجلاً من كبرائهم وعظمائهم والمنظور إليهم منهم فقالوا: يا صالح نحن نسألك.

قال: فكل هؤلاء يرضون بكم؟

قالوا: نعم فإن أجابوك هؤلاء أجبناك، قالوا: يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربك اتبعناك وأجبناك وتابعك جميع أهل قريتنا.

فقال لهم صالح: سلوني ما شئتم.

فقالوا: انطلق بنا إلى هذا الجبل - وجبل قريب - منه حتى نسألك عنده.

فانطلق وانطلقوا معه فلما انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح اسأل ربك أن يخرج لنا الساعة من هذا الجبل ناقة حمراء شقراء وبراء عشراء (أي حاملة في الشهر العاشر) بين جنبيها ميل.

قال: قد سألتموني شيئاً يعظم علي ويهون على ربّي، فسأل الله ذلك فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه العقول لما سمعوا صوته، واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض ثم لم يعجلهم إلا ورأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فلما استتمت رقبتها حتى اجترت ثم خرج سائر جسدها ثم استوت على الأرض قائمة، فلما رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك! فسله أن يخرج لنا فصيلها، فسأل الله تعالى ذلك فرمت به فدبّ حولها، فقال: يا قوم أبقي شيء؟

قالوا: لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم ما رأينا ويؤمنوا بك، فرجعوا فلم يبلغ السبعون الرجل إليهم حتى ارتدّ منهم أربعة وستون رجلاً وقالوا: سحر، وثبت الستة وقالوا: الحق ما رأينا، فكثر كلام القوم ورجعوا مكذّبين إلا الستة ثم ارتاب من الستة واحد (ويسمى «قُدار») فكان فيمن عقرها.[٢٢٤]

الناقة العجيبة، معجزة صالح عليه السلام العظيمة

جاء في القرآن ذكر الناقة سبع مرات، إن خلق هذه الناقة وأوصافها وكيفية حياتها هي من عجائب

الخلقة، ومختصر الحديث أن قوم ثمود قالوا بكل وقاحة لصالحعليه السلام: ﴿إنّما أنت من المُسحّرين، ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فأت بآيةٍ إن كُنت من الصّادقين﴾.(٢٢٥)

وكما قلنا، اقترح صالحعليه السلام على قومه المعاند وقال: لدي معجزة وهذه المعجزة هي آية ودليل على صدقي، وأعرض عليكم، إن شئتم فاسألوني حتى أسال إلهي فيجيبكم.

فقالوا والذين كانوا سبعين نفر انتدبهم قوم ثمود: انطلق بنا إلى هذا الجبل حتى نسألك عنده.

فلما انتهوا إلى الجبل قالوا: سله أن يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء شقراء عشراء.

فقبل صالحعليه السلام بسؤالهم وطلب من الله عزّ وجلّ ثم في لحظات تصدع الجبل وفاجأهم وخرج منه ناقة عظيمة بنفس المواصفات التي وصفوها.

كتب البعض: أن الناقة خرجت من الصخرة التي كان قوم ثمود يعظّمونها ويذبحون لها، فخرجت بإذن الله تعالى وبشفاعة نبيه صالحعليه السلام، ولما تصدع الجبل سمعوا له دوياً شديداً فزعوا منه وكادوا أن يموتوا منه، فطلع رأس الناقة وهي تجتر، ثم خرج ساير جسدها ثم استوت قائماً على الأرض.

فلما رأوا ذلك والذين لم يتوقعوا السرعة في الإستجابة وظهور معجزة صالحعليه السلام قالوا: ادع لنا ربّك يخرج لنا فصيلتها.

فسأل الله عزّ وجلّ فرمت به فدبّ حولها.

وبهذا الترتيب، أشهد قومه معجزة صدق نبوّته بصورة كاملة.(٢٢٦)

فأظهر السبعون رجل إيمانهم، وذهبوا إلى القوم ليخبروهم بمعجزة صالحعليه السلام، ويدعونهم إلى الايمان ولكن ارتدّ منهم أربعة وستون رجلاً، ثم ارتاب واحد وبقى خمسة على إيمانهم.(٢٢٧)

وكان لناقة صالح خصائص تجذب كل منها قلوب الناس، وتجعلهم يؤمنون بصالحعليه السلام، لذا سعى المخالفون للقضاء على هذه المعجزة.

وأوحى الله سبحانه إلى صالحعليه السلام: ﴿إنّا مُرسلوا النّاقة فتنةً لهم فارتقبهم واصطبر، ونبّئهم أنّ الماء قسمةٌ بينهم كلّ شربٍ محتضرٌ﴾.(٢٢٨)

وقسّم الماء بينهم وبين الناقة فيومٌ لهم ويوم لها.

وقال صالحعليه السلام لقوم ثمود: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بيّنةٌ من ربّكم هذه ناقةُ الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذابٌ أليمٌ﴾.(٢٢٩)

فلم يستطع قوم ثمود - ما عدا القلّة - تحمل وجود هذه المعجزة الالهية الكبيرة لغرورهم وطغيانهم، وكانوا في ضيق منها ولم يرضوا أن يجعلوا الماء ليوم واحد تحت تصرف الناقة ويوم لهم.

ولم يكن لهم الحقّ في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى فجّر هذه العين لصالحعليه السلام وجعل الناقة تشرب

منهـا، كـما جاء عن أمير المؤمنـينؑ أنه قال: أنه أول عـين نبعت في الأرض هي التـي فجّرها الله عزّ وجلّ لصالح فقال: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم.[٢٣٠]

فكانـت الناقـة إذا كان يـوم شربها شربت الماء ذلـك اليوم فيحلبونها، فلا يبقـى صغير ولا كبير إلا شرب مـن لبنهـا يومهـم ذلك، فـإذا كان الليـل وأصبحوا غـدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلـك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم.[٢٣١]

لذا لم يكن للناقة أي ضرر بل كانت مباركة.

ولكنهـم عتوا ولم يشـكروا ربهم، وحمايةً عـن أصنامهم بدأوا بمخالفـة صالحؑ وكرّر صالحؑ تحذيراته وقال لهم: ان هذه الناقة هي معجزة إلهية، ولا تمسّوها بسوء وإلا سينزل عليكم عذاب عظيم، ولكنهـم قـرّروا أن يقتلوها، كما جـاء في القرآن: ﴿**قال هذه ناقةٌ لها شربٌ ولكم شرب يومٍ معلومٍ، ولا تمسّوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب يومٍ عظيمٍ، فعقـروها فأصبحوا نادمين**﴾.[٢٣٢]

قتل الناقة على يد الطغاة

نفهـم مـن الآيات المتعـددة[٢٣٣] التي جـاءت في القرآن أن مشركـي قوم ثمود قرروا عـلى قتل ناقة صالحؑ ثم قاموا بإجراء هذا القرار الإجرامي.

وكان المسـتكبرون المغرورون يرون أن وجود الناقة والتي هي معجزة صالحؑ العجيبة، ستبعث على إيمان جماعات كثيرة بصالحؑ، ثم يتبرون من دين أجدادهم، لذا قرروا أن يقطعوا عصب رجلها ثم يقتلونها بعد سقوطها.

وبـكل وقاحـة تبعوا الناقة وضربوها ضربات شـديدة وعنيفة، ثم جاءوا صالـحؑ وقالوا له: «يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين».[٢٣٤]

وجـاء اختلاف بسـيط في كيفية قتـل الناقة، وهنا ننقل لكم حديث عن الامـام الصادقؑ ورواية أخرى.

١- فمشـى بعـض مشركي قـوم ثمود إلى البعض الآخـر واجتمعوا وقالوا: مـن ذا الذي يلي قتلها ونجعل له جعلا ما أحب؟ فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا يعرف له أب، يقال له قُدار شقى من الاشقياء، مشئوم عليهم فجعلوا له جعلا، فلما توجهت الناقة إلى الماء الذى كانت ترده تركها حتى شربت الماء وأقبلت راجعة، فقعد لها في طريقه فضربها بالسيف ضربة فلم يعمل شيئاً، فضربها ضـربة أخرى فقتلها، فخرّت إلى الأرض على حينها، وهربت فصيلها، حـتى صعد إلى الجبل فرغا[٢٣٥] ثلاث مرات إلى السـماء وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد إلا شركه في ضربته واقتسـموا لحمها فيما بينهم، فلم

يبق صغير ولا كبير إلا أكل منها، فلما رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال:

يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم أعصيتم ربكم؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام: إن قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثها الله إليهم حجة عليهم، ولم يكن عليهم منها ضرر، وكان لهم أعظم المنفعة فقل لهم: إني مرسل إليكم عذابي.[٢٣٦]

٢- وقال كعب: كان سبب عقرهم الناقة أن امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثمودا، فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة إليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها «قُطّام» وكانت معشوقة قُدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها «قبال» كانت معشوقة «مصدع» وكان قُدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر، فقالت لهما ملكاء: إن أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما: إن الملكة حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة، فقالا: نحن نكون من وراء عقرها.

فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أخرى، فمرّت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها و كانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمرته[٢٣٧] فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها، ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه، فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولّى هارباً حتى صعد جبلاً ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب.

فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه، وكانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء، فقال لهم صالح: تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم.[٢٣٨]

العذاب الالهي في كمين لقوم ثمود

فقاموا بهذه الجناية الكبيرة، وبكل وقاحة وقلة حياء أتوا صالح عليه السلام وقالوا: ابعث إلينا العذاب الذي وعدتنا.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى صالح عليه السلام أن: قل لهم: إنّي مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيام، فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعث عليهم عذابي في اليوم الثالث.

فأتاهـم صالح عليه السلام فقال لهم: يا قوم إني رسـول ربكم إليكم وهـو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم.

فلـما قـال لهـم ذلـك كانوا أعتـى ما كانـوا وأخبـث وقالوا: يـا صالـح ائتنا بـما تعدنـا إن كنت من الصادقين.

قال: يا قوم إنكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني وجوهكم محمرة، واليوم الثالث وجوهكم مسودة.

فلما أن كان أول يوم أصبحوا ووجوههم مصفرة، فمشـى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: لا نسمع قوم صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيما، فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقـال العتاة منهم: لو أهلكنا جميعا ما سـمعنا قول صالـح ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبـوا ولم يرجعـوا، فلـما كان اليـوم الثالـث أصبحوا ووجوههم مسـودة يمـشي بعضهم لم بعض فقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح.

فقـال العتـاة منهـم: قد أتانا ما قال لنا صالـح، فلما كان نصف الليل أتاهـم جبرئيل عليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم، وفلقت قلوبهم، وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة أيـام قـد تحنطوا وتكفنوا وعلمـوا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعـين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ناعقة ولا راعية ولا شئ إلا أهلكه الله، فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجميعن، ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم جميعاً.[٢٣٩]

نجاة صالح عليه السلام والمؤمنين

قـضى العـذاب الالهي الشـديد عـلى جميـع المعاندين والكفـار وبدّلهـم إلى رماد، لأن العـذاب كان مصاحباً بالصاعقة والزلزلة، فطغاهم ولم يبق منهم أحداً.

ولكـن صالـح عليه السلام نجا مـع المؤمنـين[٢٤٠] والذين كانـوا قلّـة، وطبقاً لبعـض الروايات أنهـم كانوا أربعـة آلاف شـخص، والذين هاجروا بعد هلاك قوم ثمـود من وادي القرى إلى حضرموت في اليمن وسكنوها وعاشوا بها.

وجاء في بعض الروايات أن الرسـول صلى الله عليه وآله لما تحرك إلى تبوك مع عسـكر الاسـلام في السنة التاسعة من الهجرة، وصلوا في مسيرهم إلى بلاد قوم ثمود، وأراد العسكر أن يتوقفوا ويستريحوا في

هذا المكان ولكنهﷺ منعهم وقال لهم: هنا بلاد قوم ثمود التي أنزل فيها عليهم العذاب الالهي.[٢٤١]

لماذا نزل العذاب على الجميع؟

لماذا أهلك الجميع من صغير وكبير، رجل وامرأة - ما عدا صالح والمؤمنون - بالرغم من أن الذي قتل الناقة كان شخص واحد وعاونه البعض في قتلها لما سقطت على الارض؟ ولماذا ينسب الله عزّ وجلّ القتل إلى مجموعة وليس فرد واحد حيث قال في الآية (١٤) من سورة الشمس «فعقروها»؟

لأن الجميع رضوا بهذه الجناية العظيمة والذي يرضى بالجناية والجريمة يعتبر شريكاً فيها، كما قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام في إحدى خطبه: قتل ناقة صالح شخص واحد، ولكن أنزل الله العذاب على الجميع لأنهم رضوا على هذا الأمر.[٢٤٢]

أشقى الأوّلين والآخرين

ذات يوم التفت الرسولﷺ إلى عليّعليه السلام وقال:

يا عليُّ أشقى الأوّلين عاقرُ النّاقة، وأشقى الآخرين من يخضبُ هذه من هذا.[٢٤٣]

ويعني ابن ملجم المرادي أشقى الآخرين.[٢٤٤]

والمطلب الآخر: أن فاطمة الزهراء سلام الله عليها والأئمةعليهم السلام لّما ظلموا كانوا يتذكرون مظلوميّة صالحعليه السلام وكانوا يطلبون إنزال العذاب على الأعداء كما نزل العذاب الالهي الشديد على قوم ثمود وأهلكهم جميعاً.

وكنموذج نذكر هذه الرواية: لما توفى رسول اللهﷺ وأخرجوا عليعليه السلام من منزله، وذهبوا به إلى المسجد للبيعة، خرجت فاطمة الزهراء سلام الله عليها من البيت حتى انتهت إلى القبر فقالت: خلوا عن ابن عمي فوالذي بعث محمداً بالحق لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ولأضعن قميص رسول اللهﷺ على رأسي ولأصرخن إلى الله (وألعنكم) فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي.[٢٤٥]

وتعني أنه كما نزل العذاب على جميع قوم ثمود لقتلهم ناقة صالحعليه السلام، سألعنكم وينزل العذاب على جميعكم إن تجاوزتم الحدّ، فأولادي ليسوا بأقل من ناقة صالح.

(نهاية قصص حياة صالحعليه السلام)

قصة حياة أيوب عليه السلام

قصة حياة أيوب عليه السلام

جاء اسم أيّوب عليه السلام في القرآن كأحد الأنبياء والصالحين أربع مرات.[٢٤٦]

وبالرغم من أنه جاء في بعض الروايات أن أيّوب عليه السلام هو من نسل إبراهيم عليه السلام[٢٤٧] إلا أنه يستفاد من الآية (٤٨) من سورة الأنعام أنه من نسل إبراهيم عليه السلام أو نوح عليه السلام وقد ذكر العلامة الطبرسي في مجمع البيان نسبه بأنه: «أيّوب بن أموص بن رازج بن روم بن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام»[٢٤٨]، لذا إبراهيم عليه السلام هو الجدّ الخامس لأيّوب عليه السلام[٢٤٩] ومن جهة أخرى، من جهة الأم هو من نسل لوط عليه السلام حيث كانت ابنة لوط عليه السلام.[٢٥٠]

ولد أيّوب عليه السلام في «جابيه»، إحدى النقاط المعروفة في الشام، وبعد البلوغ بعثه الله عزّ وجلّ للناس حتى يخرجهم من عبادة الأوثان والفساد إلى عبادة الله تعالى وعدالته، وعاش لمدة ٩٣ سنة.

وقد دعا الناس في تلك الأراضي إلى وحدانيّة الله سبحانه، ولكن لم يؤمن به إلا ثلاثة أشخاص.

وكان لديه زوجة مؤمنة، رؤوفة ورحيمة جداً تسمى «رُحمة» والتي خدمت أيّوب عليه السلام في أصعب المواقف وكانت وفيّة له.

أيّوب عليه السلام ووفور النعم الإلهية

بالرغم من أن أيوب عليه السلام لم يتوفق في هداية قومه إلا أن صبره واستقامته أعطى للناس درساً في المقاومة والاستقامة وتربية النفس والتي تؤدّي إلى نجاتهم.

كان لأيّوب عليه السلام الكثير من الإبل والبقر والخيل والغنم لاشتغاله بالرعي، وكان له ثروة طائلة وقد سعى في توسعة الزراعة فكان له الكثير من المزارع والبساتين والعبيد والأولاد.

وكل مساعيه كانت على أساس من التقوى والعدالة، فكان برّاً تقيّاً رحيماً بالمساكين، يكفل الأرامل

والأيتـام، ويكرم الضيف، ويبلغ ابن السـبيل، وكان شـاكراً لأنعم الله تعالى، مؤدّيـاً لحقّ الله تعالى، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والسهو والتشاغل من أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا.

وكتب البعض أنه كان لأيّوب عليه السلام سـبعة أبناء وثلاثة بنات، وكان لديه ستة آلاف من الإبل وأربعة عشر ألف من الغنم، وألف زوجٍ من البقر وألف حمار.(٢٥١)

وبمختـصر الحديـث أنه برغم وجوده بين أنواع النعـم الإلهية من المادية والمعنويـة إلا أنه كان دائماً يشكر الله عزّ وجلّ، ويعبده، ويهتم بالمحتاجين ويؤدّي جميع وظائفه الدينية والإنسانية.

أيّوب عليه السلام والامتحان الإلهي

فحسـده إبـليـس، فقـال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ شـكر هـذه النعمة إلا بما أعطيته مـن الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شـكر نعمة أبداً، فسـلّطني على دنياه حتى تعلم أنه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً.

فقيـل له: قد سـلطتك على ماله وولده، فانحدر إبليس فلم يبق لـه مالاً ولا ولداً إلا أعطبه، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً، فقال إبليس: فسلّطني على زرعه يا ربّ، قال: قد فعلت.

فجاء مع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا ربّ سلّطني على غنمه، فسـلّطه على غنمه فأهلكها فازداد أيّوب لله شـكراً وحمداً، فقال: يا ربّ سـلّطني على بدنه، فسـلّط على بدنه فبقي في ذلك دهراً طويلاً يحمد الله ويشكره.(٢٥٢)

وجاء في بعض الروايات الحديث عن أيّوب عليه السلام وابتلاءات بهذه الصورة:كان يوم الأربعاء من آخر شهر محرم، فأتاه غلام من غلمانه وقال: قتل رقيقك ولم يبق منهم أحد ونهب بقرك ولم يبق منها شيء.

وقبل أن ينتهي من حديثه أتاه غلامٌ آخر وقال له: يا أيّوب! نزلت نارٌ عظيمة من السـماء وأحرقت جميع غنمك ورعائها.

وقبل أن ينهي حديثه أتاه غلامٌ ثالث وقال: نهب جميع إبلك وقتل رعائها.

وهنا أتاه رجل آخر وقال: يا أيّوب! إنهار السقف على أولادك وهم يأكلون الطعام وماتوا جميعاً.

سـمع أيّوب كل هذه الأخبار وبكل مقاومة وصبر وتحمّل سـجد لله تعـالى وقال: يا ربّ! يا خالق الليـل والنهـار عرياناً خرجت من بطن أمّي وعريانـاً أعود في التراب وعرياناً أُحـشر إليك، الهي أنت الذي أعطيتني وأنت الذي أخذت مني، وأنا راضٍ لكل ما ترضى به.

ابتـلي أيّـوب عليه السلام بـآلام في الرجل وجروح في السـاق، وابتلى بمرضٍ صعب للغايـة حتّى أنه لم يكن

يستطيع الحركة، وبقى على هذا الوضع سبع أو سبعة عشر سنة يشكر الله عزّ وجلّ ويحمده.
وكانت له أربعة زوجات فتركنه وبقيت واحدة فقط وفيّة له وهي «رُحمة»، واستمرت آلامه لسنين ولكنه قاوم وصبر وشكر ربّه، ولم يظهر بتاتاً عدم الرضى في قلبه أو على لسانه علناً أو خفيةً.(٢٥٣)

مساعي رُحمة زوجة أيّوبﷺ الوفيّة

وكما كان أيّوبﷺ صابراً وشاكراً في المدة الطويلة سبع سنوات أو سبعة عشر سنة والتي كان فيها مريضاً ومبتلي ببلاءٍ شديد، كانت زوجته الوفية رُحمة (بنت إفرائيم بن يوسف أو بنت يعقوب أو...) أيضا صابرة وشاكرة، وكانت تخرج من المنزل وتخدم الناس في منازلهم وتصير إلى أيّوبﷺ بما يأكله ويشربه وتحمد الله تعالى معه إذا حمد.(٢٥٤)

حيلة إبليس وإبطالها بواسطة أيّوبﷺ

أراد إبليس أن يغوي أيّوبﷺ بأية طريقة، ولكنه وجده في أصعب وأشد البلاءات شاكراً وحامداً لربه، فصرخ صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الارض جزعاً من صبر أيّوبﷺ، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما أحزنك؟

قال أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلّطني على ماله وولده، فلم أدع له مالاً ولا ولداً فلم يزد بذلك إلا صبراً وثناء على الله تعالى، ثم سلّطت على جسده وتركته قرحة ملقاة على كناسة بني إسرائيل لا يقربه إلا امرأته فقد افتضحت بربي فاستغثت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له: أين مكرك؟ أين علماك الذي أهلكت به من مضى؟

قال: بطل ذلك كله في أمر أيّوب فأشيروا عليّ.

قالوا: نشير عليك، أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة من أين آتيته؟

قال: من قبل امرأته.

قالوا: فأته من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق، فتمثّل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟

قالت: هو ذلك يحك قروحه ويتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن يكون كلمة جزع فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضرّ وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً.

فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاه بسخلة فقال: ليذبح هذا لي أيوب ولا يذكر اسم

الله عزّ وجلّ فإنه يبرء.

فجاءت تصرخ: يا أيّوب حتى متى يعذبك ربك؟ ألا يرحمك؟ أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد؟ أين جسمك الحسن الذي قد بلى وتردد فيه الدواب؟ اذبح هذه السخلة واسترح.

قال أيّوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك وأجبته، ويلك أرأيت ما كنا فيه من المال والولد والصحة؟ من أعطانيه؟

قالت: الله، قال: فكم متعنا به؟

قالت: ثمانين سنة، قال: فمذ كم ابتلاني الله تعالى بهذا البلاء؟

قالت: منذ سبع سنين وأشهر.

قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك، إلا صبرت في البلاء الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله عزّ وجلّ لأجلدنك مائة جلدة حين أمرتني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذي أتيتني به علي حرام أن أذوق مما تأتيني بعد إذ قلت لي هذا، فاعزبي عني(٢٥٥) فلا أراك.

فطردها فذهبت، فلما نظر أيّوب إلى امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً فقال: ﴿ربّ إنّي مسّني الضّر﴾ ثم ردّ ذلك إلى ربه فقال: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾.

فاستجاب الله دعاءه ورفع عنه البلاء وأبدله بالنعم.(٢٥٦)

أدب أيّوب عليه السلام عند حديثه مع ربه

لما اشتدّ على أيّوب عليه السلام البلاء قال: ﴿ربّ إنّي مسّني الضّرُّ وأنت أرحم الراحمين﴾(٢٥٧)، ولم يقل إلهي أمرضتني فارحمني، بل بيّن له مقصده بالكناية والإشارة.(٢٥٨)

وطبقاً لما جاء في رواية أخرى: أن أيّوب عليه السلام صبر وقاوم حتّى أنه لم يسأل ربه رفع البلاء، بل كان راضياً بما رضي الله له، إلى أن أتته رُحمة ومعها الطعام فسألها أيّوب عليه السلام: من أين لك الطعام؟

فقالت: بعت ذؤابتي وبمالها اشتريت طعاما.

وهنا تألم أيوب عليه السلام جداً وسأل الله عزّ وجلّ وقال: إلهي صبرت في كل البلايا وأنت الذي أعطيتني الصبر، الهي! فارحمني.

ولما سأل ربه كان في حالة التواضع وناثراً التراب على رأسه ووجهه، وهنا فتح الله تعالى عليه أبواب رحمته وأغلق عليه أبواب البلاء.(٢٥٩)

علّة قسم أيّوب عليه السلام في عقوبة زوجته

علاوة على المطالب السابقة جاءت رواية أخرى تروي أن إبليس لقى رُحمة في صورة طبيب فدعته إلى مداواة أيّوب عليه السلام، فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه.

قالت: نعم، فأشارت إلى أيّوب بذلك، فحلف ليضربنها.(٢٦٠)

وطبقاً لرواية أخرى أنّ أيّوب عليه السلام بعث زوجته لقضاء حاجة، فأبطأت في الرجوع فضاق صدره وأقسم بذلك القسم.

وجاء في رواية أخرى: أن رُحمة خرجت من المنزل ومن البلد تبحث عن عمل، ولكنها لم تجد أي عمل، فاغتمت ورجعت بأيدٍ خالية وفي حالة خجلة من أمرها، وفي طريقها مرّت عليها امرأة، فسألتها عن أمرها فأخبرتها بقصتها فقالت المرأة: لديك ذؤابة جميلة وطويلة، اقطعي جزء منها حتى أضيفها إلى ذؤابتي، وعوضاً عنها أعطيك طعاماً لزوجك.

فقبلت رُحمة بذلك وقطعت ذؤابتها وأعطتها وأخذت منها بعض المال.

فأخبر الأعداء أيّوب عليه السلام ما جرى لزوجته بنحو خاطئ، فأقسم بذلك القسم.(٢٦١)

وعلى كل حال لما استردّ أيّوب عليه السلام عافيته، وحتى يبرّ بيمينه، وبأمرٍ من الله عزّ وجلّ، أخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فخرج من يمينه.(٢٦٢)

أراد أيّوب عليه السلام أن يعفو عن زوجته لوفائها له ولكل ما عملت من أجله، ولكن مسألة القسم أصبحت مشكلة، فحلّ الله تعالى هذه المشكلة وأمره أن يضربها بمائة شمراخ ضربة واحدة، وبالرغم من هذا العمل لم يكن المصداق الحقيقي لقسمه إلا أن الله عزّ وجلّ أمره بذلك وحلّ مشكلته حفظاً واحتراماً للقانون ومن جهة أخرى لإعفائه عن زوجته الرؤوفة.

شماتة الأعداء الأشد عند أيّوب عليه السلام

قال الامام الصادق عليه السلام: لما طال بلاء أيّوب عليه السلام ورأى إبليس صبره أتى إلى أصحاب له كانوا رهباناً في الجبال، فقال لهم: مروا بنا إلى هذا العبد المبتلي نسأله عن بليته.

فركبوا وجاؤوه فلما قربوا منه نفرت بغالهم فقربوها بعضاً إلى بعض ثم مشوا إليه، وكان فيهم شاب حدث فسلموا على أيّوب وقعدوا وقالوا: يا أيّوب لو أخبرتنا بذنبك فلا نرى نبتلي بهذا البلاء إلا لأمر كنت تسره (وبذلك يتشمّتون به).

قال أيّوب عليه السلام: وعزّة ربّي إنّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً قط إلا ومعي يتيم أو ضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة إلا أخذت بأشدهما على بدني.

فقال الشـاب: سـوءة لكم عمدتم إلى نبي الله فعنفتموه حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يستره فعند ذلك دعا ربه وقال: ﴿أنّي مسّـني الشّـيطان بنصبٍ وعذاب﴾[٢٦٣] فاسـتجاب الله دعاءه واستردّ أيّوب عافيته وفتحت له الأبواب الالهية.

وقال: قيل لأيوبﷺ بعد ما عافاه الله تعالى: أي شيء أشدّ ما مرّ عليك؟

قال: شماتة الأعداء.[٢٦٤]

كيفية رفع البلاء عن أيّوبﷺ ورؤية زوجته له

ونقرأ في القرآن الآية (٤٢) و (٤٣) من سـورة ص أن الله أوحى إلى أيّوبﷺ: ﴿اركض برجلك هذا مغتسلٌ باردٌ وشرابٌ، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةٌ منّا وذكرى لأولي الألباب﴾.

وقال الله جلّ جلاله في الآية ٤٤ من سورة ص: ﴿إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنّه أوّاب﴾.

فركـض أيّـوبﷺ برجله فنبعت عين فاغتسـل منها فلم يبـق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سـقط، فأذهب الله تعالى عنه كل ألم وكل سـقم وعاد إليه شـبابه وجماله وجماله أحسـن ما كان وأفضل ما كان، ثـم ضرب برجلـه فنبعـت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحاً وكسا حلة، فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال وقد أضعفه الله تعالى له فخرج حتى جلس على مكان مشرف.

وطبقـاً للروايـات أن زوجتـه رُحمة تذكّرت زوجهـا لما تركته فقالت: أرأيـت إن كان طردني إلى من أكلـه؟ أدعـه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السـباع؟! لأرجعن إليه، فرجعت فلا كناسـة ترى ولا تلك الحـال التـي كانت، وإذا الأمـور تغيرت، فجعلـت تطوف حيث كانت الكناسـة وتبكـي على أيوب، وأيّـوب ينظرها وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسـأله عنه، فأرسـل إليها أيّـوبﷺ فدعاها فقال: ما تريدين يا أمة الله؟

فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة، لا أدري أضاع أم ماذا فعل به.

قال لها أيّوبﷺ: ما كان منك؟

فبكت فقالت: بعلي فهل رأيته؟

قال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟

قالت: وهل يخفى على أحد ربه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما إنّه كان أشـبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً.

قـال: فـإنّي أنـا أيّوب الـذي أمرتنـي أن أذبح لإبليـس، وإنّي أطعـت الله تعالى وعصيت الشـيطان

ودعوت الله تعالى فردّ علي ما ترين.[٢٦٥]

وعاشت رُحمة سعيدة مع زوجها.

نعم هذه هي نتيجة الصبر والشكر لله والحمد لله، نعم رجال الحق لا يضلّون بزوال النعم، ولا تتغير أفكارهم، ويكونون في حالة اتصال دائم مع الله عزّ وجلّ سواء كانوا في راحة أو بلاء أو في صحة أو مرض، وتكون أرواحهم كالمحيط الكبير الذي لا تعكّره العواصف والرياح، ولا ييأسون في الحوادث المرّة، ويخرجون باستقامة من الامتحانات الالهية، هذا هو الدرس الكبير المستفاد من قصة أيوبعليه السلام.

ونقرأ في ورقة أخرى من التاريخ: أن رُحمة استمرت في خدمة زوجها حتى تعبت، وفي مشادة لفظية بينها وبين أيّوبعليه السلام، قال أيّوب: فارقيني.

فافترقت عنه رُحمة، وأصبح أيّوبعليه السلام وحيداً مظلوماً، وصبر وشكر ربه، حتى لطف الله به وردّ له صحته وعافيته وشبابه، ووهبه أنواع من النعم.

وبالرغم من ترك رُحمة أيّوبعليه السلام إلا أنها كانت تفكّر فيه وتودّ الالتقاء بزوجها المبتلي وتصالحه، فصممت أن تذهب إليه وهي لا تعلم بما جرى له من استرداد عافيته وشبابه، فعادت إلى منزل أيّوبعليه السلام، فرأت شاباً يقف في جنة جميلة جداً ومخضرة ومليئة بالثمار والزهور، فلم تعرفه وتعجّبت، ولم يمض وقت حتى عرفت بإشارة من أيّوبعليه السلام أن الله عزّ وجلّ لطفهم ورحمهم، فاعتنقته ويكل شوق شكرا ربهما لطفه ورحمته.

فرزق الله عزّ وجلّ أيّوبعليه السلام أولاد صالحين من تلك الامرأة الصالحة، وأصبحت حياته وحياة زوجته درس للآخرين في الصبر والاستقامة والشكر والايمان.[٢٦٦]

(نهاية قصص حياة أيّوبعليه السلام)


قصة ذو الكفل عليه السلام

قصة ذو الكفلعليه السلام

مـن أحـد الأنبيـاء الـذي جاء اسـمه المبـارك في القـرآن مرتـان (الأنبيـاء: ٨٥، ص: ٤٨) هو «ذو الكفل»عليه السلام.

وقـد ذكر في الآيـة (٨٥) من سـورة الأنبياء مع إسـماعيل وإدريس عليهما السـلام بالصابر، وذكر بالأخيار مع إسماعيل واليسع عليهما السلام في الآية (٤٨) من سورة ص.

وهناك خلاف فيمن هو «ذو الكفل» والمعروف أنه نبي حيث جاء ذكر اسمه مع الأنبياء في الآيتين المذكورتين والتي تؤيد هذا المطلب.

وعلى حسـب قول البعض، أنه ابن أيّوبعليه السلام واسـمه بشر بن أيّوب (أو بشير)، وكان مقيماً بالشام، وكان مبلـغ عمره خمسـاً وتسـعين سـنة، وأنـه أوصى إلى ابنـه عيـدان، وأن الله تعالى بعث بعده شـعيباً نبيّاً.[٢٦٧]

وكتب البعض أنه بلغ عمره ٧٥ سنة.[٢٦٨]

روي عـن عبـد العظيم الحسـني قال: كتبـت إلى أبي جعفر الثاني الهاديعليه السلام أسـأله عـن ذي الكفل ما اسـمه؟ وهل كان من المرسـلين؟ فكتب صلوات الله وسـلامه عليه: بعث الله تعالى جلّ ذكره مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبيّاً، المرسـلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإن ذي الكفل منهم صلـوات الله عليهم، وكان بعد سـليمان بـن داودعليه السلام، وكان يقضي بين الناس كـما كان يقضي داود، ولم يغضـب إلا لله عزّ وجلّ، وكان اسـمه عويديـاً وهو الذي ذكره الله تعالى جلّـت عظمته في كتابه حيث قال:

﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار﴾.[٢٦٩]

وروي مطالب أخرى في ذي الكفل.[٢٧٠]

ثلاث خصال في حياة ذي الكفل

روي أنه لما كبر اليسع عليه السلام قال: لو أنّي استخلفت رجلاً يعمل على الناس في حياتي فأنظر كيف يعمل (حتى إذا كان صالحاً أجعله وصيي من بعدي) فجمع الناس فقال لهم: من يتقبل مني ثلاثاً أستخلفه بعدي: أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب (يعني يراعي الاخلاق الحسنة ويتحكم بأعصابه)، فقام فتى فقال: أنا، فلم يلتفت إليه، ثم قال كذلك، فقام ذلك الفتى وقال: أنا، فلم يلتفت إليه اليسع فكرر قوله مرة أخرى فقام ذلك الفتى للمرة الثالثة، فاستخلفه، وجعله الله عزّ وجلّ من الانبياء.

وذلك الفتى هو ذو الكفل، وسمي بذي الكفل لتكفّله لتلك الخصال الثلاثة.(٢٧١)

نعمة الموت

وقال المحدّث المعروف الثعلبي في كتاب العرائس: وقال بعضهم: ذو الكفل بشر بن أيّوب الصابر، بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى أرض الروم، فآمنوا به وصدقوه واتبعوه، ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا، وقالوا: يا بشر إنا قوم نحب الحياة ونكره الموت، ومع ذلك نكره أن نعصي الله ورسوله، فإن سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه.

فقال لهم بشر بن أيّوب عليه السلام: لقد سألتموني عظيماً وكلفتموني شططاً، ثم إنه قام وصلى ودعا وقال: إلهي أمرتني أن نجاهد أعداءك، وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي، وإن قومي قد سألوني ما أنت أعلم به مني، فلا تؤاخذني بجريرة غيري، فإني أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك.

قال: وأوحى الله تعالى إليه: يا بشر إني سمعت مقالة قومك، وإني قد أعطيتهم ما سألوني، فطولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاؤوا، فكن كفيلاً لهم مني بذلك.

فبلغهم بشر رسالة الله فسمي ذا الكفل، ثم إنهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت بهم بلادهم، وتنغصت عليهم معيشتهم، وتأذوا بكثرتهم، فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن يردهم إلى آجالهم، فأوحى الله تعالى إلى بشر: أما علم قومك إن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم؟ ثم ردهم إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم.(٢٧٢)

وفهم الجميع أن الموت في الحقيقة هو نعمة من عند الله جلّ ذكره.

فشل الشيطان في إغضاب ذي الكفل

ذكرنا من قبل أن ذي الكفل اتّصف بثلاث صفات وتعهد بأن يلتزم بها دائماً وهي قيام الليل، صيام

النهار و ألا يغضب.

والغضب صفة من الصفات القبيحة التي تبعث على سوء الخلق وحوادث مشؤومة وخاصةً الغضب في القضاء يبعث على الانحراف وعدم صحة القضاء والحكم، وطبقاً للروايات أن الغضب يفسد أخلاق الإنسان كما يهدر الخل العسل، وهنا لنتوجه إلى القصة الآتية: قال إبليس لأتباعه: من له؟ (من يجعل يغضب ذا الكفل)

فقال واحد منهم يقال له الأبيض: أنا، فقال إبليس: فاذهب إليه لعلك تغضبه.

فلما انتصف النهار جاء الأبيض إلى ذي الكفل وقد أخذه مضجعه (وكان الوقت الوحيد الذي ينام فيه ذي الكفل لقيامه بالليل ويقظته في أول النهار للقضاء بين الناس) فصاح وقال: إني مظلوم.

فقال: قل له: تعال.

فقال: لا انصرف، فأعطاه خاتمه، فقال: اذهب وايتني بصاحبك.

فذهب حتى إذا كان من الغد جاء تلك الساعة التي أخذ هو مضجعه، فصاح: إني مظلوم، وإن خصمي لم يلتفت إلى خاتمك.

فقال له الحاجب: ويحك دعه ينم، فإنه لم ينم البارحة ولا أمس.

قال: لا أدعه ينام وأنا مظلوم، فدخل الحاجب وأعلمه فكتب له كتاباً وختمه ودفعه إليه، فذهب حتى إذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح فقال: ما التفت إلى شيء من أمرك، ولم يزل يصيح حتى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحر لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت، وقال: اذهب بنا إلى الظالم حتى آخذ حقك منه، فلما رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه أن يغضب، فأنزل الله تعالى جلّ وعلا قصته على نبيه ليصبر على الأذى كما صبر الأنبياء عليهم السلام على البلاء.[٢٧٣]

(نهاية قصص ذو الكفل عليه السلام)

قصة حياة شعيب عليه السلام

قصة حياة شعيبعليه السلام

شـعيبعليه السلام هـو من أحد أنبياء الله والذي جاء اسـمه إحدى عشرة مرة في القـرآن، وقد بعثه الله عزّ وجـلّ عـلى قـوم مديَن والأيكـة ليدعوهم إلى الوحدانيـة والدين الإلهـي وينجّيهم من عبـادة الأوثان والفساد الأخلاقي.

وبالنسبة إلى سلسلة نسب شعيبعليه السلام، اختلف المفسرون في نسبه الشريف ولكن المحدّث المعروف المسعودي نقل أنه من نسل نابت بن مدين بن إبراهيم.(٢٧٤)

وتقع مدينة مدين في معان بالقرب من الشام في نهاية الحجاز، وكان قوم مدين علاوةً على عبادتهم الأصنـام والفسـاد الأخلاقي كانوا يغشّـون في التجارة والأخذ والعطاء، وكانـوا ينقصون في المكائيل والموازيـن، ويبخسـون الناس وينقصـون في الذهب والفضة، وكانوا يلجـأون إلى الحيلة والمكر لحبهم للدنيا والثراء.

مدينة الأيكة كانت أيضاً قرية عامرة ومخضرة وكانت تقع بالقرب من مدين، وقوم أيكة كانوا أيضاً كقوم مدين غارقين بالفساد.

فاختار الله عزّ وجلّ شـعيبعليه السلام من بين قوم مدين ليكون نبيّاً ويخرجهم من الفسـاد ويدعوهم إلى التوحيد والصفاء والقسط.(٢٧٥)

كان شعيبعليه السلام أحد أنبياء العرب، ولكن على حسب قول البعض أنه كان من نسل إبراهيمعليه السلام، بل كان ابن بنت لوطعليه السلام.

توضيح

روى الشـيخ الصدوق بسـنده أن شـعيبا النبي وأيوب صلوات الله عليهما وبلعم بن باعوراء كانوا

مـن ولـد رهط، آمنوا لإبراهيم يوم أحرق فنجا وهاجروا معه ومع لوط عليه السلام إلى الشـام، فزوجهم بنات لوط، فكل نبي كان قبل بني إسرائيل وبعد إبراهيم عليه السلام من نسل أولئك الرهط.[٢٧٦]

عاش شـعيب عليه السلام مائتين واثنين وأربعين سنة، ويستفاد من الروايات وأحاديث المفسرين والقرائن أن الله عزّ وجلّ أرسـل شـعيب إلى أهل مدين وأصحاب الأيكة، وكلاهما لم يطيعوه وطغوا فنزل على كل منهم عذاب شديد.[٢٧٧]

ودعا شـعيب عليه السلام قومه إلى الله عزّ وجلّ وإلى العدالة بالمنطق والاسـتدلال وسـبل حكيمة ورؤوفة، وكان خطابه جميل وجاذب لدرجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كان شعيبٌ خطيب الأنبياء.[٢٧٨]

مقاطع من خطاب شعيب عليه السلام في هداية قومه

قال شعيب عليه السلام لقومه:

﴿يـا قـوم اعبدوا الله ما لكـم من إلهٍ غيره ولا تنقصـوا المكيال والميزان إنّي أراكـم بخيرٍ وإنّي أخاف عليكم عذاب يومٍ محيطٍ، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسـدين، بقيّت الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظٍ﴾.[٢٧٩]

﴿يـا قـوم أرءيتـم إن كنتُ على بينـةٍ من ربّي ورزقنـي منه رزقاً حسـناً وما أُريـدُ أن أخالفكم إلى ما أنهاكـم عنـه إن أُريد إلا الإصلاح ما اسـتطعت ومـا توفيقي إلا بالله عليه توكلّـتُ وإليه أنيب، ويا قوم لا يجرمنّكم شـقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوحٍ أو قوم هودٍ أو قوم صالحٍ وما قوم لوطٍ منكم ببعيدٍ، واستغفروا ربّكم ثم توبوا إليه إنّ ربّي رحيمٌ ودودٌ﴾.[٢٨٠]

﴿يـا قـوم أرهطـي أعزُّ عليكم مـن الله واتّخذتموه وراءكم ظهريّـاً إنّ ربّي بما تعملـون محيطٌ، ويا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عاملٌ سوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه ومن هو كاذبٌ وارتقبوا إنّي معكم رقيبٌ﴾.[٢٨١]

عناد ووقاحة قوم شعيب

وبدلاً من أن يطيعوا ويسـتجيبوا لدعوة شعيب عليه السلام الرحيمة والمنطقية ونيل سعادة الدنيا والآخرة، صدّوه بكل وقاحة وعاندوه وقالوا له بكل صراحة: ﴿إنّك لأنت السّفيهُ الجاهلُ﴾.[٢٨٢]

وقالوا أيضاً لشـعيب عليه السلام: ﴿يا شـعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾.[٢٨٣]

﴿وقالوا يا شعيبُ ما نفقه كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً﴾.[٢٨٤]

﴿ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيزٍ﴾.[٢٨٥]
وبهذا الترتيب كذّبوه، وخالفوه.

دعوة شعيبعليه السلام أصحاب الأيكة وعنادهم

كانت الأيكة مدينة معروفة والتي تقع بالقرب من مدين وكانت ذات ماء وشجر كثير، لذا سمّيت بالأيكة.

وكان أهلها أغنياء ومرفّهين، لذا كانوا غارقين بالغرور والغفلة وكانت عبادة الأصنام والاحتيال في البيع والشراء رائجة بينهم كقوم مدين.

وكما قال القرآن أن شعيبعليه السلام دعاهم وقال لهم: ﴿ألا تتّقون، إنّي لكم رسولٌ أمينٌ، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على ربّ العالمين، أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، واتّقوا الذي خلقكم والجبلّة الأوّلين﴾.[٢٨٦]

فاتهموه بالسحر وقالوا لشعيبعليه السلام: ﴿إنّما أنت من المُسحّرين، وما أنت إلا بشرٌ مثلنا وإن نظنّك لمن الكاذبين، فأسقط علينا كسفاً من السّماء إن كنت من الصّادقين﴾.[٢٨٧]

فقال شعيبعليه السلام: ﴿ربّي أعلم بما تعلمون﴾[٢٨٨]، فكذّبوه ونزل عليهم عذاب شديد كما قال القرآن: ﴿فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظّلّة إنّه كان عذاب يومٍ عظيمٍ﴾.[٢٨٩]

شهادة ثلاثة رسل من رسل شعيبعليه السلام على يد عبّاد الأوثان

ويستفاد من بعض الروايات أن مخالفة قوم شعيب لشعيبعليه السلام كانت شديدة جداً إلى درجة أنهم قتلوا رسل شعيب إليهم ظلماً، وهنا نلفت نظركم إلى الروايات الثلاثة التي جاءت عن رسل شعيبعليه السلام:

١- قال سهيل بن سعيد: بعثني هشام بن عبد الملك أستخرج له بئراً في رصافة عبد الملك، فحفرنا منها مائتي قامة ثم بدت لنا جمجمة رجل طويل فحفرنا ما حولها فإذا رجل قائم على صخرة عليه ثياب بيض، وإذا كفه اليمنى على رأسه على موضع ضربة برأسه فكنا إذا نحينا يده عن رأسه سالت الدماء، وإذا تركناها عادت فسدت الجرح، وإذا في ثوبه مكتوب: أنا شعيب بن صالح رسول رسول الله شعيب النبي إلى قومه فضربوني وأضروا بي وطرحوني في هذا الجب وهالوا إلى التراب، فكتبنا إلى هشام بما رأيناه، فكتب: أعيدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر.[٢٩٠]

٢- قـال عبـد الرحمن بن زياد الأفريقي: خرجت بإفريقية مع عم لي إلى مزروع لنا، فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشّاً، فحفرنا عامة يومنا حتى انتهينا إلى بيت كهيئة الأزج[٢٩١]، فإذا فيه شيخ مسجى[٢٩٢]، وإذا عند رأسـه كتابة فقرأتها فإذا: أنا حسـان بن سـنان الاوزاعي رسول شعيب النبي عليه السلام إلى أهل هذه البـلاد، دعوتهـم إلى الايمان بالله فكذبوني وحبسـوني في هذا الحفير إلى أن يبعثنـي الله وأخاصمهم يوم القيامة.[٢٩٣]

٣- وذكروا أن سـليمان بن عبد الملك مرّ بوادي القرى فأمر ببئر يحفر فيه ففعلوا فانتهى إلى صخرة فاسـتخرجت فإذا تحتها رجل عليه قميصان، واضع يده على رأسـه، فجذبت يده فمج مكانها بدم، ثم تركت فرجعت إلى مكانها فرقأ الدم[٢٩٤]، فإذا معه كتاب فيه: أنا الحارث بن شـعيب الغسـاني رسـول شعيب إلى أهل مدين فكذبوني وقتلوني.[٢٩٥]

الروح التعيسة عقوبة المذنب المغرور

كان في عهـد شـعيب عليه السلام رجـلاً مغروراً ومذنبـاً، وكان ذو جثة عظيمة ويتمتـع بصحة جيدة وكان يقـول: بالرغـم مـن أنني مذنب إلا أن الله لم يعاقبني، وأنا في سـلامة وعافيـة في كل شيء، إذن العقوبة الالهية كذب.

فأوحـى الله جـلّ وعلا إلى شـعيب عليه السلام أن قل له: كم أعاقبك، فأنت سـليم ظاهريـاً ولكن باطنك أسـود وسريرتك عليلة، ولك قلب أعمى، لذا ليس لـك إذن واعية وعينٌ مبصرة وقلب واعي وقابل للنصيحة، ألم يكفيك كل هذا البلاء والمرض؟

فأبلغه شعيب عليه السلام كلام الله عزّ وجلّ، فقال: إذن ما الدليل على عقابه لي؟ فطلب شعيب عليه السلام من الله عزّ وجلّ الدليل على ذلك، فألهمه الله وقال: لما يقوم إلى العبادة كالصلاة، الصوم، الزكاة و... وغيرها لا يجـد فيها أي لـذّة روحيّة، إطاعتك لها ظاهر جميل، ولكن باطنهـا كالجوز أجوف، والجوز الأجوف إذا زرعته في الأرض لا تنبت أبداً.

فأبلغه شعيب كلام الله تعالى فانتبه إلى سرّ المطلب فخشع وتواضع لله.[٢٩٦]

عشق شعيب عليه السلام لله تعالى

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بكى شعيب عليه السلام من حبّ الله عزّ وجلّ حتى عمي، فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شـعيب إلى متى يكون هذا؟ أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار فقد آجرتك، وإن يكن

شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك.

فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك[٢٩٧].

فأوحى الله جلّ جلاله إليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.[٢٩٨]

توصية شعيب عليه السلام بالصلاة

كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة وكان يقول إذا صلى: إن الصلاة رادعة عن الشر، ناهية عن الفحشاء والمنكر، فقالوا: أصلاتك التي تزعم أنها تأمر بالخير وتنهي عن الشر، تأمرك بترك دين السلف وما يعبد آباؤنا وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا إنك لأنت الحليم الرشيد؟[٢٩٩]

إنزال العذاب على قوم شعيب عليه السلام

مساعي شعيب عليه السلام ودعوته ليلاً ونهاراً أدّت إلى إيمان بعض الناس ولكن أغلب قومه خالفوه لغرورهم واستحقّوا العذاب الالهي الشديد.

قال الامام الباقر عليه السلام: أوحى الله إلى شعيب النبي: أني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم.

فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.[٣٠٠]

وقال الله جلّ ذكره في القرآن: **﴿ولما جاء أمرنا نجّينا شُعيباً والذين آمنوا معه برحمة وأخذت الذين ظلموا الصّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين، كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين...﴾**.[٣٠١]

وقيل أن نوعان من العذاب نزل على قوم شعيب عليه السلام، نزل نوع من العذاب على أهل مدين والنوع الآخر نزل على أصحاب الأيكة.[٣٠٢]

وكيفية عذاب وهلاك أهل مدين هي: أن رجفة شديدة رجفت أرض مدين وأخذتهم صيحة شديدة فماتوا بها وأصبحوا في ديارهم جاثمين، وكأنهم لم يكونوا ساكنين تلك الدّيار، كما قال الله تعالى في القرآن: **﴿فكذّبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾**.[٣٠٣]

وبالنسبة إلى عذاب أصحاب الأيكة قيل: أنه أصابهم حرّ وهم في بيوتهم لسبعة أيام، فخرجوا يلتمسون الروح من قبل السحابة التي بعث الله عزّ وجلّ فيها العذاب، فلما غشيهم أخذتهم الصيحة

وصاعقة من نار فماتوا وهلكوا.[٣٠٤]

نعم هذه هي عاقبة المعاندين والملوّثين بالفساد والانحراف حيث قال الله عزّ وجلّ في النهاية: ﴿إنّ في ذلك لآيةً وما كان أكثرُهُم مؤمنين﴾.[٣٠٥]

وقال أيضاً: ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾ (عن رحمة الله).[٣٠٦]

(نهاية قصص حياة شعيبعليه السلام)

قصة ظهور اشموئيل وطالوت وجالوت بعد موسى عليه السلام

قصة ظهور اشموئيل وطالوت وجالوت بعد موسى عليه السلام

كما قلنا سابقاً أنه بعد وفاة موسى عليه السلام قام بني إسرائيل بقيادة يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام بمحاربة العمالقة في الشام وفلسطين، حتى يفتحون بيت المقدس والمدن الأخرى واستمرت هذه الحرب.

وكان لبني إسرائيل نبي بعد موسى عليه السلام والذي جاء ذكره في الآية (٢٤٦) و (٢٤٧) و (٢٤٨) من سورة البقرة بعنوان «النبي» ولم يذكر اسمه والذي يعتقد أغلب المفسرين أنه النبي إشموئيل إستناداً على الروايات.

وقد تولى إشموئيل والذي كان أصله من بني إسرائيل قيادة بني إسرائيل وبدأ بإعادة بنائهم لجهاد الأعداء.

فأحسّ إشموئيل أن جيش بني إسرائيل يحتاج إلى قائد شجاع لا يخاف، وأحس بني إسرائيل أنفسهم أنهم بحاجة إلى مثل هذا القائد لما لقوه من ظلم على يد الأعداء.

فأتوا إشموئيل وسألوه يعيّن لهم قائد وملك شجاع يحاربون الأعداء في ظله كما جاء في القرآن: ﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾.

فقال لهم إشموئيل والذي كان يعرف ضعفهم: ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا (وتجبنوا)﴾.[٣٠٧]

ولكنهم وعدوه بأن يطيعوه ويقاتلوا معه الأعداء، فسأل إشموئيل ربه فأوحى الله إليه: إنني سأبعث لك ملكاً فاجعل الراية بيده.

وكان هذا القائد اللائق «طالوت» والذي كان طويل القامة وأعلم بني إسرائيل في وقته وأجمل وأتمهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعة، وكان في هذا الوقت غير مشهور، وكان يسكن مع والده

على ساحل النهر ويرعى الدواب ويعمل بالفلاحة.

ذات يوم ضلّت بعض دوابه في الصحراء، فبدأ طالوت مع أحد أصدقائه بالبحث عنهم عند النهر، حتى وصلا إلى مدينة «صوف» - المدينة التي يسكن بها إشموئيل - فقال صديق طالوت لطالوت: إننا بالقرب من مدينة صوف، وإشموئيل النبي يعيش بها، هيا نذهب إليه لعله يرشدنا إلى موضع دوابك.

فقبل طالوت بذلك ودخلا صوف وجاءا إشموئيل وما أن وقع نظر إشموئيل على طالوت حتى ارتبط قلبه به وكذلك طالوت بادله نفس الشعور، وعرفه إشموئيل في نفس اللحظة وعلم أن هذا الشخص هو الذي بعثه الله عزّ وجلّ ليكون قائداً.

فشرح طالوت قصته لإشموئيل، فقال له إشموئيل: إن دوابك في القرية وهي متجهة الآن إلى بستان والدك، ولا تقلق، وإنّي أدعوك إلى عمل أكبر وهو نجاة بني إسرائيل من الأعداء.

فتعجّب طالوت ثم قبل بدعوة إشموئيل، فعرّفه إشموئيل إلى بني إسرائيل وقال: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، فاتبعوه واستعدوا لجهاد الأعداء.

فتهاون بني إسرائيل في إطاعته لأنهم لم يروا في ظاهر طالوت آثار والصفات الملكية، ولم يكونوا يعرفونه، ولكن طمأنهم إشموئيل وقال لهم: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾.[٣٠٨]

فطلب بني إسرائيل دليل وآية على ملكه فقال لهم إشموئيل: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت[٣٠٩] فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾.[٣١٠]

وبإعجاز من الله وصل إليهم التابوت.

وجاء في التاريخ: لما غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجع في أعناقهم وكل موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء، فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فأجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها إلى ثورين، ففعلوا ذلك وأرسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين إلى بني إسرائيل.

فقال إشموئيل لبني إسرائيل: وهذا هو التابوت، قد أمر الله عزّ وجلّ الملائكة بأن يسوقوا الثورين إليكم.

وبرؤيتهم للتابوت، علموا بصدق ملك طالوت وقبلوه، وأيقنوا بالنصر فتبادروا إلى الجهاد.[٣١١]

انتصار بني إسرائيل بقيادة طالوت

نصب طالوت ملكاً على بني إسرائيل، فبدأ بتجهيز وإعداد الجيش للقتال، وبدأوا بالسير إلى الأعداء، وفي مسيرهم أراد أن يمتحن بني إسرائيل، فقال لهم بالرغم من عطشهم وعدم وجود الماء: يا بني إسرائيل: إن الله مبتليكم بنهرٍ في هذه المفازة، فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب فهو من الله إلا من اغترف غرفة بيده، فلما وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كل واحد منهم غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم.

وأدرك طالوت أن المؤمنين الذين يستطيعون الجهاد هم الذين لم يشربوا الماء أو شربوا بمقدار غرفة يد واحدة.

فجاوز طالوت والمؤمنون معه النهر، فلما نظروا إلى جنود جالوت ورأوا كثرة الأعداء وقلتهم قالوا: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ ولكنهم كانوا يعتقدون بلقاء الله ويوم الآخرة فقالوا بإرادة قوية: ﴿كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله واللهُ مع الصّابرين﴾.[٣١٢]

فاستمر جنود بني إسرائيل في حركتهم وطالوت في المقدمة حتى ظهرت لهم صفوف جيوش جالوت، فوقف جيش بني إسرائيل في مقابل ذلك الصف العظيم ودعوا ربهم وقالوا: ﴿ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾.[٣١٣]

فبدأت هذه الفئة القليلة بالقتال بروحيّة عالية بقيادة طالوت الملك اللائق والمؤمن، وفي ذلك الوقت كان داود عليه السلام قد انضم إلى جيش بني إسرائيل، ولم يكن معروفاً آنذاك، فلما رأى داود عليه السلام جالوت أخذ الحجر فجعله في مقدافه فرماه فصك به بين عينيه فدمغه ونكس عن دابته وهلك، وبقتله تراجع وفرّ جيش جالوت.

وبهذا الترتيب غلب طالوت جالوت بجيشه القليل، وأصبح لداود عليه السلام مكانة عظيمة عند إشموئيل وبني إسرائيل وأعطاه الله الملك والنبوّة.

داود عليه السلام والدرع

قال الامام الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل (إشموئيل): إن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام اسمه داود بن إيشا، وكان إيشا راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود، فلما بعث طالوت إلى نبي إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى إيشا أن احضر واحضر ولدك، فلما حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدرع، درع موسى عليه السلام، فمنهم من طال عليه، ومنهم من قصر عنه، فقال لإيشا: هل خلفت من ولدك أحداً؟

قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً، فبعث إليه فجاء به فلما دعي أقبل ومعه مقلاع.

قال: فناداه ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: يا داود خذنا، فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش، قوياً في بدنه شجاعاً، فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوى عليه ففصل طالوت بالجنود، فجاء داودعليه السلام فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها، وجنوده بين يديه، فأخذ داودعليه السلام من تلك الأحجار حجراً، فرمى به في ميمنة جالوت فمرّ في الهواء فوقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهزموا، ورمى جالوت بحجر فصكّت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع على الأرض ميّتاً، فانهزم جيشه، وانتصر بني إسرائيل.[٣١٤]

(نهاية قصص إشموئيلعليه السلام وطالوت وجالوت)

قصة حياة يوسف عليه السلام

قصة حياة يوسفعليه السلام

جاء اسم يوسفعليه السلام ابن يعقوبعليه السلام (٢٧) مرة في القرآن، وسميت إحدى السور - السورة الثانية عشر - بإسم يوسفعليه السلام وهي (١١١) آية وتحكي عن قصة يوسفعليه السلام من بدايتها إلى نهايتها، وعرّفت قصة يوسفعليه السلام بالقرآن بأحسن القصص، كما نقرأ في الآية الثالثة من سورة يوسف: ﴿**نحن نقصُّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾.

ولنتوجه إلى هذه القصة على أساس القرآن:

رؤيا يوسفعليه السلام

كان ليوسفعليه السلام أحد عشر أخاً، وكان له من أمه أخ واحد يسمى بنيامين، وكان أصغرهم ما عدا بنيامين، وأكثرهم حبّاً لدى يعقوبعليه السلام، ولما كان عمره تسع سنين[٣١٥] أتى أبوه وقال له: ﴿**يا أبت إنّي رأيتُ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾.[٣١٦]

فقال له يعقوبعليه السلام والذي كان يعلم بتعبير رؤياه: ﴿**يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إنّ الشيطان للإنسان عدوٌّ مبينٌ، وكذلك يجتبيك ربُّك ويُعلّمك من تأويل الأحاديث ويُتمُّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمّها على أبويك من قبلُ إبراهيم وإسحاق إنّ ربّك عليمٌ حكيمٌ**﴾.[٣١٧]

وتأويل هذه الرؤيا أنه سيملك مصر ويدخل عليه أبواه وإخوته فيعظّمونه ويجلّلونه[٣١٨] ويسجدون له شكراً لله.[٣١٩]

فكان يعقوبعليه السلام يعلم أنهم سيحسدون يوسفعليه السلام لعلمه بما في أنفسهم، لذا كان يجب أن لا يُهيج فيهم الحسد، ومن جهة أخرى شاهد يعقوبعليه السلام ميزة وعظمة خاصة في وجه يوسفعليه السلام من رؤياه

وإلهامات أخرى وكان يعلم أن ولده هذا سيكون نبيّاً وسيكون له مستقبل مشرق، لذا لم يكن يستطيع إخفاء محبته له، مما أدّى إلى حسده من قبل إخوته.

وطبقاً لبعض الروايات، أن بعض نساء يعقوب سمعن برؤيا يوسفعليه السلام وأخبرن إخوته فازداد حسدهم وقرروا أن يتخلصوا منه.

كيد إخوة يوسفعليه السلام الحاسدين

وبالرغم من أن يعقوبعليه السلام كان يعدل بين أولاده، ولكن صفات يوسفعليه السلام الحسنة ومميزاته أدّت إلى أن يحبه أكثر، وكان يوسف عليه آنذاك أصغر إخوانه - ما عدا بنيامين - وله تسع سنين، لذا مثل هذا الولد كان محبّاً من جهة أبويه.

لذا لم يخالف يعقوبعليه السلام العدالة بين أولاده حتى يحسدونه، بل كان مراقب وحريص جداً على كتمان رؤيا يوسف حتى لا يكيدوا إخوته له كيداً، ومن جهة أخرى كان يوسفعليه السلام أجمل إخوانه، حسن التماثل طلق المحيا، وكانت هذه الصفات كافية حتى يحسدونه، لذا لم يقصّر يعقوبعليه السلام في حفظ ومراعاة العدالة بينهم.

ولكن اشتعل الحسد في قلوب إخوته فتآمروا فيما بينهم وقالوا: ﴿ليوسف وأخوه (بنيامين) أحبّ إلى أبينا منّا ونحن عصبة إنّ أبانا لفي ضلالٍ مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾.[٣٢٠]

أي تتوبون من بعده فقال أحدهم: ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجُبّ يلتقطه بعض السّيّارة إن كنتم فاعلين﴾.[٣٢١]

نعم إن صفة الحسد بعثتهم على أن يتهموا أباهم بالضلال ثم اقترحوا بقتل يوسفعليه السلام وصمموا على فعل جناية كبيرة ليفرّغوا أنفسهم من عقدة الحسد، وجاء في الرواية أن الذي نصحهم بعدم قتل يوسفعليه السلام هو «لاوي» (أو روبين أو يهودا)، وقال: أن المطلوب منا هو قطع علاقة أبينا بيوسفعليه السلام، فلِمَ نقتله، بل نرميه في الجبّ ويلتقطه بعض السّيّارة ويأخذونه بعيداً عن أعين أبينا.

فقبلوا بفكرته، وقرروا بأن يقوموا بهذه الخطّة في الوقت المناسب.[٣٢٢]

نعم إن الحسد خصلة من الخصال القبيحة والخطيرة التي تطغى على الخصال الأخرى وتكون مفتاحاً للذنوب الأخرى الكبيرة، لذا للابتعاد عن الكثير من الذنوب يجب أن نغسل قلوبنا من الحسد، ذلك الإحساس المشئوم.

نفاق الإخوان عند أبيهم

فجاء إخوة يوسف‏عليه السلام عند أبيهم يعقوب‏عليه السلام بكل نفاق وأظهروا رحمتهم على يوسف‏عليه السلام ووقوفهم بجانب الحق وبدأوا معه بالحديث وإقناعه بخروج يوسف‏عليه السلام معهم وقالوا: ﴿يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنّا له لناصحون، أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنّا له لحافظون﴾.

فقال يعقوب‏عليه السلام: ﴿إنّي ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾.

فقالوا: ﴿لئن أكله الذّئب ونحن عصبةٌ إنّا إذاً لخاسرون﴾.

فدفعه إليهم وهو لذلك كاره متوقع للبلوى من الله في يوسف، وكانوا يعدّون الدقائق حتى يحين وقت خروجهم إلى الصحراء وقبل أن يتراجع أباهم عن رأيه.

فلما حان وقت خروجهم غسّل يعقوب‏عليه السلام وجه يوسف‏عليه السلام وألبسه لباساً حسناً، وأعدّ لهم سلّة مليئة بالطعام وأعطاهم ثم وصّاهم كثيراً بيوسف‏عليه السلام وقال لهم: لا تخونوا الأمانة، وكلما جاع يوسف ناولوه الطعام وحافظوا عليه.

فلما خرجوا من منزلهم لحقهم يعقوب‏عليه السلام مسرعاً فانتزعه من أيديهم فضمّه إليه واعتنقه وبكى ودفعهم إليهم، فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم، فلما ابتعدوا كثيراً عن يعقوب‏عليه السلام ظهر حسدهم وبدأوا بانتقامهم من أخيهم يوسف‏عليه السلام، ولم يكن يوسف‏عليه السلام يستطيع أن يفعل شيئاً، ولم يرحموا بكائه وطفولته واستعدوا لتنفيذ خطّتهم.

ثم أتوا به غيضة أشجار فقالوا: نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة فيأكله الذئب الليلة، فقال كبيرهم: لا تقتلوا يوسف ولكن ألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السّيّارة إن كنتم فاعلين.

وطبقاً لبعض الروايات، أنهم نزعوا قميصه عنه وجعلوه عرياناً ولم يهتموا بتضرّعه وتوسله وأتوا به إلى البئر وجعلوا يدلونه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه، فلما صار في قعر الجبّ ناداهم: اقرأوا يعقوب السلام مني.(٣٢٣)

وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها، وظلّ إخوته بجانب الجبّ لساعات حتى يتأكدوا من غرقه وقال بعضهم لبعض: لا تزالوا من ههنا حتى تعلموا أنه قد مات، فلم يزالوا بحضرته حتى آيسوا ورجعوا إلى أبيهم.(٣٢٤)

ضحكة عبرة، وتوكل ومناجاة يوسف‏عليه السلام

وروي أنه لّما ألقوا يوسف‏عليه السلام في البئر، ضحك يوسف‏عليه السلام فقال له يهودا: ليس هنا موضع الضحك!

قال يوسف‏‎: ذات يوم كنت أفكّر من الذي يستطيع معاداتي لأن لي أخوة أقوياء، ولكنني أراكم أنتم الذين تسلطّوا عليّ وألقيتموني بالجب، وهذا درس من الله عزّ وجلّ بأن لا يتّكل الانسان إلا على الله جلّ ثناؤه (لذا ضحكي لم يكن لسرورٍ بل كان لعبرة اعتبرتها من هذه الحادثة وهي ألا أتّكل إلا على الله تعالى).[٣٢٥]

ولما ألقي يوسف‏‎ في البئر انقطع عن كل شيء وارتبط بالله وحده وقال: «يا رب ابراهيم واسحاق ويعقوب ارحم ضعفي وصغري».

«يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا مفرّج عن كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعرفُ حالي، ولا يخفى عليك شيءٌ من أمري برحمتك يا ربّي».

وظلّ يوسف‏‎ وحيداً في أعماق البئر المظلمة مع صغر سنه وتوكّل على الله عزّ وجلّ فلطف به الله تعالى وبعث إليه الملائكة حتى يحافظون عليه ويسلّونه [٣٢٦]، ونتيجة لتوكّله على الله أوحى الله تعالى إليه: أن لا تحزن، ﴿**لتنبئنّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**﴾.[٣٢٧]

وروي أنه حين ألقي إبراهيم الخليل في النار جرّد من ثيابه وقذف في النار عرياناً فأتاه جبرئيل بقميصٍ من حرير الجنة فألبسه إياه، وكان ذلك عند إبراهيم‏‎ فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات إسحاق ورثه يعقوب، فلما شبّ يوسف‏‎ جعل يعقوب‏‎ ذلك القميص في تعويذ وعلّقه في عنقه وكان لا يفارقه، فلما ألقي يوسف‏‎ في البئر عرياناً جاءه جبرئيل وكان عليه ذلك التعويذ فأخرج منه القميص وألبسه إياه.

وروى: أنه هو القميص الذي وجد يعقوب ريحه لما فصلت العير من مصر، وكان يعقوب بفلسطين فقال: إنّي لأجد ريح يوسف.[٣٢٨]

ونقل عن الامام الصادق‏‎ أنه قال: لما طرح أخوة يوسف، يوسف في الجبّ أتاه جبرئيل‏‎ فدخل عليه فقال: يا غلام ما تصنع ههنا؟

فقال: إن إخوتي ألقوني في الجب.

قال: فتحب أن تخرج منه؟

قال: ذاك إلى الله عزّ وجلّ إن شاء أخرجني.

قال: فقال له: إن الله يقول لك: ادعني بهذا الدعاء حتى أخرجك من الجب فقال له: وما الدعاء؟

قال: قل: اللهم إنّي أسئلك بأن لك الحمدُ لا إله إلا أنت المنّانُ، بديعُ السّماوات والأرض ذو الجلال والإكرام أن تُصلّي على محمدٍ وآل محمدٍ وأن تجعل لي مما أنا فيه فرجاً ومخرجاً.[٣٢٩]

كذب الأخوة وردّ يعقوبعليه السلام

بعدما ألقى أخوة يوسـف، يوسـفعليه السلام في الجـبّ، عادوا إلى كنعان، وحتـى لا يفضحوا أمام أبيهم لطّخوا قميص يوسـفعليه السلام بدم جدي أو غزال، وبذلك يكون عندهم الدليل على صدق كلامهم وأن الذئب قد أكل يوسفعليه السلام.

فرجعـوا إلى أبيهـم عشـاءاً يبكـون فلـما رآهـم أباهم سـألهم: أيـن اخاكم؟ لمـاذا خنتـم الأمانة ولم تحفظونها؟ هل حصل ما خفت منه؟

فقالوا: ﴿يا أبانا إنّا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾ وهذا قميصه ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين﴾.[٣٣٠]

ولّمـا كذّبـوا لم يفكروا أن الذئب حينما يأكل شـخص يمزّق ملابسـه أيضاً، لذا لمـا رأى يعقوبعليه السلام القميص غير ممزق قال: اللهم لقد كان ذئباً رفيقاً حين لم يشق القميص.

فانتبهوا لخطأهم وقالوا: لقد أخطأنا اللصوص قتلوه.

فقال يعقوبعليه السلام: كيف يقتله اللصوص ولا يأخذون قميصه وهم في أشـد الحاجة للقميص.(لماذا كل هذا الكذب؟)

فاستحوا ولم يكن لديهم جواب ليردّوا على أبيهم، وكان الحقّ ما قال يعقوبعليه السلام: ﴿بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً﴾.[٣٣١]

إنقاذ السّيّارة يوسفعليه السلام من البئر

قضى يوسفعليه السلام المظلوم ليالي مرّة في البئر، ثلاثة ليالي وثلاث أيام قضاها فيها، ولكن ربّ يوسف لم ينساه، وكان يسلّيه بإلهامات روحية، وكان ينتظر يوسفعليه السلام في كل لحظة الخروج من البئر وكان يفكّر بالمسـتقبل، ولم يقطع ارتباط قلبه بالله عزّ وجلّ، وكان ينتظر ماذا سـيفعل القدر به؟ وماذا سيلبسـه من امتحان وبلاء؟!

جـاءت سـيّارة مـن مدين يريـدون مصر ومعهـم الإبل وأمـوال التجـارة، ونزلوا قريبـاً من الجبّ للاسـتراحة وشرب المـاء، فبعثـوا من يطلب لهم المـاء وكان رجلاً يقال له «مالك بـن ذعر» فأدلى دلوه في البئر ليسـتقي، فتعلّق يوسـفعليه السلام بالحبل فجرّه فلما خرج ونظر إذا هو غلامٌ من أحسن الناس وجهاً فعـدى إلى صاحبـه وقال: ﴿يا بشرى هذا غلام﴾، واجتمعوا حوله وفرحوا به، وخبّئوه حتى يأخذونه إلى مصر ويبيعونه، وقد بهتوا لجماله وتعجّبوا.

روي أنـه لمـا أخرج يوسـفعليه السلام مـن البئر قال أحدهم: احسـنوا إلى هـذا الطفل الغريـب، فأجاب

يوسفعليه السلام بكل اطمئنان: من يكون مع الله لا يكون غريباً.[(٣٣٢)]

فأخذوه معهم كبضاعة إلى مصر، وطبقاً للأحاديث كان بين كنعان وبين مصر يومئذٍ مسيرة اثنى عشر يوماً، وفي مسيرهم وصل يوسفعليه السلام إلى قبر والدته «راحيل»، فنزل من البعير وأتى قبرها، وبكى وأخبرها بفراقه عن والده والوطن وما فعل به إخوته ثم التحق بالسّيّارة وساروا إلى مصر.[(٣٣٣)]

بالرغم من نجاة يوسفعليه السلام من وحشة الوحدة في قعر البئر إلا أنه أصبح عبداً من العبيد فكان يفكّر ماذا سيحصل له في المستقبل الأسود؟

النجاة من الجب والدخول إلى القصر

ولما دخلت السّيّارة مصر أرادوا أن يتخلّصوا من يوسفعليه السلام بأسرع وقت ممكن حتى لا يأتي أحد أقاربه ويعرفه ويأخذه بدون بيع، لذا باعوه بثمنٍ بخس ودراهم معدودة.

وكان عزيز مصر آنذاك يفكّر بشراء غلام لائق، ولما رأى يوسفعليه السلام اشتراه وأخذه إلى قصره، وكان سعيداً بهذه المعاملة، ولما أدخله قصره قال لزوجته زليخا أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً.

وقيل اسم عزيز مصر كان «قطفير» أو «طفير» وكان خليفة فرعون مصر، وكان اسم فرعون مصر «ريّان بن وليد» أو «أبوفس» أو «أبابي الأول».

وهنا يطرح هذا السؤال لماذا باعوا يوسفعليه السلام بثمن قليل بالرغم من جماله الفائق والذي لا ليس له نظير، لماذا لم يعتنوا به؟

ما هي العلّة الحقيقية وسرّ هذا المطلب؟ لماذا يذلّ يوسف الصديقعليه السلام بهذه الطريقة؟

أجاب رسول اللهصلى الله عليه وآله على هذه الأسئلة وبيّن دقّة جهاز الخلقة وهو عقوبة عمل ترك الأولى.

قال الرسولصلى الله عليه وآله: ذات يوم شاهد يوسفعليه السلام جماله في المرآة، وعجب بجماله، واغترّ بنفسه وقال: من يعلم ما كان قيمتي لو كنت غلاماً؟

فأراد الله عزّ وجلّ أن يباع بهذه القيمة القليلة حتى لا يتصور مثل تلك التصورات، وحتى يتوجه إلى الله عزّ وجلّ الخالق وينكر ذاته أمام الله تعالى.

قال الامام الرضاعليه السلام: كانت عشرين درهماً، والبخس: النقص، وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل، كان قيمته عشرين درهماً.[(٣٣٤)]

وهنا انتقل يوسفعليه السلام إلى طبقة أخرى واتصل بها وفي الواقع بدأ فصل جديد في تاريخ حياة يوسفعليه السلام والذي فيه حكم ومواعظ لأصحاب المعرفة.

عفة يوسف(عليه السلام) في صفحة أخرى من حياته

يوسف ساكن الكوخ أصبح ساكنا للقصر، ويوماً عن يوم بدأت آثار نموه الجسدي والروحي تظهر وتبرز، فهواه عزيز مصر لكماله و جماله ومعرفته وعفّته وحسنه ووقاره، وليس هو فقط بل حتّى امرأته هوته، السيدة التي لم يكن لها ولد والتي تعيش في أحسن وضع أصبحت تهوي وتعشق يوسف(عليه السلام)، ولا يخرج من فكرها للحظة واحدة.

وكانت تنظر زليخا إلى طوله وقامته وتفكّر فيه وتتعجّب منه، كيف لشاب في مثل عمره وفي عنفوان شبابه يكون طاهراً عفيفاً وخجولاً؟ ولا يخون.

﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض ولنعلّمه من تأويل الأحاديث واللهُ غالبٌ على أمره ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون﴾.(٣٣٥)

والله لا يضيّع أجر المحسنين، ويستحق يوسف(عليه السلام) الذي كان كاملاً وعفيفاً في عنفوان شبابه، أن يكون لديه علم لدني ومقام النبوة الذي منحه الله عزّ وجلّ.

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾.(٣٣٦)

وكانت زليخا تفكر بيوسف(عليه السلام) ليلاً ونهاراً، ولكنها لم تستطع أن تأخذ منه شيئاً، وكانت تراه في كل لحظاته ملكاً في العفّة.

وكان يوسف(عليه السلام) حذراً جداً من كيدها ولم يزل ولن يزال محافظاً على عزته ومناعته وعفته وشرفه الرفيع ومقامه السامي إلى أن هاج بها هائج الغرام واعتزمت على شفاء غليلها المتوقد وما في نفسها من الصبابة فصارحته القول ودعته إلى نفسها دعوة ملزمة دعوة السيد إلى المملوك دعوة تنجيز وعمل جازمة بعدم مخالفته، واحتاطت للأمر وأخذت العدة التامة، فرفعت الحجاب عن نفسها وبرزت له على أتمّ زينة وهي على غاية الجمال، فكانت أجمل نساء عصرها، ثم غلقت الأبواب وقالت: هيت لك، فأبى وقال: ﴿معاذ الله إنه ربّي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾.

انظروا إلى هذا المأزق الحرج والمحنة البالغة الكاشفة عن قوة الإيمان عن غاية النزاهة عن روح القدس ودليل النبوّة والعصمة، شاب في ريعان شبابه وغضارة الفتوة تدعوه سيدته الجميلة إلى نفسها فيغلبه دينه ويمنعه رعاية الذمام لسيده، ثم يولي وجهه شطر الباب يطلب الفرار والنجاة من شيطان غوايتها.

فقالت له: لا تخف، وألقت نفسها عليه فأفلت منها هارباً، فغضبت زليخا وتبدلت الشهوة والعشق إلى الغضب، وفي هذه اللحظة أعطى ذكر الله والالهام الإلهي يوسف(عليه السلام) القدرة على أن يتغاضى عما يراه ويسرع إلى الباب وكان حريصاً جداً على أن لا يخطئ في هذا الموقف الحساس.(وكما قال الامام

الصادقعليه السلام: قامت إلى صنم في بيتها فألقت عليه ملاءة لها، فقال لها يوسف: ما تعملين؟ فقالت: ألقي على هذا الصنم ثوباً لا يرانا فإني أستحيي منه، فقال يوسف: أنت تستحيين من صنم لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي أنا من ربي؟). (٣٣٧)

فهرب منها إلى الباب ففتحه فلحقته زليخا فجذبت قميصه من خلفه وانشق القميص فأفلت يوسف منها في ثيابه وخرج من القصر ولحقته حتى شاهدا عزيز مصر، ورآهما في تلك الحالة والتي سنذكر قصتها.

نعم، هكذا ساعد الله جلّ ثناؤه يوسفعليه السلام حتى يبعده عن العمل المخالف للعفّة، لأنه كان من عباد الله المخلصين كما قال في القرآن الكريم:

﴿إنّه من عبادنا المخلصين﴾. (٣٣٨)

وحقاً إن يوسفعليه السلام جاهد في هذا الميدان جهاداً كبيراً حيث قال أمير المؤمنين عليعليه السلام: «ما المجاهدُ الشهيدُ في سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعفّ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة». (٣٣٩)

وأعطى يوسفعليه السلام بجهاده وقتل نفسه أعظم وأعلى الدروس لهذا العالم.

شهادة الرضيع في عفة يوسفعليه السلام

لما خرج يوسفعليه السلام من القصر ولحقته زليخا رآهما عزيز مصر في تلك الحالة، فبهت فقالت له زليخا: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾.

وغضب عزيز مصر غضباً شديداً وهنا قال يوسفعليه السلام بلحن صادق وبكل إطمئنان: ما أردت بأهلك سوءاً بل هي راودتني عن نفسي فسل هذا الصبي(٣٤٠) في المهد أيّنا راود صاحبه عن نفسه.

فقال عزيز مصر للصبي: احكم في هذه القضية.

فأنطق الله الصبي في المهد وقال: أيها الملك انظر إلى قميص يوسف فإن كان مقدوداً من قدامه فهو الذي راودها؟ وإن كان مقدوداً من خلفه فهي التي راودته، فلما سمع الملك كلام الصبي وما اقتص جاء بالقميص فنظر إليه فلما رآه مقدوداً من خلفه قال لها: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكنّ عظيمٌ﴾.

وبعد هذه الحادثة ولحفظ حيثية عزيز مصر وزوجته وصّى يوسفعليه السلام وقال له: اعرض عن هذا ولا يسمعه منك أحداً واكتمه.

وقال لزوجته: ﴿استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾. (٣٤١)

وكان يجب على عزيز مصر أن يعاقب زوجته ولكنه لم يرد أو لم يكن مسلّطاً عليها حتى يعاقبها، أو لم يكن رجلاً غيوراً، لذا تغاضى عن هذا الموضوع.

نعـم، في أصعـب المواقـف وفي قمة هيجان الشـهوة، حفظ يوسـفعليه السلام نفسـه، وفي أخطر مراحل العمـل المنـافي للعفّة وأمام حركات امرأة متزوجة عاشـقة وتوسـلاتها قال: ﴿معـاذ الله﴾، وفي أجواء مساعدة تماماً قطع سلسلة الشهوة الغليظة وهرب، وحفظه الله من التهم اللاأخلاقية، وجعل صبي في المهد يتكلم ويقضي ويشهد على عفّة يوسفعليه السلام.

عدم حياء زليخا في ردّها على اعتراض النساء

شـاع خبر عشـق زليخا بغلامها في المدينة وذاع، حتى وصل إلى نسوة كن من أثرياء المدينة، فوبّخن زليخا وقلن: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، قد شغفها حُبّاً إنا لنراها في ضلالٍ مبين﴾.[٣٤٢]

فبلغهـا ذلك، ورسـمت خطّة ذكية حتى تجيب وترد على تلك النسـوة، فدعتهـن (واللاتي كن من الأشراف)[٣٤٣] إلى قصرهـا، وهيّئـت لهـم طعامـاً ومجلسـاً ثـم أتت كل واحـدة منهم سـكيناً ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن.

حقّاً ماذا يفعل يوسـف في مثل الوضع وهو غلام ويجب عليه إطاعة سيدته، وكانت زليخا حرّة في تصرفاتها، وزوجها الذي لا يغير لا يتدخل في تصرفاتها ولا يمنعها، فدخل يوسفعليه السلام المجلس، ﴿فلما رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهن﴾.[٣٤٤]

فوقف يوسـفعليه السلام بكل حياء وعفّة في المجلس ولم يعتني بالنسـوة، وقالت النسـوة: ﴿حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ﴾.[٣٤٥]

كان وضع المجلس غير عادياً، والنسوة قد بهتن لجمال يوسفعليه السلام، وفرحت زليخا لهذا الوضع، ثم قالت لهن: ﴿فذلكنّ الذي لُمتنّني فيه﴾ الذي لم يميل إلى، حتّى أنّي راودتّه عن نفسـه فاسـتعصم وهرب منّي ورفضني.

هنـا لاحظـوا قلة حيـاء زليخا إلى أي درجة وصلت، حيث أنها لم تقـل في المجلس أنها نادمة على ما فعلت معه بل أقرّت وأعلنت بعملها القبيح وخيانتها.[٣٤٦]

يوسف البريء في السجن وتبليغاته

زليخا غضبت جداً من عدم اعتناء يوسـفعليه السلام برغباتها الغير مشروعة، وقالت في حضور النسـوة: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليُسجننّ وليكوناً من الصّاغرين﴾.[٣٤٧]

ورأت زليخا أن يوسفعليه السلام لا يسلّم نفسه إليها أمام كل هذا التهديد ووقاحتها، فأمرت بحبسه.

ولكـن يوسـفعليه السلام التجأ إلى الله جـلّ وعلا ودعا ربه أن يصرف عنه كيدهن وقال: ﴿ربّ السّـجنُ

أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عنّي كيدهُنّ أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين، فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهنّ﴾.(٣٤٨)

نعم، رجّح يوسفعليه السلام السجن على اقتراف الحرام، فاستجاب له الله تعالى وصرف عنه كيد النساء، نعم إن الله سميع عليم ولا ينسى عبده المخلص الطاهر.

والعدل يقتضي أن تعاقب زليخا وتُحبس لتقلع عن أفعالها المحرّمة، ولكن لم يقض بالعدل بل حبس يوسفعليه السلام بجرم طهارته واستقامته، وبجرم جهاده ضد الشهوات النفسية واتخاذ سبيل العفّة والطهارة، حتّى يردعه السجن عن أعماله ويندم ولكنهم غفلوا عن أن الحبس كان أفضل له عن الإجابة لطلب النساء.

فحبس وقضى سنوات في السجن صابراً على عذاب السجن، وجعل السجن مسجداً له، يشتغل بالعبادة ومناجاة الله، وجعله مركزاً لتبلغياته فيرشد ويهدي المسجونين ويدعوهم إلى الله عزّ وجلّ.

وكان يقول لهم: ﴿واتّبعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، يا صاحبيَ السجن ءأربابٌ متفرقون خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهّار، ما تعبدون من دونه إلا أسماءً سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطانٍ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إيّاه ذلك الدّين القيّمُ ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.(٣٤٩)

وبهذا الترتيب لم يقع يوسفعليه السلام تحت تأثير الجوّ الفاسد في السجن، وكان في السجن يدعو عبّاد الأصنام إلى عبادة الله عزّ وجلّ وجعل السجن مركزاً لإرشاد الضّالين.

تعبير رؤيا سجينان

ووصل مقام يوسفعليه السلام نتيجةً لعبوديته لله عزّ وجلّ وطهارته إلى أن ألهمه الله علم تأويل الرؤيا فكان يعبر لأهل السجن رؤياهم، وطبقاً للروايات والأحاديث الواردة أن في يوم حبسه ادخل فتيين معه السجن، وكان كل منهما قد رأى رؤيا وكان أحدهما خبّاز والآخر ساقي الملك، لذا كل منهما رأى رؤيا تناسب عمل كل منهما، فقال أحدهما: ﴿إنّي أراني أعصر خمراً وقال الآخر إنّي أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطّير منه﴾.(٣٥٠)

وقبل أن يعبّر لهما يوسفعليه السلام رؤياهما، استفاد من الفرصة ورآها مناسباً للتبليغ والإرشاد، لذا بدأ بوظيفة النبوة وتبليغ الرسالة فأخبرهم عن معجزته والتي تدلّ على نبوّته: ﴿لا يأتيكما طعامٌ تُرزقانه

﴿إلا نبّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما﴾.

وبهذا البيان، فهّمهما يوسف‌عليه السلام بأنه نبيّ ومبعوث من قبل الله عزّ وجلّ ثم قال: ﴿ذلكما ممّا علّمني ربّي إنّي تركتُ ملّةٍ قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون، واتّبعتُ ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيءٍ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾.(٣٥١)

وبهذه البيانات توجّها أكثر إلى يوسف‌عليه السلام واطّلعا على عقيدته، وتوجّها أكثر ليعرفا ماذا سيقول يوسف‌عليه السلام بعد هذا الحديث؟ وهنا انتقد عبّاد الأصنام بكل متانة وإظهار الدليل والمنطق وبيّن العقيدة وهدف الحقّ.

ثم عبّر لهما رؤياهما، وقال: ﴿يا صاحبيَ السجن أمّا أحدكما فيسقى ربّه خمراً وأمّا الآخر فيصلب فتأكل الطّير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.(٣٥٢)

وقيل: أن الذي عبّر له سيعدم قال: إنّي لم أر شيئاً وكنتُ أتصنع ذلك، فقال يوسف‌عليه السلام: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

وحدث ما عبّر يوسف‌عليه السلام بعد ثلاثة أيّام، فخرج الساقي وأصبح ساقياً للملك، وأعدم الآخر.(٣٥٣)

زلة يوسف‌عليه السلام العجيبة وعقوبتها

ولما أراد ساقي الملك الخروج طلب منه يوسف‌عليه السلام طلباً، وهذا الطلب كان مشروعاً، ولكن هذا الطلب بعيد عن مقام يوسف‌عليه السلام لطلبه من شخص كالساقي، ومن تلك اللحظة نسي ربه، وجعل الساقي واسطة لنجاته من السجن، وبسبب هذا الترك للأولى عاقبه الله، كان يجب أن يدعو الله عزّ وجلّ كما دعا الإمام موسى بن جعفر الكاظم‌عليه السلام في السجن وقال: يا مخلّص الشجر من بين ماءٍ وطين.

ولكنه نسي ربّ السماء والأرض وتوسّل بالساقي وقال له: ﴿اذكرني عند ربّك﴾.(٣٥٤)

هذه الزلّة كانت زلّة كبيرة صدرت عن يوسف‌عليه السلام حيث قال رسول الله‌صلى الله عليه وآله: عجبت من أخي يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق.(٣٥٥)

ونسي الساقي طلب يوسف‌عليه السلام، سقيه للخمر واتباعه للشيطان أنساه صاحبه الطّيب ولم يتذكره لمدة سبع سنوات.

نعم، هذه نتيجة عدم الوفاء والغفلة، وطبقاً لرواية عن الامام الصادق‌عليه السلام أنه قال: إنّ يوسف‌عليه السلام

أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف إنّ ربّ العالمين يقرؤك السلام ويقول لك: من جعلك أحسن خلقه؟

قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض ثم قال: أنت يا رب.

ثم قال له: ويقول لك: من حبّبك إلى أبيك دون إخوتك؟

قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض وقال: أنت يا رب، قال: ويقول لك: من أخرجك من الجبّ بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة؟

قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض ثم قال: أنت يا رب، قال: فإنّ ربك قد جعل لك عقوبة في استغاثتك بغيره، فالبث في السجن بضع سنين.

توبة يوسف عليه السلام عن زلته

الرجال الكبار والعظام إذا زلّوا يتوبون فوراً ويستغفرون ربهم، وأيضا يوسف عليه السلام تاب فوراً عن تركه الأولى.

وطبقاً لرواية أخرى أن يوسف عليه السلام بكى كثيراً حتى بكى لبكائه الحيطان، فتأذى به أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً، وكان في اليوم الذي يسكت أسوأ حالاً.

نعم إن يوسف عليه السلام ليس كالآخرين الذين يسكتون ولا يفكرون بعملهم، فقد اغتم كثيراً لتركه الأولى وبكى حتى بكت الحيطان لبكائه.

وبرواية عن شعيب عقرقوقي عن الامام الصادق عليه السلام قال: فلما انقضت المدة وأذن الله له في دعاء الفرج وضع خده على الأرض ثم قال: اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

فلطف به الله وتوجه إلى آهاته وبكائه ودعائه وتوكله وفرّج عنه، ومنذ خروجه من السجن زادت عزّته يوماً عن يوم حتى أصبح عزيز مصر.[٣٥٦]

خروج يوسف عليه السلام من الحبس لتعبيره رؤيا الملك

رأى ملك مصر (وليد بن ريان) في منامه أنّ سبع بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبعٌ عجافٌ وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وآخر يابساتٍ، فلما استيقظ من منامه وأصبح أخذته الفكرة في هذه الرؤيا وأقلقته وشوشته وأصبح منزعجاً لهذا المنام فدعا الكهنة والسحرة وكل من له علم بتعبير الرؤيا وسألهم عن تأويل رؤياه وقال: ﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾، فلم يجد عند أحدٍ منهم جواباً يرتضيه

ولم يهتدوا إلى شيء من واقعه بل قالوا: ﴿أضغاثُ أحلامٍ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾.[٣٥٧]

وفي ذلك الحين انتبه ساقي الملك إلى ما جرى له ولرفيقه مع يوسف في السجن فأشار على عزيز مصر الجبّار بأنه لا يحل هذه العقدة إلا يوسف الذي عبّر له ولرفيقه ما وقع لهما، وقد أصاب وكان ما عبره وكأنه يشاهد الأمر على واقعه، فلما عرض الأمر على الملك وطلب منه أن يرسله إلى السجن ليأتي بالتعبير الذي لا مراء فيه من يوسف، أرسله الملك إليه فلما التقى بيوسف أخبره برؤيا الملك.

فقال يوسف: ﴿تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله[٣٥٨] إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شدادٌ يأكلن ما قدّمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾.[٣٥٩]

وعلى أثر تعبيره لهذه الرؤيا وخدمته العظيمة التي خدمها لأهل مصر، أصبح يوسف محبوباً جداً، ومع ظهور مقدمات الخروج من السجن والتي سنذكرها في الأسطر القادمة، خرج يوسف من السجن وسُلّم مكانة حسّاسة في مصر وأصبح الرجل الأول في مصر وعزيز مصر.

استفادة يوسف من الفرصة لإثبات براءته

ثم إن الساقي للملك ورسوله إلى يوسف عاد إليه بتأويل رؤياه بشرحٍ مفصّل حسب بيان الصدّيق وتفسيره له، فلمّا سمعه ابتهر وسرّ كثيراً وعلم أنّه حقّ لكونه مناسباً ويتفق مع الرؤيا، ونظراً لما بلغه من صدقه وما يعهده فيه من أمانته، وقد عبر لرسوله له ولرفيقه، وقد صدق فيه وطابق الواقع، فقال الملك: ائتوني به، فلما طلبه وأراده أن يأتيه أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف سبب زجّه في السجن وقال: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنّ ربّي بكيدهنّ عليم﴾.[٣٦٠]

فرجع رسول الفرعون إلى الملك وأخبره بما قال يوسف، فأحضرهن ومعهن زليخا وسألهن عن شأن يوسف هل هو مجرم أم أنتن؟ وقال: ﴿ما خطبكن إذ راودتنّ يوسف عن نفسه﴾.

قلن: ﴿حاشى لله ما علمنا عليه من سوء﴾.

وقالت زليخا: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصّادقين﴾.[٣٦١]

فاستفاد يوسف من هذه الفرصة وعلّم البشرية أنه يجب في المواقع الحسّاسة، أن يدافع الإنسان عن حقه ويبرء نفسه عن التهم التي اتهم بها.

﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، وما أبرء نفسي إنّ النفس لأمارةٌ بالسوء إلا ما رحم ربّي إنّ ربّي غفورٌ رحيم﴾.[٣٦٢]

وعلم الجميع وأهل مصر أن يوسفعليه السلام كان طاهراً وبعيداً عن الآثام، وهكذا خرج يوسفعليه السلام من السجن مرفوع الرأس، طاهر الذيل، نقي الجانب.

يوسفعليه السلام صاحب خزائن الأرض

فعلم ملك مصر بطهارة وعلم ودراية يوسفعليه السلام فتعلّق به بشدّة، وأمر بإخراجه من السجن حتى يجعله أمين أسراره وأموره، فجاء أحدهم عند يوسفعليه السلام وبشّره بالإخراج.

فأتوا به إلى الملك وباركه وأجلسه بجانبه، وبدأ يتحدّث معه ويدرك في كل لحظة درجات مقام يوسفعليه السلام العلمي ثم علم مئة في المئة بأنه يستحق أن يدير المقامات الحسّاسة في الدولة وقال له بصراحة: ﴿إنّك اليوم لدينا مكينٌ أمين﴾.[٣٦٣]

طلب يوسفعليه السلام والذي هو من رجال الله، أن يهبه مقام وقدرة يستطيع أن ينفع به البشرية ويخدم المجتمع.

نعم يوسف الخادم يطلب المقام، ولكن المقام الذي يجعله سلماً لإعلاء كلمة الحق وخدمة الناس، واختار مقام صاحب الخزائن، وعلى الرغم من أنه يرى ببصيرته الدقيقة سبع سنوات خصبة وسبع سنوات مجدبة إلا أنه إن أصبح صاحب الخزائن سوف يساعد الناس بتدابيره الذكية وينجّهم من الهلاك ويعين المحتاجين، لذا قال للملك: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم﴾.

فأعطاه الملك هذا المنصب وأصبح يوسفعليه السلام عزيز مصر[٣٦٤]، وبعد قبول يوسفعليه السلام لهذا المنصب بدأ بخدمة الناس، وأصبح محبوباً بين أهل مصر لخدمته الصادقة والوفية والعادلة.

نعم، هكذا منح الله هذا المقام ليوسفعليه السلام، والمرمي في الجب وصل إلى مقام عزيز مصر، والله لا يضيّع أجر المحسنين، وهذا أجر دنيوي، وواضح أن الأجر الأخروي أفضل من الأجر الدنيوي.

﴿ولأجر الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتّقون﴾.[٣٦٥]

استفادة يوسفعليه السلام من إمكانيّات الدولة

روى المفسرون مطالب مختلفة في مدة إستلام يوسفعليه السلام لمنصب صاحب الخزائن وهل وصل إلى مقام الملك وإن وصل إلى مقام الملك كم سنة ظلّ في هذا المقام، وهنا نذكر حديث ابن عبّاس في هذا الخصوص ثم نذكر حديث الإمام الرضاعليه السلام والذي يبين مساعي يوسفعليه السلام بعد استلامه منصب صاحب الخزائن.

قال ابن عباس: لو كان يوسفعليه السلام لم يطلب أن يكون صاحب الخزائن، لكان الملك بنفسه يجعل كل

إمكانيّات المملكة تحت تصرفه، وعمل يوسف‌عليه السلام كصاحب الخزائن لسنة واحدة ثم جُعل ملكاً على مصر بطلبٍ منه، وحمل السيف الخاص بالحكومة، وأجلس على عرش الملك المزين بالذهب والدرر والياقوت، وشعّ نور يوسف‌عليه السلام على كل شيء، وحينما أصبح ملكاً جعل كل الإمكانيّات المتاحة له في نفع المجتمع وراعى العدل حتى دخلت محبته في قلوب أهل مصر من رجالٍ ونساء، كما قال القرآن: ﴿يتبوّأ منها حيث يشاء﴾.(٣٦٦)

وهنا نتوجه إلى حديث الإمام الرّضا‌عليه السلام وكيف استفاد يوسف‌عليه السلام مما خوّله ربّه: عن الرضا‌عليه السلام قال: واقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن، فلما مضت تلك السنون وأقبلت السنون المجدبة أقبل يوسف علي بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلا صار في ملكية يوسف، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جوهر إلا صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمة إلا صار في ملكية يوسف، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلا صار في ملكيّة يوسف، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرّ إلا صار عبد يوسف، فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً.

ثم قال يوسف للملك: أيها الملك ما ترى فيما خوّلني ربّي من ملك مصر وأهلها، أشر علينا برأيك، فإني لم أصلحهم لأفسدهم، ولم أنجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم ولكنّ الله نجّاهم على يدي.

قال له الملك: الرأي رأيك.

قال يوسف: إنّي أشهد الله وأشهدك أيها الملك إنّي قد أعتقت أهل مصر كلهم، ورددت إليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت إليك أيها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي، ولا تحكم إلا بحكمي.

قال له الملك: إنّ ذلك لشرفي وفخري لا أسير إلا بسيرتك ولا أحكم إلا بحكمك، ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له، ولقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول له فأقم على ما وليتك فإنك لدينا مكينٌ أمين.

زهد يوسف عليه السلام

روي أن يوسف عليه السلام لم يشبع من الطعام في هذه السنوات المجدبة، فقالوا له: بالرغم مما تملكه من خزائن الأرض لماذا لا تأكل حتى تشبع؟

فقال يوسف عليه السلام: أخاف أن أشبع فأنسى الجياع.[٣٦٧]

حضور إخوة يوسف عند يوسف عليه السلام

في تلك السنوات السبع المجدبة، أصاب القحط أهل مصر وأهل كنعان (فلسطين) وأيضاً ابتلى يعقوب عليه السلام وأولاده بهذا البلاء، وقد ذاع صيت عزيز مصر بعدالته وإحسانه حتى وصل كنعان، وكان أهل كنعان يخرجون إلى مصر ويجمعون الطعام ويرجعون به إلى كنعان.

وروي عن ابن عباس أنه قال: لما أصاب آل يعقوب ما أصاب الناس من ضيق العيش وقلة الطعام، جمع يعقوب بنيه وقال لهم: يا بني لقد بلغني من أنه يباع بمصر طعامٌ طيّب وأن صاحبه رجلٌ صالح فاذهبوا إليه واشتروا منه طعاماً فحينئذٍ تهيّئوا وبقى بنيامين عند يعقوب عليه السلام بناءاً على طلبه (حتى يعينه في أعمال المنزل) وساروا حتى وردوا مصر، وكان يوسف عليه السلام يتولى البيع بنفسه، فلما دخل إخوته على يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿**وهم له منكرون**﴾.

وجاء عن ابن عباس أنهم دخلوا على يوسف عليه السلام بعد مضي أربعين سنة من حادثة رميهم يوسف عليه السلام في الجب، وفي ذلك الوقت كان عمر يوسف عليه السلام تسع سنوات والآن يبلغ عمره خمسين سنة، لذلك تغيّر وجهه، ومن جهة أخرى لم يكونوا يفكّرون للحظة أن يوسف عليه السلام قد وصل إلى مقام السلطان المقتدر وجالس على عرش القيادة.

ولم يعرّفهم يوسف عليه السلام بنفسه لمصالح معينة، وتحدّث مع إخوته وانتظر الفرصة المناسبة حتى يعرّف لهم نفسه، وبصورةٍ ماهرة رتّب مجيء آلِ يعقوب إلى مصر.

وروي عن عليّ بن إبراهيم أنه قال: فرحّب يوسف عليه السلام بهم وأحسن إليهم الكيل وقبل أن يرحلوا قال لهم يوسف عليه السلام: من أنتم؟

قالوا: نحن بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، نسكن الشام وقد أصابنا القحط وجئناك نشتري الطعام.

قال يوسف عليه السلام: لعلكم جواسيس لبعض الملوك جئتم إلى بلادي.

فقالوا له: أيّها الملك لسنا بجواسيس ولا أصحاب حرب ولو تعلم بأبينا لكرمنا عليك فإنه نبي الله وابن أنبيائه وإنه لمحزون.

فقـال لهم يوسـف: فما حزنه وهو نبي الله وابن أنبيائـه والجنة مأواه وهو ينظر إليكم في مثل عددكم وقوّتكم فلعل حزنه إنّما هو من قبل سفهكم وجهلكم.

فقالوا: أيها الملك، لسـنا بجهلاء ولا سـفهاء ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكن كان له ابن كان صغيرنا سنّاً يقال له يوسف، فخرج معنا إلى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزيناً.

فقال لهم يوسف: كلكم من أبٍ واحد وأمٍ واحدة؟

فقالـوا لـه: أبونا واحد وأمهاتنا شـتى، فقال لهم: فـما حمل أباكم على أن سرّحكـم كلكم ولم يحبس منكم واحداً يأنس به ويستريح إليه؟

قالوا: قد فعل فحبس منّا واحداً هو أصغرنا سنّاً.

قال لهم: ولم اختاره من بينكم؟

قالوا: لأنه أحب أولاده إليه بعد يوسفعليه السلام.

فقال يوسفعليه السلام: ما الدليل على صدق قولكم؟

قالوا: إننا نسكن بلاد بعيدة، ولا يوجد عندنا هنا أحد نعرفه، من نأتيك حتى يشهد لنا؟

فقال يوسف: فأتوني بأخٍ لكم من أبيكم إن كنتم صادقين في قولكم وسأرضى.

فقالوا له: سيحزن أبونا لفراقه، وقد أنسى به، فكيف نأتي به؟

فقـال يوسـف: إنّي أحبـس منكم واحداً وارجعـوا إلى أبيكم وقولوا له يرسـل إليّ بابنه، فأفرج عن أخاكم.

فاقترعوا بينهم بناءاً على أمر يوسـفعليه السلام فخرجت القرعة على شـمعون فأمر به فحبس، وكان هذا درس من دروس الخلقة حتى يبقى شمعون بهذه الوسيلة عند يوسفعليه السلام والذي كان أفضل من إخوته بالنسبة إلى يوسفعليه السلام، وكان له ماضي حسنٌ مع يوسفعليه السلام.

ثم ودّعوه وعزموا على السـير، فقال لهم يوسـفعليه السلام: إن لم تأتوني بأخيكم فلا كيل لكم عندي ولا تقربون.

فأمر يوسفعليه السلام بأن يرد إليهم بضاعتهم سرّاً حتى يضمن عودتهم إليه وإحضار أخوهم، ويجبرون على العودة إلى مصر حتى يردّوا الأمانة أو يحسـنون الظن بيوسفعليه السلام ويدركون لطفه وإحسانه وكرمه فيعودوا إليه مرةً أخرى.

فسـار إخوة يوسـف إلى الشـام وهم فرحين، ولكن من جهـة أخرى كانوا يفكّـرون كيف يقنعون يعقوبعليه السلام ويأتون ببنيامين إلى مصر، وطووا هذا الطريق الطويل (والذي كان بين منزل يعقوب وبين مصر يومئذ مسيرة اثنى عشرة يوماً) ووصلوا إلى كنعان.[٣٦٨]

بنيامين عند يوسف(عليه السلام)

ودخلوا على يعقوب(عليه السلام) وسلّموا عليه، وهنا انتبه يعقوب(عليه السلام) لغياب شمعون فقال لهم: يا بني ما لي لا أسمع فيكم صوت خليلي شمعون؟

فقالوا: يا أبانا إنّا جئناك من عند أعظم الناس ملكاً لم ير الناس مثله حكماً وعلماً وإن كان لك شبيه فإنه ليشبهك، ولكنا أهل بيتٍ خلقنا للبلاء، اتّهمنا الملك وزعم أنّه لا يصدّقنا حتى ترسل معنا بنيامين برسالة منك تخبره عن حزنك وعن سرعة الشيب إليك وعن بكائك وذهاب بصرك فأرسل معنا أخانا بنيامين نكتل يا أبانا لقد وجدنا ردّت إلينا بضاعتنا (لما فتحوا متاعهم) والذي أحسن إلينا لن يضرّ أبداً بأخينا بنيامين، وبعد انتهاء الطعام بعد أيام سنضطر الذهاب إلى مصر.

وبالرغم من عدم ثقة يعقوب(عليه السلام) بأبنائه لما فعلوا بيوسف(عليه السلام) إلا أنه رأى إصرار أبنائه واسترداد البضاعة وعلمه بكرم وعدالة سلطان مصر وأسر شمعون، رضي بأخذهم بنيامين في هذا السفر، وطلب من الله أن يحفظ بنيامين.

فأخذوا بنيامين وودّعوا أباهم وخرجوا به حتى وردوا مصر، وكان يوسف(عليه السلام) يحسب الدقائق وينتظر حضور أخاه بنيامين، فبشّر بورود إخوته، وفرح يوسف(عليه السلام) جداً بهذا الخبر.

فدخلوا على يوسف(عليه السلام) مع بنيامين وقالوا: هذا أخانا الذي أمرتنا بإحضاره، فجلّلهم يوسف(عليه السلام) وأمر لهم بطعام، ثم قال (طبقاً لرواية عن الامام الصادق(عليه السلام)): ليجلس كل بني أم على مائدة، فجلسوا وبقي بنيامين قائماً، فقال له يوسف: ما لك لم تجلس؟

فقال: ليس لي فيهم ابن أم.

فقال يوسف(عليه السلام): ولكن ليس لك أخ من أم؟!

قال بنيامين: بلى، لي أخ من أمي ويسمى يوسف، ولكن زعم هؤلاء (إشارة إلى أخوته) أن الذئب أكله.

قال يوسف: فما بلغ من حزنك عليه؟

فقال بنيامين: وُلد لي اثنا عشر ابناً كلهم اشتققت له إسماً من إسمه (إلى هذا الحدّ أنا مشتاق إليه ودوماً في ذكره وحزين لفراقه).

قال يوسف: أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده.

فقال له بنيامين: إن لي أباً صالحاً وانه قال لي: تزوج لعل الله عزّ وجلّ يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح.

فقال له يوسف: اجلس على مائدتي.

فقال إخوته: قد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أن الملك قد أجلسه معه على مائدته.

فقال يوسف عليه السلام: يابنيامين! أنا عن أخيك الذي زعم إخوتك بأن الذئب قد أكله فلا تحزن ولا تبتئس وانس الماضي.(٣٦٩)

لما أقنع أخوة يوسف عليه السلام أباهم وأخذوا معهم بنيامين وخرجوا به الى مصر – كما ذكرنا – نصحهم يعقوب عليه السلام بنصيحة رؤوفة وعلّم درساً للبشرية حيث قال لهم: ﴿**يا بنى لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبوابٍ متفرقة**﴾.(٣٧٠)

وتظهر هذه النصيحة رحمة يعقوب عليه السلام على أولاده، حيث أراد أن يحفظهم من العين والحسد لأنهم كانوا أصحاب قامة طويلة.

تأكيد يوسف عليه السلام للاحتفاظ ببنيامين

وكان يوسف عليه السلام يريد أن يبقى بنيامين عنده، ولكن قانونياً لم يكن ذلك ممكناً، ولا سبيل لذلك، لذا قام بإعداد خطة لذلك (بموافقة بنيامين)، ولم يكن هناك أي مشكلة شرعية في تلك الخطة والتي دبرت لمصالح مهمة (وبرضى بنيامين).

فلما جهزوا بجهازهم أمر يوسف عليه السلام بعض أعوانه أن اجعلوا هذا الصاع في رحل بنيامين، وكان الصاع من ذهب فجعلوه في رحله من حيث لم يلتفتوا، فلما نهضوا للارتحال بعث إليهم يوسف وحبسهم ثم أمر منادياً ينادي أيتها العير إنكم لسارقون.(٣٧١)

فقال أخوة يوسف: ماذا تفقدون؟

قالوا: ﴿**نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعيرٌ وأنابه زعيمٌ**﴾.

قالوا: ﴿**تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين**﴾.(٣٧٢)

وكانوا يعنون بقولهم «لقد علمتم» أنكم علمتم بأمانتنا حيث أعدنا لكم البضاعة التي رجعنا لها إلى كنعان، وعلمتم أننا نغطي فيه بعيرنا حتى لا يتلفوا مزروعاتكم وتدركون جيداً أننا لسنا بسارقين.

فقال يوسف عليه السلام: فما جزائه إن كنتم كاذبين؟

قالوا: جزاءه من وجد في رحله حبسه فهو جزاءه ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾.(٣٧٣)

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، ثم استخرجها من وعاء أخيه، فاغتم أبناء يعقوب وخجلوا فأقبلوا على أخيهم بنيامين غاضبين وقالوا له: فضحتنا وسوّدت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع؟

فقال: وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم في المرة الأولى.

وهنا ظهرت النفس الأمّارة في وجود إخوة يوسف واتهموه بتهمة عجيبة وقالوا له: إن يسرق فقد

سرق أخ له من قبل[٣٧٤] (يسمى يوسف) إننا لسنا منهما فلا تعاقبنا.

وسمع يوسفعليه السلام مقالة إخوته، فلو كان رجلاً عادياً لغضب منهم وأدّبهم ولكنه عفا عنهم بشهامته وتغاضى وتغافل عنهم وأسرّها في نفسه ولم يبدها لهم وقال: ﴿أنتم شرّ مكاناً والله أعلم بما تصفون﴾ (بما تدّعون والله أعلم بالسارق الحقيقي).

فقالوا ليوسفعليه السلام: ﴿يا أيها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين﴾، فقال يوسفعليه السلام: ﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنّا إذاً لظالمون﴾.[٣٧٥]

فلما يئسوا وأرادوا الانصراف إلى أبيهم قال كبيرهم (لاوي أو شمعون): ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرّطتم في يوسف، فارجعوا إلى أبيكم وأما أنا فلا أرجع إليه حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، وقولوا له يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين، وسئل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنّا لصادقون.[٣٧٦]

فرجعوا إلى أبيهم في كنعان وبقى لاوي أو شمعون في مصر، فلما أتوه وأخبروه بخبر أخيهم قال يعقوبعليه السلام بعد هذا الانتظار وما كان يعلم من ماضي أبنائه الأسود: بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً (أبناءه الثلاثة) إنّه هو العليم الحكيم.[٣٧٧]

كتاب يعقوبعليه السلام إلى يوسفعليه السلام وتعريف يوسف نفسه لإخوته

فتولى عنهم يعقوبعليه السلام وحزن جداً واغتم وابيضت عيناه من فراقه ليوسفعليه السلام والآن فراقه عن بنيامين زاد في أحزانه وهمومه، بالرغم من نهي أولاده له عن الحزن حيث قالوا له:

﴿تالله تفتؤ تذكُرُ يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾.

فقال يعقوبعليه السلام: ﴿إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾.[٣٧٨]

وكان يعقوبعليه السلام يعلم عن طريق الالهام (ورؤيا يوسفعليه السلام) أن يوسف حي ولكنه لم يكن يعرف أين هو ومتى سيصل إلى يوسفه.[٣٧٩]

روي عن الامام الباقرعليه السلام أنه قال: دعا يعقوبعليه السلام ربه في السحر أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه ملك الموت بأطيب رائحة وأحسن صورة، فقال له: من أنت؟

قال: أنا ملك الموت، أليس سألت الله أن ينزلني عليك؟

قال: نعم.

قال: ما حاجتك يا يعقوب؟

قال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها جملة أو تفاريقاً؟

قال: تقبضها أعواني متفرقة وتعرض علي مجتمعة.

قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هل عرض عليك في الارواح روح يوسف؟

فقال: لا، فعند ذلك علم أنه حي، فقال لولده: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.[٣٨٠]

فأطاع الأبناء أباهم واستعدوا للسير إلى مصر.

وطبقاً لحديثٍ مفصّل نقل عن الامام الصادق أن يعقوب كتب كتاباً إلى عزيز مصر وبعثه مع أبنائه إليه، وكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر.

أما بعد: إنّا أهل بيت لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليبلونا عند السراء والضراء، إنّ جدّي إبراهيم ألقاه نمرود ملك الدنيا في النار فلم يحترق وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإن أبي إسحاق أمر الله جدي أن يذبحه[٣٨١] بيده فلما أراد أن يذبحه فداه الله بكبشٍ عظيم، وإنه كان لي ولد لم يكن في الدنيا أحد أحب إلي منه، وكان قرّة عيني وثمرة فؤادي فأخرجوه إخوته ثم رجعوا إلي وجاءوا على قميصه بدم كذب، وزعموا أن الذئب أكله، فاحدودب لذلك ظهري، وذهب من كثرة البكاء عليه بصري، وكان له أخ من أمه كنت آنس به فخرج مع إخوته إلى ما قبلك ليمتاروا لنا طعاماً فرجعوا إلي وذكروا أنه سرق صواع الملك وقد حبسته، وإنّا أهل بيتٍ لا يليق بنا السرقة ولا الفاحشة، وقد اشتدّ لفراقه حزني حتى تقوّس لذلك ظهري، وعظمت به مصيبتي مع مصائب تتابعت علي، فمن علي بتخلية سبيله وإطلاقه من حبسك، وطيّب لنا القمح واسمح لنا في السعر، وأوف لنا الكيل، وعجل سراح آل إبراهيم.[٣٨٢]

فساروا بكتابه حتى أتوا مصر فدخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا له: ﴿يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾.

وتصدق علينا بأخينا بنيامين، وهذا كتاب أبينا يعقوب أرسله إليك في أمره يسئلك تخلية سبيله فمنّ به علينا.

فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبّله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتى بل دموعه القميص الذي عليه ثم أقبل عليهم وقال: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه، إذ أنتم جاهلون﴾، بأي كيد أبعدتم يوسف وهو في عنفوان شبابه عن آل يعقوب؟

وكان إخوته متوجّهين إلى يوسف وينظرون إليه بكل دقّة (تبسم يوسف فلما أبصروا ثناياه

وكانت كاللؤلؤ المنظور ورفع التاج عن رأسه) فعرفوه وقالوا: ﴿إئنك لأنت يوسف﴾؟

فقال يوسف عليه السلام: ﴿أنا يوسف وهذا (أشّر إلى بنيامين) أخي، قد منّ الله علينا إنّه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيّع أجر المحسنين﴾.

وهنا خجلوا من فعلتهم ورأوا أنفسهم فقراء معنوياً، واعترفوا بخطئهم وبعزّة يوسف عليه السلام وقالوا: ﴿تالله لقد آثرك اللهُ علينا وإن كنّا لخاطئين﴾.(٣٨٣)

جزاء ونتيجة الأعمال

وهنا نشير إلى نقطتين مهمتين في نتيجة الاعمال:

١- الكتاب الذي كتبه يعقوب عليه السلام إلى عزيز مصر كتابٌ مشروع وليس به مانع، ولكن لأن يعقوب عليه السلام نبي وكان يجب أن يتّكل مئة بالمئة على الله عزّ وجلّ، ترك الأولى وتوسّل بعزيز مصر للإفراج عن بنيامين، وطبقاً لرواية أنه لما مضى ولد يعقوب من عنده نحو مصر بكتابه نزل جبرئيل على يعقوب فقال له: يا يعقوب إنّ ربّك يقول لك: من ابتلاك بمصائبك التي كتبت بها إلى عزيز مصر؟

قال يعقوب: أنت بلوتني بها عقوبة منك وأدباً لي.

قال الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك أحد غيري؟

قال يعقوب: اللهم لا.

قال: أفما استحييت مني حين شكوت مصائبك إلى غيري ولم تستغث بي وتشكو ما بك إلي؟

فقال يعقوب: أستغفرك يا إلهي وأتوب إليك وأشكو بثي وحزني إليك.

فقال الله تبارك وتعالى: قد بلغت بك يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية في أدبك، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إلي عند نزولها بك واستغفرت وتبت إلي من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إياها عليك، ولكن الشيطان أنساك ذكري فصرت إلى القنوط من رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم، أحب عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إلى فيما عندي، يا يعقوب أنا راد إليك يوسف وأخاه، ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك، وراد إليك بصرك، ويقوم لك ظهرك، فطب نفساً، وقر علينا، وإن الذي فعلته بك كان أدباً مني لك فاقبل أدبي.(٣٨٤)

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أن جبرئيل عليه السلام أتى يعقوب عليه السلام فقال: يا يعقوب إن الله يقرء عليك السلام ويقول: ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، اصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إلي المساكين أو تدري لم أذهبت بصرك وقوّست ظهرك؟ لأنكم ذبحتم شاة وأتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئاً.

فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائماً أمر منادياً ينادي: من كان صائماً فليفطر مع يعقوب.[٣٨٥]

٢- جزاء العمل منح يوسف عليه السلام المرمي في الجب العزّة والشموخ والكمال، أمّا إخوته وصل الأمر بهم إلى أن اعترفوا بذنوبهم بكل خجلة وحياء وطلبوا الصدقة من يوسف عليه السلام بلسانٍ عاجز ومتمنٍ وقالوا: ﴿وتصدّق علينا﴾.

كان هذا جزاء أعمالهم، والذي يزرع الشعير لا يحصد القمح بل يحصد الشعير.

عفو يوسف عليه السلام عن إخوته

لما ندم الإخوة من ظلمهم ليوسف عليه السلام، وأقرّوا بخطئهم، اعتذروا من يوسف عليه السلام وأيضا اعتذروا من يعقوب عليه السلام وطلبوا العفو، وتغاضى يوسف الرحيم عن كل تلك المصائب التي أوردوها عليه وقال فوراً: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.[٣٨٦]

ولمّا أتوا يعقوب عليه السلام قالوا له: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين﴾.[٣٨٧]

فأجابهم يعقوب عليه السلام: ﴿سوف استغفر لكم ربّي﴾[٣٨٨] ولكنه أخّر الاستغفار لهم، وقد سئل الامام الصادق عليه السلام: لم أخّر يعقوب عليه السلام الاستغفار لهم ولكن يوسف عليه السلام استغفر لهم فوراً وقال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾؟

فأجابهم الامام الصادق عليه السلام وقال: لأن قلب الشاب أرق من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف، وجنايتهم على يعقوب إنما كانت بجنايتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقّه، وأخّر يعقوب العفو لأن عفوه إنما كان عن حق غيره فأخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة.[٣٨٩]

وهنا نتعلم أيضا من سيرة هذين النبيين العفو والكرم، حيث تغاضا عن كل تلك المصائب التي وردت عليهما من الأخوة ولم يفكّرا أبداً بالانتقام ولعنهم بل عفيا عنهم وكما قالوا: في العفو لذّة لا توجد في الانتقام.

قميص يوسف عليه السلام وريحه

فأعطاهم يوسف عليه السلام قميصه وقال لإخوته: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾.[٣٩٠]

فلما أخذوا القميص وساروا إلى كنعان بكل شوقٍ وسرور وفصلت عيرهم من مصر وجد يعقوب عليه السلام ريح يوسف فقال لمن بحضرته من أولاده:

﴿إنّي لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون﴾.[٣٩١]

قالوا أبنائه والذين لم يكن لديهم فهم ودرك لهذا المقام العالي: ﴿تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾.[٣٩٢]

لما وصلوا إلى كنعان، جاء البشير وألقى القميص على وجه يعقوب عليه السلام فارتد بصيراً، وقال لهم: ﴿ألم أقل لكم إنّي أعلمُ من الله ما لا تعلمون﴾.[٣٩٣]

والسؤال هنا كيف ردّ بصر يعقوب عليه السلام بقميص يوسف عليه السلام؟

الجواب واضح وهو أن يوسف عليه السلام نبي والمعجزة من دلائل النبوة كما كان عيسى عليه السلام يرد بصر الأعمى، وبهذه الكيفية أدرك الأخوة والآخرين أن يوسف عليه السلام نبي من أنبياء الله.

وأمّا كيف استشم يعقوب عليه السلام ريح يوسف عليه السلام من بعيد؟

فالجواب هو: أنه إما قصد يعقوب عليه السلام بكلامه هذا كناية عن قرب الوصال ويعني (بالالهام) سيصل إلى يوسف عليه السلام قريباً، أو أن ريح قميص يوسف عليه السلام وصلت إلى يعقوب عليه السلام عن طريق ريح الصبا بإذن الله تعالى.

تواضع يوسف عليه السلام وسير يعقوب عليه السلام وأبنائه إلى يوسف عليه السلام

فاستعد يعقوب عليه السلام وولده للسير من كنعان إلى مصر، وقيل أنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجل تحملوا وساروا إلى مصر، وبعد تسعة أيام وصلوا إلى مصر وهم فرحين ومسرورين، فلما دخلوا على يوسف عليه السلام استقبلهم بكل احترام وعزّة، ورفع أباه وأمه[٣٩٤] على سرير الملك، وأجلسهما بجانبه، فسجدوا (الأم والأب والأخوة الإحدى عشر) له جميعاً إعظاماً له وشكراً له، فتذكّر يوسف عليه السلام رؤياه لما كان صغيراً والتفت إلى أبيه وقال: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبلُ قد جعلها ربّي حقاً﴾.[٣٩٥]

وهنا أصبح يوسف عليه السلام في قمّة عزّته ورفع عنه همومه، وأصبح القائد العظيم لبلاد مصر الواسعة، ولم يغفل للحظة واحدة عن الله عزّ وجلّ ولم يصبه الغرور، بل شرع بحديثٍ قيّم وشكر الله وقال: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السّجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشّيطان بيني وبين إخوتي إنّ ربّي لطيفٌ لما يشاء إنّه هو العليم الحكيم، ربّ قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليّ في الدّنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصّالحين﴾.[٣٩٦]

فعاش آل إسرائيل بأمانٍ ونعيم في ضوء حماية ولطف الله عزّ وجلّ وفي ظل القائد والنبي الرحيم يوسف عليه السلام، وبهذا الترتيب بدأوا بحياةٍ جديدة.

دخل يعقوب عليه السلام مصر وعمره لا يتجاوز ١٣٠ سنة، وعاش لمدة سبع عشرة سنة بالقرب من

يوسفه، ثم ودّع دار الدنيا، وبناءاً على وصيّته حمله يوسف عليه السلام في تابوت إلى فلسطين ودفن عند قبور آبائه عليهم السلام (إسحاق وإبراهيم) في مدينة «حبرون»، ثم عاد يوسف عليه السلام إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاث وعشرين سنة، وودّع دار الدنيا في سن المائة وعشرة سنين، وأوصى أن يدفن عند قبور آبائه.

كان يوسف عليه السلام أول رسول نبي في بني إسرائيل وبناءاً على رواية «وهب» أنه لما دخل آل يعقوب (إسرائيل) مصر كانوا ثلاثة وسبعون إنساناً، ولما خرجوا مع موسى عليه السلام من مصر كانوا ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً.

محبّة يوسف عليه السلام وقبره

وكان يوسف عليه السلام محبوباً جداً وعزيزاً بين الناس حتى أنه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته، فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه، ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعاً سواء فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام حين خرج من مصر مع بني إسرائيل فأخرجه من القبر وأخذه إلى فلسطين ودفنه حتى يكون قد عمل بوصيّة يوسف عليه السلام، ويخاطب الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله ويقول: **﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾**.[٣٩٧]

﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب..﴾.[٣٩٨]

وهذه القصص حقيقية وليست مصنوعة.[٣٩٩]

والشيء اللطيف هنا أنه احتبس القمر (بسبب الغيوم المتراكمة) عن بني إسرائيل (وكانوا يحتاجون إلى نوره للسفر من مصر إلى الشام) فأوحى الله جلّ جلاله إلى موسى عليه السلام: أن أخرج عظام يوسف من مصر (حتى تنجز وصيته)، ووعده بطلوع القمر إذا أخرج عظامه، فسأل موسى عمن يعلم موضعه، فقيل له: ههنا عجوز تعلم محله، فبعث إليها فأتي بعجوز مقعدة عمياء، فقال لها: أتعرفين موضع قبر يوسف عليه السلام؟

قالت: نعم، قال: فأخبريني به؟

قالت: لا حتى تعطيني أربع خصال: تطلق لي رجلي، وتعيد إلي شبابي، وتعيد إلي بصري، وتجعلني معك في الجنة، فكبر ذلك على موسى، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى أعطها ما سألت فإنك إنما تعطي علي، ففعل فدلته عليه فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلما أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام.[٤٠٠]

فدفن يوسف عليه السلام (على المشهور) بجانب قبور آبائه عليهم السلام، ويوجد الآن قبره في قدس الخليل والتي

تبعد ستة أميال عن بيت المقدس.

نعم إنه ينتج من حُسن العمل هذه النتائج حيث بعد مرور أربعمائة سنة نُفذّت وصيّة يوسفعليه السلام بالترتيب والحوادث السابقة على يد نبي من أنبياء أولي العزم مثل موسىعليه السلام، ولُطف عجوز عمياء بألطاف كثيرة ببركة تعريفها لقبر يوسفعليه السلام.[٤٠١]

وأيضا جزاء العمل

وقالوا منذ القدم هذا المثل المعروف: إن عصا الله ليس لها صوت، فإن ضرب بها ليس لها دواء، ولكن يجب القول بأن أحيانا يحس الانسان جيداً بصوت عصا الله، ومن لطف الله وكرمه أنه مهما أذنب الانسان طالما كان حيّاً وبالرغم من ضربه بالعصا، إلا أنه إذا رجع إلى الله بقلبٍ طاهرٍ، بكل تأكيد سينال دواء رحمة الله عزّ وجلّ وهنا لنتوجه إلى هذا النموذج:

طبقاً لرواية جاءت عن الامام الصادقعليه السلام أنه قال: ذهب يوسفعليه السلام مع جنوده لاستقبال يعقوبعليه السلام فلما قدم عليه يعقوبعليه السلام دخله عزّ الملك، فلم ينزل إليه (للحظة واحدة ترك الأولى!)، فهبط جبرئيلعليه السلام فقال: يا يوسف أبسط راحتك، فخرج منها نور ساطع، فصار في جو السماء، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟

فقال: نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي.[٤٠٢]

هذه الرواية يرويها صاحب مجمع البيان في كتاب «النبوّة»، وينقلها المرحوم فيض في الصافي عن الكافي وعلل الشرائع، ثم بنقلٍ عن تفسير على بن إبراهيم يقول: أن الامام الهاديعليه السلام قال: لما أخرج جبرئيلعليه السلام نور النبوّة من صلب يوسفعليه السلام بأمرٍ من الله، محا النبوة من صلبه، وجعلها في ولد لاوي أخي يوسفعليه السلام، وذلك لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال: ﴿**لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب**﴾ فشكر الله له ذلك.[٤٠٣]

فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيمعليه السلام، وكان موسى من ولده وهو موسى بن عمران بن يصهر بن واهيث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.[٤٠٤]

نعم وصل يوسفعليه السلام لخوفه من الله وتقواه إلى مقام عال عند الله عزّ وجلّ حتى جاء في الرواية: أنه لما أعرج برسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء الثالثة رأى يوسفعليه السلام وقال: كان فضلُ حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم.[٤٠٥]

قيل أنه لما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس، فقالوا لها: ما يضرك لو قعدت للعزيز - وكان يوسف سمي العزيز - فقالت: أستحيي منه، فلم يزالوا

بها حتى قعدت له، فأقبل يوسف في موكبه فقامت إليه وقالت: سبحان الذي جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، والعبيد ملوكاً بطاعتهم.

فلما عرفها يوسفعليه السلام أحسن إليها وسأل الله يرد عليها شبابها وردّ عليها شبابها وتزوجها ورزق منها الأبناء.(٤٠٦)

وفي بعض الروايات، بُيّن سبب هذا الزواج بالتالي: أن يوسفعليه السلام قال لزليخا: يا زليخا ما الذي دعاك إلى ما كان؟

قالت: حسن وجهك يا يوسف.

فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له: محمدصلى الله عليه وآله وسلم، يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً، وأحسن مني خلقاً، وأسمح مني كفاً.

قالت: صدقت.

قال: وكيف علمت أني صدقت، قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يوسف: أنها قد صدقت، وقد أحببتها لحبها محمداً، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها.(٤٠٧)

(نهاية قصص حياة يوسفعليه السلام)

الهوامش

قصـــة حياة يونس عليه السلام

(١) تفسير الآلوسي: ج٧، ص ١٨٤، دائرة المعارف لفريد وجدي: ج ١٠، ص ١٠٥٥.

(٢) تاريخ الانبياء لعماد زاده: ص ٦٨٦.

(٣) البحار: ج ١٤، ص ٣٩٣ – ٣٩٥.

(٤) جاءت مطالب في هذه السمكة الكبيرة أنها كانت حوت، وقد جاء في علوم العميد: أن الحوت سمك كبير يصل طوله الى ثلاثين متر، ويبلغ وزنه ثلاثين طن، ومعدته كبيرة جداً، وتستوعب كميات كبيرة من الغذاء، ويتحرك دائما فوق الماء للتنفس ولا يستطيع البقاء في الماء أكثر من ساعة واحدة وقد جاء في الرواية أن الله عزّ وجلّ أوحى الى ذلك الحوت أن: «لا تحطم أي عظم من عظام يونس ولا تقطع أية وصلة منه» (تفسير الرازي: ج ٢٦، ص ١٦٥) ولا ننسى أن نقول أن بقاء يونس عليه السلام في بطن الحوت كان من الاعجاز الالهي ولا يمكن تفسيره طبيعياً.

(٥) مضمون سورة الصافات الآيات من ١٣٩ حتى ١٤١، البحار: ج ١٤، ص ٤٠٠.

(٦) البحار: ج ١٤، ص ٣٩٨.

(٧) تفسير البرهان: ج٤، ص ٣٥ – ٣٧.

(٨) جمع السخلة: ولد الشاة.

(٩) استاق الماشية: حثها على السير من خلف، عكس قادها.

(١٠) تفسير البرهان: ج٢، ص ٢٠٠ – ٢٠٢، البحار: ج ١٤، ص ٣٨٤.

(١١) تفسير القمي: ص ٦٩٤، البحار: ج ١٤، ص ٣٩١ و ٤٠٠.

(١٢) القلم: ٤٨.

(١٣) يونس: ٩٨.

(١٤) الانبياء: ٨٧ و ٨٨.

(١٥) البحار: ج١٤، ص ٣٨٤.

(١٦) أصول الكافي: ج ٢، ص ٥٨١.

قصـــة حياة إلياس عليه السلام

(١٧) هذه الآية تدل على أن المقصود ليس آل ياسين وإنما إلياسين.

(١٨) واسمه هو: «إلياس بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون» (مجمع البيان: ج٨، ص ٤٥٧).

(١٩) أصول الكافي: ج١، ص ٢٢٧.

(٢٠) الصافات: ١٢٣-١٣٢، البحار: ج ١٣، ص ٣٩٢.

(٢١) الصافات: ١٢٨.

(٢٢) القس: من كان بين الاسقف والشماس، الجاثليق: متقدم الأساقفة.

(٢٣) أصول الكافي: ج١، ص ٢٢٧.

(٢٤) طبقاً لبعض الروايات أن أربعة من الأنبياء أحياء إلى يومنا هذا وهم: اثنان في الأرض واثنان في السماء، ففي السماء عيسى وإدريس عليهما السلام، وفي الأرض إلياس والخضر عليهما السلام (البحار: ج١٣، ص ٤٠٢).

(٢٥) الاعتجار: هو أن يلف العمامة على رأسه ويرد طرفها على وجهه، ولا يعمل شيئاً تحت ذقنه.

(٢٦) أي جيء به من حيث لا يحتسب، والاسبوع: سبع مرات، أي فقطع طوافه ولم يدعه حتى يطوف سبع مرات.

(٢٧) أي طرف العمامة التي رد على وجهه.

(٢٨) فضحك عليه السلام لما رأى أنه تجاهل عنها وهو عالم بها.

(٢٩) حاصل الجواب أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يظهر ما يعلمه دائماً، فإنه كان في بعض الأحيان يكتم أموراً لم يكن في إظهارها مصلحة للأمة، أو لم يكن يقتضيها مصلحة الظرف والوقت.

(٣٠) أصول الكافي: ج١، ص ٢٤٣-٢٤٥.

(٣١) الصافات: ١٢٣-١٢٧.

(٣٢) أي حلف.

(٣٣) خدعة ليغتر بذلك الكاتب فيحكي ذلك لإلياس.

(٣٤) أي فليحفظوا أنفسهم.

(٣٥) أي حتى لحقهم.

(٣٦) البحار: ج١٣، ص ٣٩٣-٣٩٦.

(٣٧) المحجّة البيضاء: ج ٣.

(٣٨) المخازن للعلامة سيد عباس الكاشاني: ج١، ص ٢٨٦.

قصــــة حياة اليسع عليه السلام

(٣٩) الانعام: ٦، سورة ص: ٣٨.
(٤٠) أعلام القرآن للخزائلي: ص ٢٢٥.
(٤١) قصص الانبياء لعماد زاده: ص ٦٨١.
(٤٢) اقتباساً عن حبيب السّير: ج١، ص ١٠٩.

قصــــة حياة عُزَير عليه السلام

(٤٣) يعتقد البعض أن هذه القصة ترتبط بالخضر عليه السلام والبعض يعتقد أنها ترتبط بـ«إرميا» وأيضا جاء في الروايات اسم إرميا (البحار: ج ١٤، ص ٣٦٢) ولكن المشهور والمعروف هو أنه كان عُزير، وروايات عديدة تؤكد على ذلك (مجمع البيان: ج ١ و ٢، ص ٣٧٠).
(٤٤) اقتباساً عن رواية مفصلة للإمام الباقر عليه السلام، روضة الكافي: ١٢٣، دلائل الامامة للطبري: ص ١٠٧ و ١٠٨).
(٤٥) البقرة: ٢٥٩.
(٤٦) اقتباساً عن مجمع البيان: ج ١ و ٢، ص٣٧٠.
(٤٧) التوبة: ٣٠.
(٤٨) البحار: ج ١٤، ص ٣٧٤.
(٤٩) البحار: ج ١٤، ص ٣٧٨.

قصــــة حياة لقمان عليه السلام

(٥٠) لقمان: ١٢ و ١٣.
(٥١) لقمان: ١٣ و ١٦ - ١٩.
(٥٢) البحار: ج ١٣، ص ٤٢٤ - مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٥.

(٥٣) النوبة هي منطقة تقع في أفريقيا وتنقسم على قسمين وهما: ١- النوبة السفلية والتي تقع في مصر، ٢- النوبة العليا والتي تقع في السودان (المنجد في الأعلام: كلمة نوبة).

(٥٤) المشافر: جمع الشفة.

(٥٥) سفينة البحار: ج ١٢، ص ٥١٥ - مجمع البحرين: كلمة لقم، اقتباساً عن تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٦١ و ٦٥٥ و ٦٧٢.

(٥٦) مروج الذّهب، طبقاً لنقل البحار: ج ١٣، ص ٤٢٥.

(٥٧) المواعظ العددية: ص ١٤٢.

(٥٨) كتب البعض أن اسم ابنه كان «باران» (أعلام القرآن الخزائلي: ص ٧١٦).

(٥٩) تجدون جزء آخر من تلك النصائح في البحار: ج ١٣، ص ٤٠٨-٤٣٤.

(٦٠) ولمعرفة المزيد عن فضائل لقمانﷺ الكثيرة راجع كتاب مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٧.

(٦١) احتجاج الطبرسي: ص ١٣٩، البحار: ج ٢٢، ص ٣٣٠.

(٦٢) تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٥.

(٦٣) البحار: ج ٧٠، ص ٢٤٢، كنز العمال: حديث ٥٢٧١.

(٦٤) مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٧ و ٣١٨.

(٦٥) لقمان: ١٣ و ١٦- ١٩.

(٦٦) مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٦٧) البحار: ج١٣، ص ٤٣٣، تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٦٦٣ و ٦٦٤.

(٦٨) تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٦٦٤.

(٦٩) مجموعة الورّام: ج١، ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٧٠) تفسير البيضاواي والثعلبي، ذيل الآية ١٢ من سورة لقمان، سفينة البحار: ج ٢، ص٥١٥.

(٧١) الحش: المخرج، مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٧.

(٧٢) ديوان المثنوي بخط الميرخاني: ج١، ص ٩٤.

(٧٣) ديوان المثنوي: ج٢، ص ١٤٣.

(٧٤) البحار: ج ١٣، ص ٤٢٤ - مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٧.

(٧٥) فتح الأبواب للسيد بن طاووس، نقلاً عن البحار: ج ١٣، ص ٤٣٣.

(٧٦) مجمع البيان: ج ٨، ص ٣١٧.

(٧٧) البحار: ج ١٣، ص ٤٣٣.

(٧٨) الصغير: أي بالشيء الصغير الذي نزل بك المصيبة والبلاء.

(٧٩) البحار: ج ١٣، ص ٤٢٧.

(٨٠) البحار: ج ١٣، ص ٤١٤.

(٨١) البحار: ج١٣، ٤٢٢.
(٨٢) أجهد الحق: ظهر.
(٨٣) كناية عن التأني في الجواب، وعدم العجلة فيه.
(٨٤) العي: العجز.
(٨٥) أي تشاوروا.
(٨٦) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح.
(٨٧) من عرس القوم: نزلوا من السفر لاستراحة ثم يرتحلون، والدجلة من قولهم: أدلج القوم: ساروا الليل كله أو في آخره، والاسم الدجلة بضم الدال وفتحها.
(٨٨) روضة الكافي: ٣٤٨ و ٣٤٩.
(٨٩) البحار: ج ١٣، ص ٤٢٨.
(٩٠) البحار: ج ١٣، ص ٤٢٥.
(٩١) البحار: ج ١٣، ص ٤١٧.
(٩٢) المخازن: ص ٢٧٨ - البحار: ج ١٣، ص ٤١٧.
(٩٣) صعبة شاقة المصعد.
(٩٤) البحار: ج ١٣، ص ٤٣١.
(٩٥) أخربها أي اتركها خراباً ولا تصرف همك في عمارتها، أو كناية عن قطع علاقة القلب منها، وعدم الحرص عليها.
(٩٦) كمش في السير وغيره: أي أسرع.
(٩٧) أصول الكافي: ج٢، ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٩٨) اقتباساً عن جوامع الحكايات لمحمد العوفي: ص ١٣٧.
(٩٩) تفسير القمي: ٥٠٦ - ٥٠٨، البحار: ج ١٣، ص ٤١١ - ٤١٢.
(١٠٠) نعشه: تداركه من هلكة جبره بعد فقره.
(١٠١) الخلف: البدل والعوض.
(١٠٢) البحار: ج١٣، ص ٤١٤.
(١٠٣) أي الحشر والنشر وأهوال الآخرة والعذاب المعد فيها للمذنبين، وقوله «ينتقصون» أي تنقص بنيتهم وقواهم، أو ينتقصون من أعمالهم الحسنة وخيراتهم.
(١٠٤) أي كيف لا يتهيأ لما يوعد من دار آخر من كان له أجل ينفد؟ وأنفاسه كلها خطوات تقر به إلى الدار الآخر.
(١٠٥) البحار: ج ١٣، ص ٤١٦ - ٤١٧.
(١٠٦) البحار: ج ١٣، ص ٤٢٩.

(١٠٧) فإنهم بشتمك إياهم شتموهما.

(١٠٨) ترغيب في فعل المعروف، وأن الانسان جدير بأن يصرف أمواله فيما يحسنه، لا أن يجمعه وتركه للوراث.

(١٠٩) البحار: ج ١٣، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(١١٠) البحار: ج ١٣، ص ٤٣٢.

قصـــة أصحاب الجنة و توبتهم

(١١١) اقتباساً عن سورة القلم: ١٦- ٣٣، واقتباساً عن البحار: ج ٨٩، ص ١٠١ - ١٠٢.

(١١٢) مجمع البيان: ج ١٠، ص ٣٣٧.

قصـــة قوم سبأ

(١١٣) سيل العرم: سيل عظيم شديد لا يصدّه شيء.

(١١٤) الخمط: هو الثمر المرّ البشع، والإثل: هو الطرفاء ولا ثمر له.

(١١٥) أصول الكافي: ج٢، ص ٢٧٤.

(١١٦) كانت مأرب من إحدى القرى في بلاد سبأ، لذا سمّي السدّ الذي بُني فيها بسدّ مأرب، ويقع سدّ مأرب بين جبلين تبلغ المسافة بينهما ١٥٠ متر، ويبلغ طول السدّ في حدود ٨٠٠ متر ويبلغ عرضه ١٥٠ قدم، وارتفاعه من ١٣ متر إلى ١٩ متر، ويوجد على أطراف السدّ مباني عظيمة من الصخور (علوم القرآن البلاغي: ص ٣٨٠).

(١١٧) مضمون الآية ١٨ من سورة سبأ.

(١١٨) سبأ: ١٩.

(١١٩) نعم كما أرسل الله النمل على عصا سليمان وظهر موت سليمان، أرسل الله الجرذ لتحطّم سدّاً عظيماً كسدّ مأرب، وذلك حتى لا يصيب العالم بالغرور ويتواضعوا أمام الله سبحانه ويشكروه.

(١٢٠) مضمون سورة سبأ الآيات ١٥ و ١٦.

(١٢١) سبأ: ١٧.

(١٢٢) مجمع البيان: ج ٨، ص ٣٨٦.

(١٢٣) محاسن البرقي: ٥٨٦، البحار: ج ١٤، ص ١٤٤، و ج ٨٠ ، ص ٢٠٣.

(١٢٤) بهذا الخصوص راجع البحار: ج ٨٠، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ونور الثقلين: ج٣، ص ٩١ و ٩٢.

(١٢٥) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص ٩١ - ٩٢، نقلاً عن تفسير العياشي.

قصـــة الأخوين المؤمن والمغرور

(١٢٦) أعلام القرآن للخزائلي: ص ٧١٤.

(١٢٧) اقتباساً عن تفسير مجمع البيان: ج٦، ص ٤٦٨.

(١٢٨) اقتباساً عن تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٦٨.

(١٢٩) الكهف: ٣٢.

(١٣٠) الكهف: ٣٤ – ٣٦.

(١٣١) الكهف: ٣٧ – ٤١.

(١٣٢) اقتباساً عن مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٧٢.

(١٣٣) الكهف: ٤٣ – ٤٤.

قصـــة هاروت وماروت

(١٣٤) اقتباساً عن قصص القرآن البلاغي، علوم القصص: ص ٣٢٥ و ٣٢٦.

(١٣٥) إن الساحر والسحر وتعليم السحر حرام، ولكن يجوز تعليم السحر لإبطال سحر السحرة وأحياناً هو واجب، قيل: انه في العصور القديمة جلس عالم من العلماء المعروفين في مكان ليتبول ولكنه لم يكن يتوقف عن التبول، فنظر حوله فرأى شخصاً قد أخرج رأسه من النافذة، فعلم أن هذا من السحر، وكان العالم قد تعلّم السحر من قبل وذلك لإبطال سحر السحرة، فاستخدم سحره، وبقى رأس الساحر خارج النافذة، ولم يكن يستطيع تحريكه، ثم نظر إلى العالم فعلم أن هذا فعل العالم، فصاح وقال: اتركني، فقال العالم: أنت اتركني حتى أتركك، وبهذا الترتيب أبطلا سحرهما ونجا كلاهما من السحر.

(١٣٦) كما جاء هذا المطلب في سورة البقرة الآية ١٠٢.

(١٣٧) البحار: ج ٥٦، ص ٣٢٣، جاءت قصص خرافية كثيرة من الاسرائيليات و... عن هذان الملكان الالهين المعصومين والتي لا أساس لها من الصحة والقصة الحقيقية هي التي جاءت في القرآن والتي ذكرناها.

قصـــة قوم تبّع

(١٣٨) البحار: ج ٢٥، ص ٢٢٣.

(١٣٩) تفسير روح المعاني: ج ٢٥، ص ١١٨.

(١٤٠) مجمع البيان: ج ٩، ص ٦٦.
(١٤١) سفينة البحار: ج١، ص ١١٩، (كلمة تبع)، وطبقاً لبعض الروايات أن أول من كسا الكعبة هو إسماعيل عليه السلام كما ذكرنا سابقاً في شرح أحوال إسماعيل عليه السلام.
(١٤٢) أعلام القرآن للخزائلي: ص ٢٥٩.

قصة أصحاب الأخدود

(١٤٣) اقتباساً عن قصص القرآن البلاغي: ص ٢٨٣ - ٢٨٩، سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٣٥ - ٣٧.
(١٤٤) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٥٤٤، سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٣٧.
(١٤٥) البروج: ٤ - ٨، جاءت مطالب أخرى في قصة الأخدود ولكن المعروف والأنسب هي الرواية التي ذكرناها.
(١٤٦) سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.
(١٤٧) سيرة ابن هشام: ج ١، ص ٣٨ - ٣٩.

قصة حياة داود عليه السلام

(١٤٨) كامل ابن الأثير: ج ١، ص ٧٦ - ٧٨، البحار: ج ١٤، ص ١٤ و ١٥.
(١٤٩) البحار: ج ١٤، ص ١٤ و ١٥.
(١٥٠) اقتباساً عن تفسير فخر الرازي: ج ٢٦، ص ١٨٣، وسورة ص: ١٧ - ١٩.
(١٥١) سورة ص: ٣٠.
(١٥٢) سورة ص: ٢٦.
(١٥٣) سورة النمل: ١٥.
(١٥٤) الإسراء: ٥٥، النساء: ١٦٣، وقد نزل عليه الكتاب في ليلة ٢٨ من رمضان (البحار: ج ٤، ص ١٣٣).
(١٥٥) وسورة ص: ٢١ - ٢٤، تفسير نور الثقلين: ج٤، ص ٤٤٥.
(١٥٦) اقتباساً عن عيون أخبار الرضا عليه السلام طبقاً لتفسير نور الثقلين: ج٤، ص ٤٤٦.
(١٥٧) نفس المصدر.
(١٥٨) تفسير الميزان: ج١٦، ص ٣٩٠ - البحار: ج١٤، ص ١٥.
(١٥٩) البحار: ج ١٤، ص ١٥.

(١٦٠) نهج البلاغة: خطبة ١٦٠.
(١٦١) تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٣٨١.
(١٦٢) مجمع البيان: ج٨، ص ٣٨٢.
(١٦٣) ديوان المثنوي: الدفتر الثاني.
(١٦٤) مجمع البيان: ج ٧، ص ٥٧، ذيل الآية ٧٨ من سورة الأنبياء، نقلاً عن الامام الصادق والامام الباقر عليهما السلام - ولا ننسى أن نقول أننا نفهم من ظاهر الأمر هو أنهما اختلفا في الحكم ولكن طبقاً لرواية جاءت عن الامام الباقر عليه السلام أنهما كانا يتناظران حيث قال: لم يحكما إنما كانا يتناظران ففهمها سليمان.(تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٤٤٣)
(١٦٥) سورة ص: ٢٦.
(١٦٦) سورة ص: ٢٠.
(١٦٧) النمل: ١٦.
(١٦٨) أحد إليه النظر: بالغ في النظر إليه.
(١٦٩) البحار: ج ١٤، ص ٣٨.
(١٧٠) البحار: ج ١٤، ص ٣٩.
(١٧١) اقتباساً عن كتاب ثمرات الحياة.
(١٧٢) من لا يحضره الفقيه: ص ٤٧١.
(١٧٣) وغفرت له: أي سترت له ما كنت أعلم من عمله (البحار: ج ١٤، ص ٤٢).
(١٧٤) غواهم الشيطان إلى درجة أن الرجل منهم يأخذ حوتاً ويربط في ذنبه خيطاً ويشده إلى الساحل ثم يأخذه يوم الأحد (البحار: ج ١٤، ص ٦٢).
(١٧٥) الأعراف: ١٦٤.
(١٧٦) الأعراف: ١٦٦ - مجمع البيان: ج ٤، ص ٤٩٣ - البحار: ج ١٤، ص ٥٦ - ٥٧.
(١٧٧) البحار: ج ١٤، ص ٥٨.
(١٧٨) أي بلعها.
(١٧٩) إرشاد القلوب للديلمي: ج١، ص ٣١٢.
(١٨٠) لعل المعنى: مالي أراك مجدّاً مجتهداً في العبادة متعباً نفسك فيها؟.
(١٨١) أي وقد أعطيتك.
(١٨٢) أي باينهم وفارقهم في اعمالهم الرديئة وأفعالهم الرذيلة.
(١٨٣) آمالي الصدوق: ص ١١٨.
(١٨٤) آمالي الصدوق: ص ٤٥٠.
(١٨٥) فروع الكافي: ج٢، ص ٣٦١ و ٣٦٢.

(١٨٦) البحار: ج ١٤، ص ١٠ - ١١، نقلاً عن فروع الكافي: ج ٢، ص ٣٥٩.

(١٨٧) الشُرطة: هم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت وطائفة من أعوان الولاة، سموا بذلك لأنهم اعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها، والمراد منه هنا لعله الأول، الخميس: الجيش سمي به لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب.

(١٨٨) من لا يحضره الفقيه: ٣٢٢.

(١٨٩) رسب الشيء في الماء: أي سقط إلى أسفله.

(١٩٠) البحار: ج ١٤، ص ١٦، نقلاً عن فروع الكافي: ج ١، ص ٢٢٤.

(١٩١) آمالي الصدوق: ص ١١٨.

(١٩٢) آمالي الصدوق: ص ١٨٣ - ١٨٤.

(١٩٣) البحار: ج ١٤، ص ٣٧.

(١٩٤) نفس المصدر.

(١٩٥) ارشاد القلوب: ج ١، ص ٧٣ - ٧٤.

(١٩٦) معاني الأخبار: ١٠٦ - عيون الأخبار: ١٧٤.

(١٩٧) آمالي الصدوق: ص ٦٥.

(١٩٨) البحار: ج ١٤، ص ٣٨.

(١٩٩) إرشاد القلوب: ج ١، ص ١٥٠.

(٢٠٠) البحار: ج ١٤، ص ٣٥.

(٢٠١) البحار: ج ١٤، ص ٤٣.

(٢٠٢) آمالي الصدوق: ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢٠٣) أصول الكافي: ج ٢، ص ١١٦.

(٢٠٤) أصول الكافي: ج ٢، ص ٣١٤.

(٢٠٥) إرشاد القلوب: ص ٣٤٥.

(٢٠٦) كامل ابن الأثير: ج ١، ص ٧٦ - ٧٨.

قصة حياة صالح عليه السلام

(٢٠٧) جاء في الرواية: أنه لما ضرب ابن ملجم الفاسق لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام قال له الحسن: أقتله؟ قال: لا ولكن احبسه فإذا مت فاقتلوه، وإذا مت فادفنوني في هذا الظهر (ظهر كوفة) في قبر أخوي: هود وصالح (البحار: ج ١١، ص ٣٧٩).

(٢٠٨) اقتباساً عن تاريخ الأنبياء: تأليف عماد زاده: ص ٢٥٢ – ٢٥٨.

(٢٠٩) تفسير الميزان: ج ١٠، ص ٣١٨.

(٢١٠) تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٢٦٣ – تفسير نور الثقلين: ج٢، ص ٤٧.

(٢١١) الحجر: ٨٢.

(٢١٢) النمل: ٤٨.

(٢١٣) قصص الأنبياء لعبد الوهّاب النّجّار: ص ١١٠.

(٢١٤) الشعراء: ١٤٣ – ١٥٢.

(٢١٥) هود: ٦١ – ٦٣.

(٢١٦) النمل: ٤٦.

(٢١٧) النمل: ٤٥.

(٢١٨) روضة الكافي: ص ١٨٦، جاء في القرآن موضوع إيمان البعض بصالح‌عليه السلام في الآيات ٧٥ و ٧٦ من سورة الأعراف، و٤٥ من سورة النمل، وفي الآية ٦٦ من سورة هود، وفي سورة الأعراف ذكر المخالفين باسم الملأ والمستكبرين وذكر المؤمنين باسم المستضعفين، والآية ٦٦ من سورة هود تحكي أن العذاب الذي نزل على قوم ثمود أهلك الجميع ما عدا الصالحين والمؤمنين.

(٢١٩) مجمع البيان: ج ٧، ص ٣٢٧.

(٢٢٠) القمر: ٢٤ – ٢٥.

(٢٢١) النمل: ٤٧.

(٢٢٢) النمل: ٤٩.

(٢٢٣) النمل: ٥٠ – تفسير المثالي: ج ١٥، ص ٤٩٧.

(٢٢٤) روضة الكافي: ص ١٨٥ و ١٨٦.

(٢٢٥) الشعراء: ١٥٣ – ١٥٤.

(٢٢٦) تاريخ الأنبياء: ص ٢٦٣.

(٢٢٧) اقتباساً عن روضة الكافي: ص ١٨٦، تفسير نور الثقلين: ج٢، ص ٤٨ و ٤٩.

(٢٢٨) القمر: ٢٧ و ٢٨.

(٢٢٩) الأعراف: ٧٣.

(٢٣٠) تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٦٣.

(٢٣١) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ١٨٣.

(٢٣٢) الشعراء: ١٥٥ – ١٥٧.

(٢٣٣) كالآية ٧٧ من سورة الأعراف والآية ٥٩ من سورة الإسراء، والآية ١٤ من سورة الشمس.

(٢٣٤) الأعراف: ٧٧.

(٢٣٥) رغا البعير: صوّت وضجّ.
(٢٣٦) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٨٣.
(٢٣٧) في حديث عليعليه السلام: ألا وإن الشيطان قد زمر حزبه أي حضهم وشجعهم.
(٢٣٨) البحار: ج ١١، ص ٣٩٢.
(٢٣٩) روضة الكافي: ص ١٨٨ و ١٨٩.
(٢٤٠) ﴿فلما جاء أمرنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا﴾ (هود: ٦٦).
(٢٤١) أعلام القرآن للخزائلي: ص ٢٩٢.
(٢٤٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٠١.
(٢٤٣) نور الثقلين: ج٥، ص ٥٨٧ - البحار: ج ١١، ص ٣٩٣ - شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٣٣٥ - ٣٤٣.
(٢٤٤) البحار: ج ٤٣، ص ٤٧.
(٢٤٥) البحار: ج ٤٣، ص ٤٧.

قصـــة حياة أيوبعليه السلام

(٢٤٦) النساء: ١٦٣ - الانعام: ٨٤ - الأنبياء: ٨٣ - سورة ص: ٤١.
(٢٤٧) البحار: ج ١٢، ص ٢٨٤.
(٢٤٨) مجمع البيان: ج ٤، ص ٣٣٠.
(٢٤٩) بالنسبة إلى سلسلة نسب موسىعليه السلام وجدنا أنه يتصل نسبه إلى إبراهيمعليه السلام حيث يكون جدّه السادس، ومن منطلق هذا، عاش أيّوبعليه السلام قبل موسىعليه السلام، وجاء في التاريخ أن أيّوبعليه السلام ظهر قبل موسىعليه السلام (تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٤٥٣).
(٢٥٠) نقل البعض أن رُحمة والدة أيّوبعليه السلام هي بنت إفرائيم بن يوسفعليه السلام، وروى البعض الآخر أنها بنت يعقوبعليه السلام، البحار: ج ١٢، ص ٣٥٢ و ٣٥٣، وجاء في بعض الروايات اسم رحيمة بدلاً عن رُحمة (إرشاد القلوب: ج ١، ص ٣٣٦).
(٢٥١) اقتباساً عن تفسير نور الثقلي: ج٣، ص٤٤٥ و ٤٤٦ - تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص٤٥٣ و ٤٥٤.
(٢٥٢) اقتباساً عن حديث الامام الصادقعليه السلام، تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٤٤٧ و ٤٤٨.
(٢٥٣) اقتباساً عن تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٤٥٥ و ٣٦٠.
(٢٥٤) البحار: ج ١٢، ص ٣٥٤.
(٢٥٥) عزب: بعد وغاب وخفي.
(٢٥٦) مضمون الآية (٨٣) من سورة الانبياء - البحار: ج ١٢، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢٥٧) الانبياء: ٨٣.
(٢٥٨) إرشاد القلوب للديلمي: ج١، ص ٤٣٠.
(٢٥٩) إرشاد القلوب للديلمي: ص ٣٣٦.
(٢٦٠) البحار: ج ١٢، ص ٣٤٠.
(٢٦١) تاريخ الأنبياء لعماد زاده: ص ٤٥٦ و ٤٥٩.
(٢٦٢) مضمون سورة ص: ٤٤.
(٢٦٣) سورة ص: ٤١.
(٢٦٤) البحار: ج ١٢، ص ٣٥١.
(٢٦٥) البحار: ج ١٢، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.
(٢٦٦) اقتباساً عن قصص القرآن البلاغي: ص ٢٠٧ - ٢٠٩.

قصـــة ذو الكفل عليه السلام

(٢٦٧) سعد السعود للسيد بن طاووس: ص ٢٤١، البحار: ج ١٢، ص ٣٧٤.
(٢٦٨) حبيب السّير: ج ١، ص ١١١.
(٢٦٩) سورة ص: ٤٨، البحار: ج ١٣، ص ٤٠٥.
(٢٧٠) بخصوص هذا الموضوع راجع مجمع البيان: ج ٧، ص ٥٩ و ٦٠.
(٢٧١) اقتباساً عن البحار: ج ١٣، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.
(٢٧٢) البحار: ج ١٣، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.
(٢٧٣) البحار: ج ١٣، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

قصـــة حياة شعيب عليه السلام

(٢٧٤) بهذا الترتيب «شعيب بن صفوان بن عيفا بن نابت بن مدين بن إبراهيم»، لذا فهو من نسل إبراهيم عليه السلام من جهة نابت وليس من جهة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام (البحار: ج ١٢، ص ٣٧٥).
(٢٧٥) ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً...﴾ (هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦).
(٢٧٦) البحار: ج ١٢، ص ٣٨٤.
(٢٧٧) البحار: ج ١٢، ص ٣٨٣ و ٣٨٧.

(٢٧٨) تفسير نور الثقلين: ج٢، ص ٣٩٤.

(٢٧٩) هود: ٨٤ – ٨٦.

(٢٨٠) هود: ٨٨ – ٩٠.

(٢٨١) هود: ٩٢ – ٩٣.

(٢٨٢) تفسير نور الثقلين: ج٢، ص ٣٩٢.

(٢٨٣) هود: ٨٧.

(٢٨٤) ويعنون أنك يا شعيب ضعيف الجثة وإنسانٌ ضعيف فلِمَ نطيعك ونتّبعك ونحن مرفّهين وأثرياء، وطبقاً لبعض الروايات، أن الملك أمر عماله بأن يحبسوا على الناس الطعام، ويغلوا أسعارهم، وينقصوا مكائيلهم وموازينهم، ويبخسوا الناس أشياءهم، وبهذا الترتيب يعلن مخالفته لله عزّ وجلّ ويظهرها فنهى شعيب عليه السلام الملك وقومه عن هذا الفساد، فأخرجه الملك من القرية فأرسل الله جلّ جلاله على الملك وأتباعه العذاب (البحار: ج ١٢، ص ٣٨٦).

(٢٨٥) هود: ٩١.

(٢٨٦) الشعراء: ١٧٧ – ١٨٤.

(٢٨٧) الشعراء: ١٨٥ – ١٨٧.

(٢٨٨) الشعراء: ١٨٨.

(٢٨٩) الشعراء: ١٨٩.

(٢٩٠) البحار: ج ١٢، ص ٣٨٣.

(٢٩١) الازج: البيت يبنى طولاً.

(٢٩٢) سجى الميت: مدّ عليه ثوباً.

(٢٩٣) كنز الفوائد للكراجكي: ص ١٧٩.

(٢٩٤) أي انقطع وجف.

(٢٩٥) كنز الفوائد: للكراجكي: ص ١٨٠.

(٢٩٦) ديوان المثنوي لمولانا: الدفتر الثاني.

(٢٩٧) قال الصدوق رضي الله عنه: يعني بذلك: لا أزال أبكي أو أراك قد قبلتني حبيباً.

(٢٩٨) علل الشرايع: ص ٣٠ و ٣١، البحار: ج ١٢، ص ٣٨١، وكما ذكرنا في قصة موسى عليه السلام أن موسى عليه السلام عمل عنده لمدة عشر سنوات.

(٢٩٩) مضمون الآية ٨٧ من سورة هود، مجمع البيان: ج٥، ص ١٨٨.

(٣٠٠) فروع الكافي: ج ٥، ص ٥٦.

(٣٠١) هود: ٩٤ – ٩٥.

(٣٠٢) البحار: ج١٢، ص ٣٨٣.

(٣٠٣) العنكبوت: ٣٧.

(٣٠٤) الشعراء: ١٨٩ – تفسير نور الثقلين: ج٤، ص ٦٤، ولا ننسى أن نقول أن بعض المحققين قالوا أن عذاب قوم شعيب كان مرة واحدة والذي نزل على كل من قوم مدين والأيكة وكان الرجفة والسحابة المصاحبة بالصاعقة والصيحة.

(٣٠٥) الشعراء: ١٩٠.

(٣٠٦) هود: ٩٥.

قصـــة ظهور اشموئيل وطالوت وجالوت بعد موسى عليه السلام

(٣٠٧) البقرة: ٢٤٦.

(٣٠٨) البقرة: ٢٤٧.

(٣٠٩) وقد جاء شرح لهذا التابوت في الجزء الأخير من قصة موسى عليه السلام في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب.

(٣١٠) البقرة: ٢٤٨.

(٣١١) اقتباساً عن مجمع البيان: ج ٢، ص ٣٥٣.

(٣١٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣١٣) البقرة: ٢٥٠.

(٣١٤) مجمع البيان: ج ٢، ص٣٥٧، وطبقاً لبعض الروايات أن حجر داود عليه السلام وقع في صدر جالوت وشقّه وخرج من ظهره، فوقع على الأرض (التفسير المثالي: ج ١٩، ص ٢٣٧).

قصـــة حياة يوسف عليه السلام

(٣١٥) نور الثقلين: ج٢، ص ٤١٠.

(٣١٦) يوسف: ٤.

(٣١٧) يوسف: ٥ و ٦.

(٣١٨) كما جاء هذا المطلب في الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

(٣١٩) نور الثقلين: ج٢، ص ٤١٠.

(٣٢٠) يوسف: ٨ و ٩.
(٣٢١) يوسف: ١٠.
(٣٢٢) مجمع البيان، تفسير الصافي، جامع الجوامع ونور الثقلين، ذيل الآية ٩ و ١٠ من سورة يوسفعليه السلام.
(٣٢٣) اقتباساً عن نور الثقلين: ج ٢، ص ٤١٣، تفسير جامع: ج ٣، ص ٣٢٠.
(٣٢٤) نفس المصدر.
(٣٢٥) تفسير جامع الجوامع: ص ٢١٤.
(٣٢٦) تفسير جامع: ج ٣، ص ٣٢١ - حياة القلوب: ج ١، ص ٢٤٨.
(٣٢٧) يوسف: ١٥.
(٣٢٨) تفسير جامع الجوامع: ص ٢١٤.
(٣٢٩) تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤١٥ و ٤١٦.
(٣٣٠) يوسف: ١٧.
(٣٣١) اقتباساً عن مجمع البيان: ج٥، ص ٢١٨ ذيل الآية ١٨ من سورة يوسف.
(٣٣٢) مجموعة ورّام: ج ١، ص ٣٣.
(٣٣٣) اقتباساً عن تفسير سورة يوسف، تأليف الإشراقي: ٤٠ - ٤٥.
(٣٣٤) اقتباساً عن تفسير جامع: ج ٣، ص ٣٢٦.
(٣٣٥) يوسف: ٢١.
(٣٣٦) يوسف: ٢٢.
(٣٣٧) تفسير الصافي، ذيل الآية ٢٣ من سورة يوسف، وأيضاً هذه الرواية رواها الامام السجادعليه السلام (عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٤٥).
(٣٣٨) يوسف: ٢٤.
(٣٣٩) نهج البلاغة: حكمة ٤٧٤.
(٣٤٠) قال البعض: أن الذي حكم في هذه القضية كان رجلاً جالساً عند القصر مع عزيز مصر لما خرجت زليخا من القصر مع يوسف وهو ابن عم زليخا، ولكن المشهور والمعروف أن الذي حكم كان طفلاً رضيعاً وهو ابن أخت زليخا، وأن الله ألهم يوسف بأن يقول لعزيز مصر أن هذا الطفل شاهدي، لذا استمد يوسفعليه السلام العون من الطفل (البحار: ج ١٢، ص ٢٢٦).
(٣٤١) حياة القلوب: ج١، ص ٢٥٠ (سورة يوسف: الآيات ٢٣ إلى ٢٩).
(٣٤٢) يوسف: ٣٠.
(٣٤٣) قيل: هن خمسة نسوة: ١- امرأة ساقي الملك، ٢- امرأة الخباز، ٣- امرأة صاحب الدواب، ٤- امرأة صاحب السجن، ٥- وامرأة رئيس الحراس (البحار: ج ١٢، ص ٢٢٦).
(٣٤٤) يوسف: ٣١.

(٣٤٥) يوسف: ٣١.
(٣٤٦) مجمع البيان: ذيل الآيات ٣٠ إلى ٣٣ من سورة يوسف.
(٣٤٧) يوسف: ٣٢.
(٣٤٨) يوسف: ٣٣ – ٣٤.
(٣٤٩) يوسف: ٣٨ – ٤٠.
(٣٥٠) يوسف: ٣٦.
(٣٥١) يوسف: ٣٧ – ٣٨.
(٣٥٢) يوسف: ٤١.
(٣٥٣) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٣٢ – ٢٣٤.
(٣٥٤) يوسف: ٤٢.
(٣٥٥) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٣٥.
(٣٥٦) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٣٥.
(٣٥٧) مضمون الآيات ٤٣ و ٤٤ من سورة يوسف‌عليه‌السلام.
(٣٥٨) والهدف من ذلك حتى لا تأكله الحشرات أو ينمو مرةً أخرى.
(٣٥٩) يوسف: ٤٧ – ٤٩، وهنا عبّر يوسف‌عليه‌السلام الرؤيا وأيضا أعطاهم الحل في هذه المشكلة وهو أن يقتصدوا في سني الخصب السبع ويخزنوا ما فضل عن القوت في سنبله، فعلم الملك والعلماء بتدبيره هذا أن ليوسف‌عليه‌السلام مقام عالٍ في العلم.
(٣٦٠) يوسف: ٥٠.
(٣٦١) يوسف: ٥١.
(٣٦٢) يوسف: ٥٢ – ٥٣.
(٣٦٣) يوسف: ٥٤، مجمع البيان: ج٥، ص ٢٣٧ و ٢٤٠.
(٣٦٤) لا ننسى أن نقول أن مقام «عزيز مصر» ليس كمقام الملك، وإن دققت في آيات سورة يوسف ستجد أن «عزيز مصر» هو في حكم الوزير، ومن ثم وصل إلى مقام الملك، كما سنذكر لاحقاً.
(٣٦٥) يوسف: ٥٧.
(٣٦٦) يوسف: ٥٦.
(٣٦٧) اقتباساً عن مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٤٣ و ٢٤٤.
(٣٦٨) تفسير مجمع البيان: ج٥، ص ٢٤٥ و ٢٤٦
(٣٦٩) اقتباساً عن مجمع البيان: ج٥، ص ٢٥١و٢٥٢.
(٣٧٠) يوسف: ٦٧.
(٣٧١) «إنّكم لسارقون» (سورة يوسف: ٧٠) جاء في الرواية أن بنيامين كان يعلم يالخطة، وتهمة السرقة كانت

موجّهه لإخوة يوسف، وبما أنها كانت ظاهرياً وذات مصلحة مهمة لذا لم يكن هناك إي إشكال فيها (مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٥٢) ولكن طبقاً لرواية أخرى أنهم سألوا الامام الصادقعليه السلام: إن أخوة يوسف لم يسرقوا، لماذا كذب يوسفعليه السلام؟ قالعليه السلام: لم يكن مراده سرقة الصواع بل (كان تورية) كان مراده أنكم سرقتم يوسفعليه السلام من أبيه (تفسير الجامع: ج ٢، ص٣٦٢).

(٣٧٢) مضمون الآيات ٧١ – ٧٣ من سورة يوسف.

(٣٧٣) يوسف: ٧٥.

(٣٧٤) قيل: أنهم نسبوا السرقة ليوسفعليه السلام لأنه غي السابق سرق صنماً لجده من أمه وكسره ورما به في الخارج.

(٣٧٥) مضمون الآيات ٧٧ – ٧٩ من سورة يوسف.

(٣٧٦) مضمون الآيات ٨٠ – ٨٢ من سورة يوسف.

(٣٧٧) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٥٣ – ٢٥٧.

(٣٧٨) مضمون الآيات ٨٤ – ٨٦ من سورة يوسف.

(٣٧٩) لو طرحنا هنا سؤال وهو كيف لم يعثر يعقوبعليه السلام وأولاده على يوسف في هذه المدة بالرغم من أن يوسفعليه السلام كان في مصر والمسافة بين مصر وكنعان ليست بعيدة؟ الجواب هو أن يوسفعليه السلام لما ورد مصر كان عبداً عند عزيز مصر، وقضى فترة من الزمن في السجن، وفي هذه السنوات لم يتصل بالناس، ومع تغير ملامحه لنموه لم يُعرف، وفي ذلك الزمن لم تكن هناك وسائل تنقل سريعة وكان بين منزل يعقوبعليه السلام ومصر يومئذ مسيرة إحدى عشر يوما أو تسعة أيام حسب بعض الروايات.

(٣٨٠) يوسف: ٨٧.

(٣٨١) بناءاً على قول أن إسحاق هو الذبيح وليس إسماعيل.

(٣٨٢) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٦١.

(٣٨٣) كشكول الشيخ البهائي: ج١، ص ٣١٠، مضمون سورة يوسف الآيات ٨٨ – ٩١.

(٣٨٤) البحار: ج ١٢، ص ٣١٤.

(٣٨٥) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٥٨.

(٣٨٦) يوسف: ٩٢.

(٣٨٧) يوسف: ٩٧.

(٣٨٨) يوسف: ٩٨.

(٣٨٩) سفينة البحار: ج ٢، ص٤٤٢ (كلمة قلب).

(٣٩٠) يوسف: ٩٣.

(٣٩١) يوسف: ٩٤.

(٣٩٢) يوسف: ٩٥.

(٣٩٣) يوسف: ٩٦.

(٣٩٤) يـدل من ظاهر القرآن أن أم يوسـف كانت حية، ولكن أكثر المفسريـن يقولون أنها كانت ميتة، والتي كانت حيّة هي خالة يوسف، وكان رائجاً بين العرب آنذاك أن ينادوا الخالة أماه.

(٣٩٥) يوسف: ١٠٠، قال يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام: يا بني أخبرني ما فعل بك إخوتك؟ فقال يوسف عليه السلام: يا أبة لا تسـألني عن صنيع إخوتي واسـأل عن صنيع الله بي، (سـفينة البحار: ج ١، ص ٤١٢) ويظهر ويدل حديث يوسف عليه السلام على روحه العظيمة وكرمه ونظره العالي.

(٣٩٦) يوسف: ١٠٠ و ١٠١.

(٣٩٧) يوسف: ١٠٣.

(٣٩٨) يوسف: ١١١.

(٣٩٩) مجمع البيان: ج ٥، ص ٢٦٢ – ٢٦٦.

(٤٠٠) علل الشّرايع: ص ١٠٧، البحار: ج ١٣، ص ١٢٧.

(٤٠١) جـاء في بعض الروايات أن رسـول الله صلى الله عليه وآله التقى في سـفره في الصحراء برجلٍ يسـكن الخيـام، فعرفه الرجل واسـتقبله، ولما أراد الرسـول صلى الله عليه وآله الانصراف قال له: سـلّ حاجتك، فقال: اسـئلك مأتي شـاة برعاتها، فأمر له رسـول الله صلى الله عليه وآله بما سـأل، ثم قال لأصحابه: ما كان على هذا الرجل أن يسـألني سـؤال عجوز بني إسرائيل لموسـى عليه السلام، فقالوا: وما سـئلت عجوز بني إسرائيل؟ فشرح لهم رسـول الله صلى الله عليه وآله قصة العجوز، وجاء في هذه الروايـة أن العجوز طلبت ثلاثة حوائج وقضيت لها وهي: ١- تصبح شـاباً، ٢- تتزوج موسـى ٣- تكون زوجة موسى في الجنة أيضا (نقلاً عن حياة الحيوان للدميري).

(٤٠٢) مجمع البيان: ج٥، ص ٢٦٤، أصول الكافي: ج ٢، ص ٣١١ – ٣١٢.

(٤٠٣) يوسف: ١٠.

(٤٠٤) تفسـير الصافي: ص ٢٥٣، ذيل الآية ٩٩ من سـورة يوسف، ولا يخفى أنه بناءاً على هذا الحديث، الشخص الذي منع الاخوة من قتل يوسف هو لاوي وليس يهودا أو شمعون أو روبين كما قلنا سابقاً، وطبقاً لبعض الروايات أنه كان أحدهم.

(٤٠٥) البحار: ج ١٨، ص ٣٢٥.

(٤٠٦) رياحين الشريعة: ج ٥، ص ١٧٤ و ١٧٥.

(٤٠٧) البحار: ج ١٦، ص ١٩٣.

فهرس المحتويات

قصة حياة اليسع عليه السلام

قصة حياة عُزَير عليه السلام

قصة حياة لقمان عليه السلام

قصة أصحاب الجنة و توبتهم
٦١

قصــة قوم سبأ
٦٥

قصة الأخوين المؤمن والمغرور
٧١

قصة هاروت وماروت
٧٥

قصة قوم تبّع
٧٩

قصة أصحاب الأخدود
٨٣

قصة حياة داود عليه السلام

قصة حياة صالحعليه السلام

قصة حياة أيوبعليه السلام

قصة ذو الكفل عليه السلام
١٣١

قصة حياة شعيب عليه السلام
١٣٧

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجةؑ: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشرؑ (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشرؑ (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشرؑ (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهديؑ: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن عليؑ بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرىؑ: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسينؑ
٣٣ - فضائل ومناقب عليؑ وفاطمةؑ في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب عليؑ وفاطمةؑ في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه